

دراسات في

تاريخ الرهبانية والديرية المصرية

مع دراسة مقارنة لرهبنة وادي النطرون حتى الفتح العربي

تأليف

الدكتور حكيم أبين

Ph. D. ( Hons. )







دراسات في  
تاريخ الرهبانية والديرية المصرية  
مع دراسة مقارنة لرهبنة وادي النطرون حتى الفتح العربي

---

تأليف  
اللكمستور حكيم أمين

Ph. D. ( Hons. )

---

حقوق الطبع محفوظة للتأليف

---





## تصدير

تاريخ الكنيسة القبطية في العصرين الروماني والبيزنطي جزء لا يتجزأ من تاريخ مصر القومي ؛ ذلك أن انتشار المسيحية في مصر اقترن بالاضطهاد الروماني ، حيث بدأ هذا الاضطهاد بإيجاد الأنظمة والقوانين التي جعلت القبط مسلوبى الحقوق ، مثقلين بالضرائب والالتزامات . وأصبحت مصر آنذاك ضيعة الرومان ، استغلوا أرضها الغنية ، واعتبروا القبط شعباً مقهوراً واقعاً تحت رحمتهم .

غير أن الحركة الفكرية التي حمل شعلتها علماء المدرسة اللاهوتية بالاسكندرية أواخر القرن الثاني الميلادي ، وما صاحب هذه الحركة من تصميم الكنيسة على التخلص من مظاهر العبادات الإغريقية وكل ما هو غربي ، كل هذا جعل المسيحية خطراً كاسحاً . وبعد أن كان الأباطرة ينظرون إلى مثل تلك الحركات المسيحية على أنها حركات محلية داخلية تكفى لإخمادها قوانين إمبراطورية عالية ، ووسائل القمع العادية ، إذ بهم يواجهون مشكلة خطيرة أساسها تصميم الشعب على التخلص من الاستعمار البغيض ومن أجل هذا كان الكفاح طويلاً .

وفي خضم هذا الكفاح بدت قوة الأباطرة الغشوم كوسيلة من وسائل مقاومة المسيحية ، ولكن المسيحية كانت أكثر عمقاً ؛ فلم تكن نشرأ لدين جديد بقدر ما كانت عملية بناء لقوى بشرية

## (ب)

جديدة في قوالب التحرر الثقافي والسياسي والاجتماعي من كل آثار الاستعمار البغيض ، ولهذا لا نعجب أن جاءت النتائج بعكس ما اشتهى هؤلاء الأباطرة ، إذ توطد مركز المسيحية بعد عصر من الاستشهاد ، واتخذ الجهاد صورة روحية فريدة في نوعها ، كانت أكثر فاعلية من الجهاد المادي ، إذ انتقل المسيحيون إلى أماكن بعيدة عن أعين الرومان وطغيانهم ، تاركين الأرض خراباً بعد أن صمموا على أن يحرموا المستعمر من خيراتها ، وهناك في الصحارى والقفار تكونت الجماعات الرهبانية والأديرة لتصبح مراكز هامة للإنتاج الاقتصادي والفكري فضلاً عن زعامتها لحركة المقاومة للاستعمار الروماني .

وهكذا أخذت حركة الرهبانية القبطية على عاتقها يقظة الوعي القومي ، وبرز من صفوف الرهبان والديرين في مصر زعماء ألوا على أنفسهم أن ينفخوا من روحهم في إخوانهم ، ولماذا ؟ فهم من صميم أبناء البلاد ، وقد عرفوا أن حب الوطن من الإيمان ، فظلوا في كفاح روحي ، صمموا على أن يحمل معه كفاحاً قومياً من أجل الحرية .

ثم كان فضل الرهبانية على المسيحية وعلى البلاد حين حفظت التراث القومي من أن تطمسه أيدي الرومان وأباطرتهم المؤلهين ، وصار هذا التراث منبعاً ارتوى منه الشرق والغرب فيما تلا هذا من عصور ، ووضح هذا جلياً حين ذاع صيت رهبان مصر ، فتوافد عليها من العالم الشرقي والغربي أناس قاموا بنقل هذا التراث ، وتسجيل مظاهر الحضارة ، ثم عادوا من حيث أتوا



## (ج)

ليقيموا نظاماً جديدة على نحو ما رأوه في مصر ، وصارت هذه  
النظم صوراً مضيئة في وسط عالم أظلمته مشكلات العصور  
الوسطى .

فالرهبانية المصرية إذن لم تكن نسكا وعبادة فحسب ، بل كانت  
وسيلة هامة من وسائل حفظ التراث القومي حيث لعبت دورها  
الفعال في تحصيل العلم ، والدرس والبحث ، كما خدمت العلوم  
والآداب خدمات جليلة مدة كبيرة من الزمن ، فضلا عن إسهامها  
إسهاماً فعالاً في نشر المسيحية حين أتيحت لها الظروف ، وذلك  
في الميادين التي لعب فيها الاستعمار البيزنطي دوره بشكل بغض .  
ومن أجل هذا كله كان هذا البحث الذي دار أولاً حول  
« الجماعات الرهبانية في وادي النطرون في القرن الرابع الميلادي » ،  
بإشراف الأستاذ الدكتور محمد مصطفى زيادة رئيس قسم التاريخ ،  
وحصل به المؤلف على درجة الماجستير في الآداب بتقدير جيد  
جداً من جامعة القاهرة في يونيه سنة ١٩٥٥ ، ثم ظل هذا  
البحث حبيس مكتبته حتى تقابل المؤلف مع الأستاذ الدكتور  
مراد كامل الأستاذ بكلية الآداب منذ نحو عام فأشار على المؤلف  
أن يصل بهذا البحث حتى الفتح العربي ، حتى يمكن للقارئ أن  
يتتبع هذه الحركة في مصر حتى نهاية حكم البيزنطيين وبداية الفتح  
العربي ، فكتب المؤلف الفصل السادس .

وحتى يقف القارئ على صورة كاملة لتاريخ الرهبانية والديرية  
في مصر ، أضيفت عدة صفحات إلى الفصل الأول ، بعدها أعيد  
ربط الموضوع كله مع إضافة أربعة وعشرين لوحة أثرية للديرية ،

( د )

ليصبح الكتاب في هذه الصورة المتكاملة أمام القارئ والباحث .  
وفي هذا كله وقف المؤلف من الحوادث والحقائق التاريخية موقف  
القاضي الذي يقيم حكمه على أسس من وثائق التاريخ وقوانينه ،  
دون أن يكون للعاطفة أثرها في مثل هذه الأحكام .

ولا يسعني إلا أن أذكر بالفضل والشكر أستاذي الجليل  
الدكتور محمد مصطفى زيادة لتشجيعه المتواصل وروحه الأبوية ،  
كما أسدى شكرى إلى السادة أمناء مكبات المتحف القبطى ،  
والمعهد الفرنسى بالقاهرة ودير الدومنيكان ، وديرى السوربان  
وبيشوى لما قدموه إلى من معاونته فى الاطلاع على مختلف  
المراجع المخطوطة والمطبوعة لديهم . وهناك شكر مضاعف للفنان  
المصور الأستاذ سليم يوسف الذى بذل جهداً مشكوراً فى هذه  
اللوحات التى التقطتها عدسته ، بنظرته الفنية العميقة ، فى الأديرة  
وبين الرهبان .

وبعد فهذه صفحة من تاريخنا القومى فى العصر البيزنطى تعبر  
عن كفاح شعب عريق ، أقدمها صورة من عظمة ماضينا ، ومشعلا  
بضياء مستقبلنا ، فى عهد قائدنا وزعيمنا الرئيس جمال عبد الناصر .

حكيم أمين

القاهرة فى نوفمبر سنة ١٩٦٣  
بأيه سنة ١٦٨٠

# الفصل الأول

## براية الرهبانية والديرة في مصر

### اقرأ في هذا الفصل

— تعريف الرهبانية والديرة — أصول الرهبانية  
والديرة في مصر — عوامل ساعدت على إنتشار  
الرهبانية - للوثرات النسكية في الرهبانية المصرية —  
الأنبا بولا والأنبا انطونيوس — قيام الديرة  
الباخومية في مصر — شنوده الأخمى وتطویر  
الديرة — رهبنة النساء .

### تعريف الرهبانية والديرة :

المقصود بالرهبانية طريقة المعيشة المنعزلة عن الناس ، في خلوة  
فردية تامة بقصد العبادة ؛ غير أن هذه الكلمة « رهبانية » أصبحت  
تستعمل كذلك للتدليل على الحياة الديرية القائمة على أسس اجتماعية .  
ولم تكن المسيحية هي الديانة الوحيدة التي انفردت بالدعوة إلى  
المبادئ النفسية <sup>(١)</sup> ، ففي الديانات السابقة للمسيحية جماعات وطوائف  
كرست نفسها لحياة انعزالية أو نسكية ، على درجات متفاوتة من  
القسوة البدنية ؛ ولكل ذلك شواهد في كتابات الصين القديمة والهند  
وشعوب آسيا الغربية وكذلك في الأدب المصرى القديم <sup>(٢)</sup> .

### أصول الرهبانية والديرة في مصر :

وللثورخين مذاهب مختلفة في البحث عن أصول الرهبانية المسيحية،  
فن قائل أن أصل الرهبانية المسيحية في البوذية الهندية <sup>(٣)</sup> ، أو على الأقل

في رسالته الأولى اليهم بقوله : « لأنني أريد أن يكون جميع الناس كما أنا ،  
( أى أعزب ) لكن لكل واحد موهبته الخاصة من الله ، الواحد  
هكذا والآخر هكذا ، ولكن أقول لغير المتزوجين وللأرامل أنه  
حسن لهم إذا لبثوا كما أنا .... إذن من زوج فحسناً يفعل ومن لايزوج  
يفعل أحسن ( ١١ ) » .

وهكذا يبدو واضحاً أن التعاليم التي نادت بها المسيحية مضافاً إليها  
قصص النساك الأولين أمثال إيليا ثم حياة يوحنا المعمدان ، هي التي  
ظهرت في شكل الرهبانية الأولى في المسيحية في مصر .

### عوامل ساعدت على انتشار الرهبنة :

وإن نظرة عابرة إلى حالة مصر السياسية منذ أوائل القرن الثالث  
الميلادى تكفى لادراك ما عانته المسيحية من دائب اضطهاد الأباطرة  
الرومانيين لها . وكان هذا الاضطهاد الدائب عاملاً من عوامل انتشار  
الرهبانية ، ففي سنة ٢١٥ م أمر الإمبراطور كراكلا بإعدام عدد كبير  
من أهالي الاسكندرية بسبب مسيحياتهم ، وتكررت هذه التجربة  
الوحشية في عهود الأباطرة ديسيوس ( ٢٤٩-٢٥١ م ) وجالوس  
( ٢٥١ - ٢٥٤ م ) ، وفاليريانوس ( ٢٥٣ - ٢٦٠ م ) ، وجالينوس  
( ٢٦٠ - ٢٦٨ م ) .

على أن أشهر نوبات الاضطهاد هو ما حدث في عهود الأباطرة  
دقلديانوس الذي حكم من سنة ٢٨٤ م إلى سنة ٣٠٥ م ، وجالوريوس  
الذي حكم من سنة ٣٠٥ - ٣١١ م ، ومكسيميانوس الذي حكم من سنة  
٣٠٥ - ٣١٣ م ؛ ففي سنة ٢٩٧ م حضر دقلديانوس بنفسه إلى مصر  
لاخماد حركة العصيان التي قام بها لوكيوس دوميتيوس دومتيانوس



Lucius Domitius Domitianus القائد الروماني ، وهو المعروف أيضا بأسم أخليوس ، و انتهت هذه الحركة بما قام به دقلديانوس من عمل فظيع ، إذ خرب جزءاً كبيراً من الاسكندرية (١٢) .

ومع أن هذا العمل الفظيع أعاد الهدوء مؤقتاً إلى الاسكندرية ، ومع أن دقلديانوس سعى إلى شراء ذمم بعض الوثنيين في مصر بما وزعه من القمح والعطايا كما دفعهم إلى إقامة العمود المعروف بعمود السواري (١٣) ، فإن انتشار المسيحية في مصر انتشراً كبيراً دفع هذا الامبراطور في أواخر أيامه إلى اضطهاد المسيحية وغيرها من الديانات الخارجة على الديانة الامبراطورية . وصار أوج هذا الاضطهاد سنة ٣٠٣ م حين أصدر منشوره المعروف الذي أمر فيه عملاءه بإبادة الكنائس ، و حرق الكتب المسيحية ، كما قرر فيه أيضاً حرمان المسيحيين من حقوقهم المدنية واستباحة دماهم (١٤) .

ولم يكن منشأ ذلك كراهيته للمسيحية فحسب ، بل إمعانا في أن يكون إخلاص الناس بقلوبهم وأجسامهم للامبراطور والامبراطورية دون غيرها من القوى ، وهو ما يعارض المبادئ المسيحية تمام المعارضة . ولذا اجتهد المسيحيون الذين اختاروا البقاء على دينهم أن يختفوا بعيداً عن عنف القوانين الرومانية الجديدة . وكانت الصحراوات المصرية الفسيحة خير مكان لهؤلاء المسيحيين .

ثم انتهت محنة الاضطهاد الروماني القديم عندما أصدر الامبراطور قسطنطين الكبير مرسوم التسامح الديني من ميلان سنة ٣١٣ م ، وهو يشق طريقه إلى العرش الامبراطوري ليجذب إلى جانبه العناصر المسيحية (١٥) ، وبهذا المرسوم أصبحت الديانة المسيحية لأول مرة في تاريخها ديانة مسموحاً بها إلى جانب الديانات الاخرى ، ولم يعد



المسيحيون بحاجة إلى الاختفاء والعزلة في الصحراء .

غير أن عوامل أخرى دفعت بكثير من المسيحيين إلى البقاء في عزلتهم ، بعض هذه العوامل ديني وبعضها اقتصادي ، ولا شك أن العوامل الدينية وما فيها من إخلاص للخالق والرغبة في إماتة الشهوات الجسدانية وتغليب النواحي الروحية صار لها أثرها الكبير في بقائهم ، هذا فضلاً عما تتمتع به المسيحيون في الصحراء من الأمن الجسدي والروحي الذي فقدوه في داخل البلاد بسبب الاضطرابات الناشئة عن إغارات قوات البالميريين والبليميز في عهد الامبراطور كلوديوس الثاني ، الذي حكم بين سنتي ٢٦٨ - ٢٧٠ م <sup>(١٦)</sup> . ثم أن سوء الحالة الاقتصادية في مصر منذ أوائل القرن الرابع الميلادي ساعد على ازدياد إنتشار الرهبنة ، فلم تكن هناك قوانين في القرى أو في المدن ، وأصبحت الضرائب عبئاً ثقيلاً <sup>(١٧)</sup> ، زاده ثقلاً قسوة جامعياً الذين كانوا يختارون من وجهاء المدن ، أو المناطق الأخرى بالامبراطورية وهؤلاء عفا باسم Curiales ، حتى أن عدداً كبيراً من صغار المزارعين تنازلوا عن أرضهم لكبار الملاك من الأجانب ، وفضلوا ترك بيوتهم وأراضيهم وأولادهم ليحيوا حياة اللصوص ، أو لتركوا العالم بما فيه إلى حياة رهبانية توفر لهم الأمن ، رغم ما فيها من عيش على الكفاف <sup>(١٨)</sup> .

واستمرت هذه الحال مدة طويلة حتى أيام النزاع بين الاثناسيوسيين والاريوسيين ، وما تبع هذا النزاع من اضطراب وتعكير صفو السلام الكنسي ، مما جعل الكثيرين من المسيحيين يعتقدون بقرب انتهاء العالم ، كما جعلهم يهرعون آلافاً إلى الصحاري ، تاركين وراءهم أولئك الذين لم يحفلوا بالاختلافات المذهبية أو الحرية الشخصية أو أولئك الذين قرروا الاعتماد على أنفسهم في الدفاع عن مبادئهم <sup>(١٩)</sup> .

وإذ أدت مجموعة العوامل السابقة إلى قيام حركة الرهبانية وانتشارها حتى تطورت إلى حركة ديرية ، فإن ما أضيف إلى هذه العوامل فيما بعد ساعد على انتعاشها ؛ ومثال ذلك أن قانوناً أصدره قسطنطين الكبير ، أعفى الأعزب ومن لا أولاد له من الضرائب ، كما أعفى الرهبان من الخدمة العسكرية <sup>(٢٧)</sup> ، فاعزى هذا وذاك الكثيرين إلى الامتناع عن الزواج والذهاب إلى الأديرة حيث أمكنهم أن يجدوا الحياة السالمة الهادئة البعيدة عن الأزمات الاقتصادية الطاحنة في ظل حياة روحية سامية .

ومع أن الرهبانية حملت في طياتها معنى إنكار الذات ، فهي كذلك صرخة خافية من أجل بناء جديد للعقيدة الأرثوذكسية ، بدأت بعيداً عن الكنيسة نفسها وأساقفتها ووظائفها الكنسية ، <sup>(٢٢)</sup> ، غير أن كثيراً من زعماء الرهبانية والديرية ما لبثوا أن خرجوا من عزلتهم واشتركوا مع أساقفة الكنيسة الأرثوذكسية ضد أصحاب المذاهب الهرطقية وقتذاك .

والخلاصة أنه منها تعددت الأسباب التي أدت إلى قيام الحركة الرهبانية في مصر ، مما لا شك فيه أنها قامت طبقاً للتعاليم والمبادئ التي نادى بها السيد المسيح والرسل الحواريون ، وفسرها راغبو الرهبنة على أشكالها المختلفة التي ظهرت بها على مدى العصور ، وإذا كانت هذه التعاليم وما خلقتهم من دوافع دينية ، هي التي أدت بهؤلاء الناس إلى هجرة المدينة ، ليجدوا في حياة العزلة فرصة للحياة الدينية <sup>(٢٣)</sup> ، فمن الثابت أن قيام الرهبانية ، ثم انتشارها على هذا النحو ، لم يكن نتيجة تلك الدوافع الدينية فحسب بل تدخلت في ذلك دوافع أخرى تتعلق بالاحداث السياسية في مصر منذ القرن الثالث الميلادي <sup>(٢٤)</sup> ، وهذه الاحداث

هى التى أسهمت كثيراً فى انتشار الرهبانية .

### المؤثرات النفسية فى الرهبنة المصرية :

على أننا لا نستطيع أن نتكر أن مؤثرات نسكية مختلفة برزت كصور واضحة للفلسفات الدينية المختلفة من وجهة النظر الصوفية ، ولا شك أن هذه الصور خلقت استعدادات نفسية أو ميولاً نحو الحياة النسكية بين معتقى الديانة الجديدة وهى الديانة المسيحية ؛ ففى تاريخ الديانة المصرية القديمة ما يشير إلى الميول النفسية فى وضوح ، مثال ذلك ما يفتح به الفصل الرابع والستون من كتاب الموتى ونصه : « هذا الفصل سيقراه رجل نظيف طاهر ، لم يأكل لحم الحيوان أو السمك ، ولم يخاطب النساء ، وفى الفصل السابع والثلاثين بعد المائة ما يشبه هذا النص . وفى طقوس إيزيس وأوزوريس جرى الكهنة على أن يندروا لألهتهم أصواماً مختلفة ، كما امتنعوا عن شرب الخمر وأكل لحوم الحيوان والسمك <sup>(٢٥)</sup> . وفى أمثال بتاح حتب ما يشبه أمثال سليمان الحكيم . على أنه ليس معنى هذا كله أن الرهبنة تأثرت بمثل هذه الاتجاهات أو الميول النفسية فى صورة جعلتها تقليداً لها ، ولكن لعل الصحيح أن مثل هذه الميول عند معتقى الديانة المسيحية بالاضافة إلى العوامل السابق ذكرها جعلت قيام الرهبنة أمراً سهلاً باعتبارها أحد المظاهر النفسية للديانة المسيحية <sup>(٢٦)</sup> .

ثم تضاف إلى هذه الصور المصرية القديمة صورة أخرى هى صورة المتصوفين أو المنعزلين فى معابد سيرايس فى العصر البطلمى . وخلاصة حياة هؤلاء المتصوفين هى تكريس حياتهم لخدمة سيرايس <sup>(٢٧)</sup> ، فعاشوا فى داخل المعابد حيث قاموا بدور الواسطة بين الإله سيرايس وبين الناس الذين جاءوا إليه لتفسير الاحلام وطلب الشفاء <sup>(٢٨)</sup> ، كما اشتركوا

في جنازة العجل أبيس ، وقدم لهم أهل القرى المحيطة ما قوم أودهم (٢٩) .

ومن الشواهد الدالة على العلاقة بين الحياة النسكية المسيحية وأنواع النسك المصرى القديم حتى القرن الاول الميلادى ، جماعات المتصوفة العرافين الذين عاشوا على ضفاف النيل في صعيد مصر ، وهم المعروفون باسم Gymnosophists (٣٠) ، وجماعة كهنة هليوبوليس الذين عاشوا على الكفاف ، وحاولوا أن يرتفعوا بعواطفهم إلى أعلى مراتب التدين (٣١) .

والخلاصة أن الحياة النسكية في مصر القديمة أثرت في الرهبانية المسيحية من غير أن تكون أصلاً من أصولها ، لأن أكثر النسك الاقدميين لم يفضلوا حياة البتولية ، كما أن الحماس الدينى لم يتوفر لديهم بالقدر الذى توفر للرهبان المسيحيين الاوائل . وثمة ناحية أخرى في حياة اللاجئيين في معبد سيرايس أنهم لم يعتزلوا الحياة المدنية ، ولم يضحوا بملكاتهم ، ولم يرتبطوا بقسم طيلة حياتهم كما فعل الرهبان المسيحيون بل على العكس طالبوا أن تكون ملكاتهم حقاً طبيعياً لهم (٣٢) ، كما اختلطوا بالناس بحكم وظيفتهم في المعبد (٣٣) .

على أن ما ذهب اليه بعض المؤرخين من القول بأن بعض جماعات النسك اليهودى في مصر أثرت في الرهبنة المصرية فأمر لا يقوم دليل على تأييده . ذلك أن فيلو Philo الفيلسوف اليهودى تحدث عن جماعة الـ ترايوتاي Therapeutae اليهودية (٣٤) ، التى عاشت حول سواحل بحيرة مريوط ، فذكر أن حركتهم قامت على أساس تنقية الروح من شوائبها بالعيش خارج المدن في منازل منعزلة مجردة من الكماليات . وذكر فيلو كذلك أن من نظم هذه الجماعة أن يبدأ أفرادها بالصلاة منذ الفجر ، ثم يقضون سحابة يومهم في التأمل في التوراة ويختتمون يومهم بصلاة المساء الختامية .

واشترك مع هؤلاء عذارى طاعنات في السن، أطلق عليهن Therapeutrides<sup>(٣٥)</sup>. ومن النظم المرعية بين أولئك النساك اليهود الصيام ثم الاجتماع أيام السبوت للعبادة الجامعة في معبد وسط أكواخهم. واعتادت هذه الجماعة أن تحتفل بيوم الفصح بالجلوس على الأرض الخشنة إمعاناً في النفسك، ثم تناول طعام من الخبز والملح والزوفاء ثم يقوم أفرادها بعد ذلك بترنيمات يتلوها رقص ديني<sup>(٣٦)</sup>.

وإذا كان ثمة شبه بين حياة هذه الجماعة وبين الحياة الديرية المسيحية فإنه من العسير أن نقطع بصلتها بالرهبانية أو الديرية المسيحية، بدليل أن الديرية لم تظهر في مصر إلا بعد أن سادت الرهبانية في أنحائها نحو نصف قرن من الزمان، وبدليل أن الديرية المسيحية ظهرت في الوجه القبلي أولاً لا الوجه البحري على مقربة من بحيرة مريوط، وثمة دليل آخر وهو قلة عدد اليهود في مصر في القرون الميلادية الأربعة الأولى، كما أن المؤرخ يوسيبوس لم ير أحداً من هذه الجماعة، حين زار مصر أوائل القرن الرابع الميلادي<sup>(٣٧)</sup>.

وهناك من يعتقد بأن الفلسفة الأفلاطونية الحديثة أثرت في الرهبانية المسيحية، وذلك بعد أن إندمجت بعض مبادئها في الديانة المسيحية على يد أمونيوس سقاس، الاغريقى الاصل والمسيحي الوالدين، وذلك أن الأفلاطونية الحديثة دعت إلى التحرر من عبودية الجسد بالنسك والتقشف واختلفت عما سبقتها من فلسفات بتأكيدها الجانب التأملى في الحياة. وذهب أتباعها إلى أن الروح إذا تطهرت من التوازع الدنيوية، فإنها تستطيع أن تصل إلى درجة التأمل في الله، ولن تستطيع الروح أن تتحرر من الملذات المادية إلا عن طريق الاعتزال والنسك، وهو ما امتازت به الرهبانية المسيحية<sup>(٣٨)</sup>.



غير أنه ليس من المعقول أن تنشأ الرهبانية المسيحية في الأفلاطونية الحديثة لحسب ، لأن زعماء الرهبانية في مصر جاءوا من طبقة الفلاحين الذين جهلوا اللغة اليونانية <sup>(٣٩)</sup> ؛ ولم تكن الظروف السياسية مواتية حتى ينتقلوا إلى المدن قبل أن يصبحوا رهباناً . ولكن سرعان ما ظهرت المؤثرات الاغريقية بين المصريين عندما بدأت الديانة المصرية تنقرض تدريجياً في القرنين الثاني والثالث الميلاديين . وفي ذلك يقول إرمان Erman « في القرون التي أعقبت ميلاد المسيح كانت أفكار الاغريق تسود على الأفكار المصرية الصميمة وأصبحت ديانتهم نهائياً خليطاً كاملاً من العناصر الاغريقية والمصرية <sup>(٤٠)</sup> . ومن مظاهر هذا التغير أن التخطيط أخذ يقل فعلاً بعد ظهور المسيحية حتى تلاشى نهائياً في القرن الخامس الميلادي ، وحل محله الاعتقاد بأن في حياة النفس استعداداً للحياة الثانية ، وأنه ليس ثمة أهمية لبقاء الجسد سليماً لا يمكن عودة الروح اليه كما كان الاعتقاد قديماً .

أما المؤثرات المسيحية الأخرى التي أثرت في نشأة الحركة الرهبانية في مصر فهي التعاليم التي نادى بها أقطاب مدرسة الاسكندرية اللاهوتية ، أمثال أوريجانوس بن ليونيدس الذي ولد حوالي سنة ١٨٥ م من والدين مصريين مسيحيين وتعلم علوم عصره في المدرسة ( الاكليريكية ) بالاسكندرية ، متلمذاً على يدى اكليمنديس وغيره من معلمي ذلك العصر ، وعكف على قراءة الكتاب المقدس والتأمل في آياته ، ثم ساهم بسهمه في التعليم ففتح مدرسة قام بالتدريس فيها لقاء أجر زهيد ، هذا إلى جانب قيامه بالتأليف وتفسير أسفار الكتاب المقدس <sup>(٤١)</sup> ، ومقابلة نسخه وترجماته بعضها على بعض <sup>(٤٢)</sup> . وبلغت شهرة أوريجانوس أسماع البطريك ديمتريوس الكرام ، فوجد فيه الشخصية التي تستطيع إدارة دفة هذه المدرسة بعد تعطيلها بسبب هروب اكليمنديس مديرها

السابق أثناء الاضطهاد الروماني (٤٣) .

وعكف أوريجانوس منذ شبابه على النسك والعيشة الصارمة فوصفه يوزيبيوس بأنه « خلال اليوم كله تحمل جزءاً غير قليل من النظام ، فخصص لنفسه جزءاً كبيراً من الليل لقراءة الكتب المقدسة . وعود نفسه بطريق فاسق على التذلل بالصوم حيناً وبالنوم لوقت محدود حيناً آخر (٤٤) » .

ومن تعاليم أوريجانوس النسكية أنه دعا إلى عدم امتلاك البيوت أو العقار ، وشجع المسيحيين على ممارسة حياة التأمل والعزلة عن العالم . وانتشرت تعاليمه في كل مكان ، حتى في قلالي وادي النطرون فيما بعد ، وتناول بعض الزهبان كتبه بالتفسير والتأمل (٤٥) . غير أن الكنيسة عادت فانقلبت على أوريجانوس ، فاصدرت قرارها بحرقه وتحريم قراءة كتبه ، وذلك لأنه طبق تعاليم الكتاب المقدس حرفياً فحصى نفسه ، إلا أن هذا القرار لم يكن نهاية نشاط أوريجانوس إذ استأنفه خارج مصر (٤٦) ، كما أنه لم يحد من تأثير تعاليمه وآرائه على طائفة كبيرة من الراغبين في الزهد .

ويتضح مما سبق أن نظام النسك المسيحي ظهر في مصر المسيحية خلال القرون الأولى من انتشارها ، في أماكن ليست أهلة بالسكان ، وفي بعض المعابد المصرية القديمة التي هجرها الناس بعد اعتناقهم الديانة المسيحية ، وفي أكواخ أبتوها لأنفسهم بجوار النيل . وما لبثت حياة النسك المسيحية أن تطورت إلى حياة الرهبانية ، فانفصل الناس بعيداً عن الأماكن التي عاش فيها الناس ، واتخذوا لنفسهم مكاناً قصباً داخل الصحراء ليحيوا حياة رهبانية في بيئة جديدة ، من شروطها وجود الماء والتخيل

ومساحة مستوية من الأرض الصالحة للزراعة .

### قيام الرهبانية في مصر :

والمعروف أن القديس أنطونيوس ( ٢٥١ - ٣٥٦ م ) هو المنشئ الحقيقي للنظام الرهباني ، وأن ما سبقه اقتصر على مقدمات لم تكن تخضع لنظم أو ترتيبات واحدة ؛ على أن هذه المقدمات مهدت للنظام الرهباني . ومن هذه المقدمات خروج أحد أغنياء الاسكندرية وإسمه فروتينيوس \* إلى صحراء لمرون حوالي سنة ١٥٠ م . وكان فروتينيوس هذا ذا تاريخ حافل بالفضيلة ؛ إذ خرج وبصحبه جماعة عددها نحو السبعين ، قادم إلى صحراء النطرون حيث أسس أول ما عرف بالقلالي المسيحية (١٧) . ثم أن هذه الجماعة تدمرت على قائدها ، لنقص الغذاء ، وقلة المؤن التي تعود أحد أغنياء الاسكندرية أن يبعث بها اليهم ، فتفرقت واندثرت معالمها بموته .

على أن دخول هذه الجماعة في الرهبانية التي دعاهم إليها فروتينيوس نشأ كذلك من عدم اطمئنان أفرادها إلى الأوضاع

---

\* ذكر في الـ *Acta Sanctorum* تحت تاريخ ١٤ ابريل أن خروجه كان في عهد الامبراطور أنطونينس . واختلف المؤرخون في تحديد تاريخ تلك الجماعة إذ هناك من الأباطرة من يحمل هذا الاسم ثلاثة وهم *Antoninus Pius* سنة ١٥٠ م ، *Marcus Aurelius Antoninus* سنة ١٧٢ م ، و *Commodus Antoninus* سنة ١٩٢ م ، والراجح أن تلك الجماعة كانت في عهد الاول لإجماع المراجع على وفاة فروتينيوس سنة ١٧٢ م .

السياسية في مصر . حين عكف الاباطرة على اضطهاد المسيحيين . بل حرموهم حقوقهم المدنية ؛ ثم جاءت الحالة الاقتصادية في مصر ضغطاً على إقباله . ويمكن القول أن خروج هذه الجماعة لم يكن حادثاً فريداً ، وربما قام غيرها دون أن تسجلها الاخبار المعاصرة أو المتأخرة ، وسبب ذلك ، أن أساس الرهبانية الاولى إنكار الذات الذي نصت عليه التعاليم المسيحية . كما أن الرهبان كثيراً ما خشوا على أنفسهم من اضطهاد الرومان إذا هم أعلنوا عن أنفسهم .

وبما لا شك فيه أن قيام فرونتينيوس وأتباعه بالزراعة في تلك البقعة الصحراوية <sup>(٤٨)</sup> ، بعيداً عن ضجيج المدن وعسف الولاة الرومان واضطهادهم جعل لوادي النطرون أهمية مستقلة إذ هرع اليه الراغبون في الحياة الرهبانية الآمنة حيث هناك ضمان للقوت عن طريق الزراعة . على أنه من ناحية أخرى كان لموت فرونتينيوس أثر واضح في نمو مجموعة الرهبان في وادي النطرون ، وأغلب الظن أن كثيراً من الرهبان رجع إلى المدن والحياة المدنية لسبب أو لآخر . ولكن هذا لا يمنع بقاء بعض الرهبان من التابعين له في تلك البقعة ، برغم أن التاريخ لم يدون عنهم شيئاً .

على أن الصحراء الغربية لم تكن هي الموطن الوحيد الذي هرع اليه راغبو الرهبانية . إذ روى ديونيسيوس بطريرك الاسكندرية ( سنة ٢٤٦ — ٢٦٤ م ) أن القرن الثالث الميلادي شهد أعداداً كثيرة من المسيحيين تهرب من الاضطهاد الروماني . ومن هؤلاء أسقف ملبج الذي هرب إلى الصحراء

الشرقية ومعه امرأة ، ولم يعرف لها خبر بعد ذلك . ويضيف  
البطريق ديونيسيوس إلى ذلك أن بعض الهاربين إلى الصحراء  
الشرقية فضلوا البقاء فيها على الرغم من إنتهاء الاضطهادات (٤٩) .

وكان الانبا بولا الطيبي واحداً من هؤلاء الذين هربوا إبان  
إحدى موجات الاضطهاد على الكنيسة على عهد الامبراطور  
ديسيوس سنة ٢٥٠ م (٥٠) . ومن قصة الانبا بولا يتضح أنه  
ولد في طيبة من والدين غنيين ماتا عندما بلغ السادسة عشر  
ويقال أن حب الله ملك عليه قلبه وعقله . وأنه بعد أن دفن  
أباه عاد مع أخيه إلى بيتها ليقتسما ميراثها . فظهر أخوه طمعاً  
في تركه أبيه ، واقترح الاحتكام إلى حاكم المدينة . غير أنه  
أثناء المناقشات هدده زوج أخته (٥١) بإبلاغ المسؤولين عن اعتناقه  
المسيحية ، ففضل بولا الانصراف إلى العبادة . والبعد عن  
مشكلات العالم فهرب من طيبة إلى طافوس غربى المدينة . وظل  
بهذا المكان ثلاثة أيام قضاها مصلياً ، حتى إذا جاء اليوم الرابع  
غادره إلى داخل الصحراء الشرقية (٥٢) . واستقر به المقام أخيراً  
فى إحدى كهوف الجبال المطلة على البحر الأحمر - وهو المكان  
الذى يوجد به دير الانبا بولا الحالى - وذلك بسبب ما وجد  
على مقربة من ذلك الكهف من أسباب الحياة ، وهى نبع ماء  
رائق وبضعة نخيل . كان من بينها نخلة واحدة مثمرة . فاعتمد  
بولا على ثمر النخلة فى غذائه (٥٣) . كما صنع لنفسه ثوباً من  
ليف النخلة . ومكث الانبا بولا عابداً ناسكاً حتى بلغ الثالثة  
عشر بعد المائة - على قول الرواية - ولولا أن عثر عليه  
مصادفة القديس أنطونيوس الذى بلغ حوالى التسعين من العمر  
وقتذاك لظل أمر الانبا بولا مجهولاً (٥٤) .



غير أن البعض يذهب إلى أن القديس أنطونيوس كان في سن الشباب عندما حدثت تلك المقابلة \* . والواقع أن أنطونيوس سبق أن قطع مرحلة كبيرة في الرهبانية قبل هذه المقابلة . إذ أن تلاميذه سألوه عند عودته عن سبب غيابه (٥٥) . وعلى هذا الأساس يمكن تحديد تاريخ الزيارة على وجه التقريب سنة ٣٤٧م، وهي نفس السنة التي توفي فيها الأنبا بولا (٥٦) .

والقيمة التاريخية لهذه الأمثلة هو ما تلقيه من الضوء الكثير على تاريخ الرهبانية في مصر ابتداء من أواخر القرن الثاني الميلادي . إذ يقال أنه في عهد الأنبا أثناسيوس بطريرك الإسكندرية العشرين في عداد البطاركة ( ٣٢٨ - ٣٧٣ م ) أي أواخر القرن الرابع الميلادي . حدثت مشاحنة بين رهبان ديار مصر واليونانيين حول هذه الطلائع الرهبانية لمعرفة أصحاب الأولوية فيها - غير أنه يتضح مما سبق أن اسم الرهبانية لم

---

\* يستندون على رأي بلاذيرس من أن حياة الأنبا بولا انتهت في عهد ديسيوس أوقالريان أي بين سنتي ٢٤٩، ٢٧٠ م فتكون ولادة الأنبا بولا حوالي سنة ١٥٠ م وبداية حياته النكية قبل نهاية القرن الثاني الميلادي وبوفاته حوالي سنة ٢٦٣ م ، في وقت أن كان أنطونيوس الذي ولد حوالي سنة ٢٥١ م في الثانية عشرة ولا زال في رعاية والديه وهذا ينفي حدوث الزيارة وقتذاك . ويزيد هذا وضوحاً أن الأنبا بولا ذكر للقديس أنطونيوس أثناء المقابلة أن هروبه كان في عهد الامبراطور ديسيوس وكان عمره آنذاك حوالي ١٦ سنة وبذلك تكون ولادته حوالي سنة ٢٣٤ م . انظر

يسبق أن ظهر حتى وقت أنطونيوس ، بل أطلق المعاصرون على الواحد من أصحاب الحياة الإنعزالية ، الناسك المنعزل في قلايته ، (٩٧) . وهذا يؤيد ما سبق الإشارة إليه من أن الحياة النفسية المسيحية سبقت النظام الرهباني المعروف بقوانينه الواضحة .

وخلاصة القول أن خروج الأنبا بولا إلى الصحراء الشرقية كان مبعثة موجة الاضطهاد التي اجتاحت مصر في عهده ، وهكذا فضل الأنبا بولا أن يحيا حياة نسكية مسيحية بعيداً عن مشكلات العالم واضطراباتة ، والراجح أنه لو كان خروج القديس بولا لتأسيس نظام رهباني لسلك مسلك القديس أنطونيوس في الإقامة على مقربة من مدينة من المدن ليجتذب إليه التابعين (٩٨) ، إذ المعروف أن الأنبا بولا هرب فجأة إلى جوف الصحراء وبقيت قصته مدة طويلة في طي الكتمان دون أن يدونها أحد ، حتى أن أثناسيوس بطريرك الاسكندرية العشرين لم يذكر في سيرة القديس أنطونيوس التي كتبها شيئاً عن الأنبا بولا .

ومن النساك الذين سلكوا طريق النسك المسيحي الأول القديس أنطونيوس ، وهو الذي يعتبر المؤسس الحقيقي للنظام الرهباني في مصر ، نظراً لما استحدثه من النظم والترتيبات لراغبي الحياة الرهبانية . وتتفق معظم الروايات على أنه ولد في بلدة « كوما » ، وهي قن العروس الحالية مركز الواسطي حوالى سنة ٢٥١ م من والدين غنيين ، ولم يكن أميناً كما تصوره البعض لكنه أتقن لغته . وما كاد يبلغ الثامنة عشر حتى حرم رعاية

أبويه اللذين توفيا في سنة واحدة . بعد أن تركا له ثروة طائلة وأخت صغيرة <sup>(٥٩)</sup> . ولعل من دوافع إتحاذه إلى الحياة الرهبانية ، ما عرف عن حياته البسيطة التي عاشها في ظل التعاليم الكنسية ، وما كان بمصر وقتذاك من الأفكار النسكية ، وكثرة النساك في الأكواخ المتفرقة على ضفاف النهر .

وحدث أن ذهب أنطونيوس إلى الكنيسة فسمع الكاهن يتلو فصل الإنجيل ، فاجتذبه الآية القائلة : « إن أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبع كل مالك واعط الفقراء وتعال إتبعني فيكون لك كنز في السماء » <sup>(٦٠)</sup> . وتقول سيرته أنه اعتبر كأن هذه الفقرة قرئت له هو بالذات ، لانطباقها على حاله بعد وفاة والديه ، ولم يبق له في الدنيا سوى أخته ، فللحال خرج من الكنيسة ووزع أرضه الواسعة المساحة على فقراء قريته ، محتفظاً لنفسه بقليل من المال لمصلحة أخته . . غير أنه دخل الكنيسة مرة أخرى وسمع الكاهن يتلو بما في الإنجيل : « لا تهتموا للغد » <sup>(٦١)</sup> فخرج من الكنيسة عاقداً العزم على أن يسلك مسلكاً جديداً في حياته ، فأرسل أخته إلى بيت للعداري <sup>(٦٢)</sup> ؛ ثم خرج من القرية حوالي ٢٧٠ م إلى مكان قريب من قريته حيث أقام في كوخ صغير إلى جوار شاطئ النيل ، يدرّب نفسه على حياة النسك كما فعل النساك المسيحيون السابقون .

ولما كان أنطونيوس شاباً حديث العهد بحياة النسك ، فإنه دأب على الإتصال بالشيخ النساك المجاورين له <sup>(٦٣)</sup> . ورأى

أنطونيوس أن في إقامته في ذلك المكان خطراً على حياته الروحية، بسبب رؤيته لبعض النساء اللاتي كن ينزلن إلى النهر للاستحمام (٦٤)، فارتحل إلى المقابر القريبة من القرية، ولكنه لم يطل الإقامة بها إذ هداه تفكيره إلى عبور النهر إلى المناطق الجبلية حيث أقام في حصن مهجور في منطقة بسبير Pispir على الضفة الشرقية للنيل، واتفق أخيراً مع بعض الذين اجتمعوا حوله من المعجبين بطريقة حياته، والذين انتشروا في مناطق متفرقة، على أن يحضروا له الخبز الجاف ثلاث مرات في السنة دون أن يحاولوا الاتصال به أو الإقامة عنده (٦٥).

ومن ثم بدأت مرحلة إنتشار الصوامع في الجبال، إذ اجتذبت قدسية الأنبا أنطونيوس وشهرته كثيراً من الراغبين في التلذذ على يديه، فدأب على الخروج إليهم بعد أن إطمأن إلى أغراضهم، وكان يعظهم ويعلمهم طريق الرهبانية، ثم يتركهم ليعود كل منهم إلى صومعته، فيعكف على تدريب نفسه على حياة النساء، والرهبنة وذلك بتطبيق تعاليم رائدهم القديس أنطونيوس (٦٦).

من الأمور الهامة في حياة القديس أنطونيوس والتي تجعل للرهبانية أهمية خاصة في تاريخ الكنيسة، باعتبارها فلسفة الديانة المسيحية، أن القديس أنطونيوس حرص وقتذاك ألا يقطع صلة بالكنيسة، فعندما حل بالمسيحية الاضطهاد في عهد مكسيميانوس بين سنتي (٣٠٣ - ٣١١ م) ارتحل القديس أنطونيوس إلى الاسكندرية لكي يشجع المستشهدين في الميادين

والمسجونين في سجون الاسكندرية من أجل المسيحية ، وظل القديس أنطونيوس بالاسكندرية حتى استشهاد البطريك الأنبا بطرس - البابا السابع عشر في عداد باباوات الاسكندرية ، وهو المعروف بخاتم الشهداء ( سنة ٣٠٣ - ٣١١ م ) ، وانتخاب ارشيلاونس خلفاً له (٦٧) ، فعاد القديس أنطونيوس وفي رأسه فكرة جديدة عن حياة الراهب وضرورة الانتقال إلى داخل الصحراء الشرقية ، فارتحل مع قافلة من الأعراب حتى حط رحاله في المكان الذي يقوم فيه الدير المعروف باسمه حالياً - وهو على مسيرة أربعة أيام شرقاً من بوش الحالية - وهي منطقة على مقربة من ساحل البحر الأحمر امتازت ببعض النخيل ونبع ماء (٦٨) .

أما سبب رحيل القديس أنطونيوس إلى داخل الصحراء الشرقية فلا تذكر عنه المراجع الأصلية شيئاً ، ويبدو أنه رأى أن حياة النسك الصحيحة لا تتم على مقربة من صخب الناس الملتفين حوله ، ففضل أن يهجر تلك الحياة لينعم بالهدوء الذي أراده .

وفي هذا المكان الجديد ، وفي تلك الصحراء الموحشة عكف القديس أنطونيوس على تدريب نفسه على ضروب الحياة الرهبانية الصارمة من صوم إلى صلاة . غير أنه حين شعر بالملل يدب في حياته النفسية ، فكر أن يشغل بعض وقته ، فزرع قطعة الأرض لتمده بحاجاته ، كما اشتغل في صناعة الحصر والسلال من أوراق النخيل (٦٩) .



ولم تمض مدة طويلة حتى امتلأت المنطقة المحيطة به بصوامع وقلالي تلاميذه المعجبين بطريقة حياته ، وهم الذين اكتشفوا مكانه الجديد من القبائل الرحل عبر الصحراء الشرقية (٧٠) ووجد القديس أنطونيوس نفسه مضطراً للخروج إلى تلاميذه في هذا الجبل بعد أن انتشروا بشكل ملحوظ إلى جواره وذلك من أجل تلقينهم النظم التي رآها ضرورية لتكوين الراهب ، حتى إذا ما انتهى من نصائحه عاد كل منهم إلى قلايته ليستكمل تدريبه الروحي .

ثم عاد القديس أنطونيوس مرة أخرى إلى الاسكندرية سنة ٢٣٧ م للاشتراك في النضال الاثناسيوسى ضد الاريسيين ، ثم اتصل بالامبراطور قنسطنطيوس كاتباً اليه يطلب رجوع البابا أثناسيوس من منفاه في تريف Treves (٧١) . وبعد أن قام بدوره في الجهاد عاد إلى قلايته في داخل الصحراء الشرقية ، وظل بها حتى وفاته سنة ٣٥٦ م . ومن سيرة الانبا أنطونيوس نعرف أنه حرص على افتقاد جماعات رهبانه التي إنتشرت في الصحراء الشرقية والغربية ، كذلك في بسبير وأرسينوى ( الفيوم الحالية ) وبتريا وطيبة وحول الاسكندرية (٧٢) ، كما حرص أولئك الرهبان على زيارة معلمهم ، والاستماع إلى نصائحه ثم العودة إلى قلايتهم سريعاً .

ومن كل هذه الأمثلة يتبين لنا أن الرهبانية بدأت حركة عليانية ، ورغم أنها لم تنشأ في حجر الكنيسة ، لكنها سارت

وفق بعض مثلاً العليا ، وبدأت مخرجاً طبيعياً للحماسة المتولدة في نفوس المسيحيين الأولين (٧٣) ، وتعبيراً عن الميل الفطرية في الطبيعة البشرية (٧٤) . واتخذت تلك الميل أدواراً فلسفية : تلفة ، فمن الدور الانعزالي في حياة قريية من الناس إلى حياة الزهد الكامل في جوف الصحراء الموحشة ، ثم تكونت الجماعات الرهبانية من الرهبان الذين التفوا حول الرئيس الروحي لهم في الأماكن السابقة الذكر ، وسارت تلك الجماعات على النظم الانطونية الصارمة ، ومع تطور الحياة النسكية إلى حياة رهبانية منظمة ، لم تعد حياة الراهب في الصحراء راحة أو دعة أو هرباً من المسئوليات بل صراعاً نفسياً لحراسة النفس ضد شهوات العالم وأهوائه (٧٥) . فلا عجب أن بدأت الكنيسة القبطية تنظر إلى الرهبة على أنها أملاً في حفظ تقاليد وتعاليم المسيحية . على أنه ينبغي أن يكون معلوماً أن الرهبانية الجديدة لقيت معارضة بعض رجال الدين في بعض بلاد أوروبا بعد أن صارت معروفة لدى أولئك البعض ، مثال ذلك ما حدث في أسبانيا عندما قرر مجمع سرقسطة سنة ٣٨٠ م منع القساوسة من الحياة الرهبانية ، ومع كل هذا لم تستمر هذه المعارضة طويلاً ، بل إنتهت الرهبة في الخارج حتى أصبح الكثير من الرهبان أساقفة فيما بعد.

#### قيام الديرية الباخومية في مصر :

وعلى حين جاهد أنطونيوس في تكوين جماعات الرهبان ورعايتهم وإرشادهم إذ يباخوميوس وهو راهب مثله في صعيد

مصر يخرج على الدنيا بنظام جديد هو النظام الديري ، وهو نظام رأى فيه باخوميوس تخفيفاً من قسوة النظام الانطوني .

واختلفت الروايات في تحديد تاريخ ومكان ولادته (٧٧) ، وأغلب المؤرخين يتفقون على أنه ولد في لاتوبوليس ، وهي إسنا الحالية حوالى سنة ٢٨٥ م (٧٨) وأنه عندما أصبح جندياً فى جيش الامبراطورية ، إشتراك فى الحملة التى جردها الامبراطور قسطنطين لإخضاع والى الحبشة المتمرد (٧٩) . واتخذت الحملة طريقها فى النيل ، كما يقال أن باخوميوس أعجب بسلوك المسيحيين الذين قاموا على خدمة الجنود مما جعله يعتنق المسيحية عقب عودته مع هذه الحملة . وقصد باخوميوس سريعاً إلى Chenoboskion أو شنسيت وهى بلدة قصر الصياد الحالية بمديرية قنا . حيث عمد بكنيسة القرية (٨٠) ، وقصد بعد العاد إلى أحد معابد سيرايس المهجوره بجوار النهر للإقامة به ، وظل به كما تذكر سيرته - التى كتبت بالقبطية البحرية - حوالى ثلاث سنوات وهو يمارس ضروب الذسك الشائعة آنذ (٨١) .

غير أن هذه القصة أثارت بعض الشك فى ديانة باخوميوس إبان وصوله إلى معبد سيرايس ، واتهمه البعض أنه لم يكن مسيحياً وقتذاك ، فاعتقد وينجارتن - المؤرخ البروتستانتى المذهب - بأنه كان واحداً من اللاجئى فى المعبد ، والذين عاشوا به على نحو ما عاش لاجئو سيرايس فى العصر البطالى (٨٢) . وواقع أن تاريخ حياته الذى كتب باللغة اليونانية لم يذكر شيئاً عن أنه جاء

إلى ذلك المعبد لاجئاً ، على حين يتفق معظم المؤرخين على أن باخوميوس إختار بلدة شفسيت لأنه لم يكن بها سوى عدد قليل من الناس ، وذهب إلى معبد صغير مهجور بجوار النهر كان يسمى قديماً معبد سيراييس ، وظل هناك يتعبد في حياة نسكية مسيحية (٨٣) ، وإغتذى من شجر النخيل الذي كثرت أعداده هناك ؛ ويبدو أن شجر النخيل في مصر عما نبت على قارعة الطريق كان شركة بين الفقراء وأبناء السبيل ؛ كما أن باخوميوس شغل بعض وقته بزراعة بعض الخضروات (٨٤) .

على أن باخوميوس الشاب احتاج لمن يرشده من شيوخ الرهبان فاتصل بليمون ، أحد الرهبان المقيمين بجواره ، ورغب في التلذذ على يديه ، فحاول هذا الراهب الشيخ أن يثنيه عن عزمه شارحاً له ما يعانيه الرهبان من المتاعب البدنية ومحاربة شهواتهم وكبح جماح غرائزهم .

ولإزاء إصرار باخوميوس ، ألبسه بليمون إسكيم الرهبان (٨٥) ، بل دعاه إلى مشاركته قلايته بخلاف ما كان مألوفاً إنذاك من انفراد الراهب في قلايته ، وربما كان ذلك لصغر سن باخوميوس . وصار الاثنان يواظبان على النسك والصلاة معاً ، ويشغلان في بعض الأوقات بغزل الشعر ونسج المسوح ، وينالان من ذلك الحاجة الضرورية ، وما فضل عنها يدفعانه للساكين (٨٦) .

وهكذا أصبح باخوميوس واحداً من الرهبان الذين اجتمعوا حول بليمون ، وعاش أول ما عاش في ظل نظام رهباني مستمد

من طريقة أنطونيوس . والواقع أن المدة التي قضاها باخوميوس مع بليمون كانت كافية بأن يشعر باخوميوس بمآعب الوحدة ، بما حدا به إلى التفكير في الانتقال بذلك النظام الرهباني إلى نظام آخر يجمع الهائمين على وجوههم منفردين في البراري والقفار ، فضلا عن أن باخوميوس لمس عن كثب ما تعرض له الكثيرون من الرهبان من فتك الحيوانات الضارية وقطاع الطرق من أهل البادية وما تعرض له الكثيرون من الأمراض ، وخاصة في بداية حياتهم الرهبانية بما حدا به إلى الانتقال إلى نظام جديد أساسه حياة الشركة . وأراد باخوميوس بهذا النظام معاونة البادئين في الحياة الرهبانية بما تعرضوا له من أزمات نفسية عنيفة أودت ببعضهم إلى مهاوى التلف أمثال فالنس الفلسطيني وبطليموس المصري (٧٨) .

وهكذا لم تكد تمضي سبع سنوات عاشها مع الراهب بليمون حتى رحل باخوميوس إلى قرية تابنيسى (٨٨) ، شمال فاو الحالية بمديرية قنا على الشاطئ الشرقي لنهر النيل ، وصحبه إلى هناك معلمه الذي ساعده في بناء قلايته في تلك البقعة البعيدة عن أعين الحكام الرومان . وما لبث أن إزداد عدد الرهبان حوله في فترة وجيزة . وحرص باخوميوس على أن يدرّبهم على الحياة الديرية الجديدة ، وهي حياة قامت على الشركة في المسكن والمأكل والعمل والصلاة داخل مبنى أطلق عليه اسم دير ، أحاطه بأسوار على طراز الأسوار الرومانية العالية الضخمة . وفي داخل الدير خضع الديرئون لنظام موضوع أحكت حلقاته ، وسلكوا في طريق



النسك في طاعة تامة لرئيسهم الروحي ، بل حرص الديرين على تنفيذ القوانين الباخومية حرصاً تاماً عن إيمان بها وعقيدة تامة ؛ ولما لا ؟ فقد أصبح القديس باخوميوس مثلاً أعلى للحياة المسيحية النسكية في ديرية منظمة تكفل للأفراد حياة الأمن فضلاً عن السلام الروحي .

ثم ما لبث أن كبر هذا الدير الذي تم بناؤه في تابنيسى واتسع جداً ، حتى قيل أنه ضم من الديرين نحو الفين وخمسمائة ، عاشوا حياة اجتماعية في ظل نظام ديرى منتج (٨٩) .

على أن جهود الأنبا باخوميوس في نشر الديرية لم تقف عند حد ، إذ أنشأ ديراً جديداً في الأرض الخربة في بابو Pabou وهي فاو الحالية جنوبى قصر الصياد (شرق النيل أيضاً) ، ونقل إليه بعض رهبان الدير الأول ، وعهد اليهم إدارة الدير الجديد وترتيبه على النظام الباخومى (٩٠) . وازدهرت الحركة الديرية حتى أن باخوميوس أنشأ ديريه الثالث في شنسيت التى بدأ فيها حياته المسيحية ، وازدهمت هذه الأديرة من ازدهاماً كبيراً اضطر معه باخوميوس إلى زيادة عدد الأديرة ، كما أن بعض النساك حضروا إليه ، وسلوه جماعاتهم الرهبانية وطالبوه بتحويلها إلى أديره حتى قيل أنه في أواخر حياته بلغ عدد الأديرة تسعة للرجال (٩١) ، أصبحت تضم في أواخر القرن الرابع حوالى سبعة آلاف ديرى خضعوا لنظام القديس باخوميوس فى إحكام ظاهر ودقة تامة (٩٢) .

ونظم الأنبا باخوميوس الخدمة في داخل الدير ، وأعطى كل ديرى عملاً حسب قدرته الجسمية ؛ فلم يكلف واحداً منهم فوق طاقته ، ورسم من أجلاء الأخوة خبازين ، ومن يطبخ للأخوة في الأيام الملائمة ، ومن يهتم بتنظيف المائدة ..... وكان الأكل مردوداً إلى الإرادة والاختيار ، من شاء الغذاء كان الاختيار إليه ، ومن أثر الانعكاف على النسك ما كان أحد يحجز عليه... ووكل على أبواب الدير بوابين ورعين .... وبجوار الباب كان بيت الضيافة ، وجعل متوليه والمقدم على ما فيه راهباً (ديرياً) ورعاً عالماً ذا حنكة وتجربة ..... ورتب بيتاً آخر ينزل فيه الأخوة المرتاضون بالامتحان للسيرة قبل رهبانيتهم ، في مدة ثلاث سنوات . ورتب لهم شيخاً مباركاً عابداً خالصاً ، يعظمهم ويهتم بأنفسهم <sup>(٩٣)</sup> ، . وفوق هذا رتب لكل دير أقنوماً ( فرداً راهباً ) يهتم بجميع حاجات الدير ، وجعله نائباً عنه بالأديرة التي أنشأها . وعلى هذا النحو أصبح الدير شبه ضيعة ، توفرت فيها ألوان الحياة الاجتماعية والدينية في نظام محكم .

على أنه مما هو جدير بالملاحظة أن دير بابو لمحتل مركزاً هاماً في النشاط الديرى ، حتى أن الأنبا باخوميوس انتقل إليه وجعل منه الدير الرئيسى ، الذى تولى الإشراف على باقى الأديرة وتوجيهها <sup>(٩٤)</sup> . وحوالى سنة ٣٤٦ م انتشر وباء فى تلك الأديرة ، ومات عدد كبير من الرهبان منهم الأنبا باخوميوس نفسه <sup>(٩٥)</sup> ، الذى ظل طيلة حياته حريصاً على تنفيذ النظام الديرى ، الذى استنبطه للأديرة التى خضعت لقانونه .

ويبدو أن تربية الأنبا باخوميوس العسكرية في الجيش الروماني جعلت منه ديراً صارماً ، غير أن هذه الصرامة لم تصل إلى مثل ما وصلت إليه صرامة زعيم ديرى آخر هو شنوده الاتريبي ( سنة ٣٣٣ م - سنة ٤٥١ م ) وهو الذى صاغ القوانين الديرية فى أسلوب عفيف ، فضلاً عما قام به من إصلاحات ديرية جليلة الشأن كان لها أكبر الأثر فى إحياء القومية المصرية والثقافة الوطنية (١٦) .

### شنوده الأنخيمى وتطوير الديرية :

على أن ما حدث من تطوير جديد للحركة الديرية على يدى الأنبا شنوده يدفعنا إلى الوقوف على تاريخ حياته . ومن أمره أنه ولد فى اليوم السابع من بشنس عام ٤٩ للشهداء ( مايو سنة ٣٣٣ م ) بقرية شلاله التابعة لمدينة أنخيم ، وتأثر فى حياته أيما أثر بالأحوال السياسية والاجتماعية التى رزحت تحتها مصر فى عصره من الحكم البيزنطيين ، فكرس شنوده جهوده لمقاومة هذه الاضطهادات وإثارة الوعى القومى والمسيحى بعيداً عن العنف ، متخذاً لإيمانه العميق سلاحاً للمقاومة . وجعل شنوده من جهده فى الزهد والتقشف والصوم والصلاة مثلاً من أمثلة المسيحية الصادقة لرهبانه الذين سعى إلى تدريبهم على تقليده والسير على نظمه فى غاية الدقة .

كره القديس شنوده الدولة المستعمرة وعمل على كشف عيوب الاستعمار وشروره للشعب المصرى ، ولتسمت جهوده بالسعى الحثيث المتصل لتحرير الحياة المصرية بشتى نواحيها من المؤثرات البيزنطية ، ومن ثقافة المستعمر . وقد تعلم القديس شنوده فى رهبته عند خاله الأنبا

بحول الذي لاهتم اهتماماً خاصاً باتقان اللغتين القبطية والاعريقية وتعليمه باقي العلوم الكنسية في مدرسة الدير الأبيض . وصار ذكاء شنوده وشخصيته من العوامل التي عاونت على إعطائه صفات القيادة في مجتمعه . واعتقد الأنبا شنوده أن أحسن درجات الرهبنة هي الرهبنة الانفرادية فانفرد في جوف الصحراء - بعيداً عن الدير - في غار مهجور وقضى فترة طويلة متوحداً في صلوات وتأملات ، دون أن يهمل العمل اليدوي . وبعد خمس سنوات من الخبرة الروحية والممارسات الرهبانية في هذه المغارة ، عاد إلى الديرين وإذ بهم ينظرون إليه في إكبار . وبلغ مركزه درجة كبيرة في نظر الرهبان حتى أنهم بعد وفاة الأنبا بحول سنة ٣٨٣م اختاروه رئيساً للدير ، وكان هذا الاختيار موفقاً إذ سرعان ما نشط القديس الأنبا شنوده في العمل الديري والعمل الروحي ، كما قام القديس بعدة إصلاحات شملت تطويراً جديداً للحياة الديرية (٩٧) .

على أن أهم ما وصفت به قوانين شنوده هو شدتها وصرامتها ؛ ولا عجب في هذا ، فإن شنوده سعى إلى الكمال الروحي عن طريق الاغراق في الصلوات والتأملات ، فضلاً عن أعنف ضروب التقشف والحرمان . ومع أنه ليس لدينا نص كامل عن قوانين الدير الأبيض ، فإن بعض أجزاء هذه القوانين بالإضافة إلى كتابات الأنبا شنوده وخطبه وعظاته الكثيرة فضلاً عن سيرته التي كتبها خليفته الأنبا ويصا - هذا كله - يلقى ضوءاً كافياً على مثل هذه الحياة التي أراد إيجادها الأنبا شنوده في داخل الدير الأبيض . ومن هذا الذي وصلنا يظهر لنا أن الأنبا شنوده حتم على رايغب الانتظام في الرهبنة أن يبقى خارج الدير بعض الوقت . ريثما يتيسر التحقق من مدى إستعداده لممارسة حياة العبادة والتقشف . فإذا

ظهرت قدرته أجز دخوله الرهبنوعين له محل إقامته، غير أن الأنبا شنوده استحدث عهداً كتابياً على الراهب الجديد بالتزام المساواة التامة مع باقى الرهبان، وهذا العهد لم يعرف من قبل فى قوانين الأنبا باخوميوس. وجعل الأنبا شنوده على رأس الديرين جميعاً رئيساً أعلى عرف إبتداء من القرن الخامس « بالارشمندريت »، أى رئيس المتوحدين .

والخلاصة أن الأنبا شنوده استطاع أن يجذب إلى أديرته عدداً كبيراً من الرهبان بلغ نحو أربعة آلاف ، أخذ الأنبا شنوده على عاتقه تهذيبهم وتعليمهم وإرشادهم إلى طريقة الحياة الديرية الصحيحة . ولم يقتصر نشاط الأنبا شنوده عند هذا الحد وإنما تعداه إلى العمل فى نطاق الكنيسة وذلك بالمحافظة على إيمان المسيحيين الذين لم يتقدموا للرهبنة ، ففتح لهم أبواب الدير ليستمعوا للعضات والتفاسير المختلفة للكتاب المقدس . وحاول جاهداً أن يمحو من أذهانهم بقايا الديانة الوثنية وطقوسها التى علقت بأذهانهم . وكرس الأنبا شنوده جزءاً كبيراً من وقته لمقاومة الديانة الوثنية تارة بالوعظ والارشاد، وأخرى بالكتابة والنصح . وكان الأنبا شنوده يرى فى الديانة الوثنية مظهراً من مظاهر الاستعمار ، فعمل كل جهده على محاربتها وإظهار مقومات الثقافة المصرية، والعمل على إحياء القومية المصرية وخاصة من جانب اللغة المصرية التى جاهد فى تخليصها من كافة شوائب اللغة الاغريقية التى أصدر أمره بحرمان كل من يتخاطب بها أو يكتب بها .

ولهذا لا نعجب حين نقرأ ما كتبه ورل Worrell عن الأنبا شنوده بأنه هو أعجب شخصية أخرجها القبط فى أى عصر من عصورهم



الطويلة وبأنه مؤسس المسيحية القبطية (٩٨) .

### رهبنة النساء :

ونشأت حركة ديرية نسوية في عهد باخوميوس عندما أسس ديرين للنساء في صعيد مصر . غير أن هذا أثار اختلاف المؤرخين في تحديد بداية الديرية النسوية ، فذهب البعض إلى أن قصة إيداع أنطونيوس أخته عند العذارى تجعل للديرية النسوية أسبقية على ديرية الرجال .

ومع أن النسك بين النساء عرف في القرون السابقة للمسيحية بدليل وجود اللاجئات في المعابد (٩٩) ، على نحو ما شاهدنا في لاجئات سيرايس ، إلا أن البحث عن أصول الحياة النسكية بين النساء في القرون الأولى لانتشار الديانة المسيحية بمصر محاط بشيء من الغموض . وليس لدينا من الأدلة سوى ما يذكر في العهد الجديد عن قيام الكنيسة بالاتفاق على الارامل حسنات السيرة ، واللواتي طلبن أن يصبحن تحت إشراف الكنيسة في بيوت خاصة إسمها بيوت العذارى (١٠٠) ، لا شك أنها ضمت عدداً من العذارى اللائي فضلن البتولية وخدمة الكرازة . غير أنه يلاحظ أن هؤلاء العذارى والارامل لم يعشن في بادئ الامر حياة رهبانية انعزالية بل عشن في بيوتهن ، فمن خالت في نفسها القدرة على ممارسة الحياة النسكية اعتزلت عن سائر زميلاتهن في نفس المنزل ، ثم انتقلت إلى بيوت العذارى لممارسة حياة النسك (١٠١) .

وفي أحد هذه البيوت التي ضمت العذارى يبدو أن الانبا أنطونيوس أودع أخته . كما أودع الانبا ديمتريوس الكرام - الثاني عشر في عداد البطاركة السكندريين (١٨٨-٢٣٠ م) زوجته التي تعهد معها منذ زواجه

على أن يعيشا حياة البتولية ، وبدأت هذه الزوجة ممارسة حياة الرهبنة بعد رسامته بطريركاً (١٠٢) ، وإعطائه إياها الحل بأن تفارقه حرصاً على تنفيذ قوانين الكنيسة في بتولية البطريرك .

وبانتشار بيوت العذارى في البلاد المصرية في غضون القرن الثالث الميلادى كثر ظهور المبشرات والمعلبات اللائى تتلذن على يدى معلمى ذلك العصر (١٠٣) . ثم أنه حين أفردت السلطات الرومانية سكان البلاد بصنوف العذاب نال العذارى نصيبهن منه ، ومنهن دميانه وأربسيما وغيرهن من العذارى اللائى أعدمهن دقلديانوس بعد تعذيبهن عذاباً طويلاً ، ورفعتهن الكنيسة إلى مرتبة الشهداء وصارت تتلو تاريخ حياتهن فى صلواتها (١٠٤) .

غير أنه ليس هناك ما يشير إلى إطلاق كلمة الديرية على بيوت العذارى فى أوائل القرن الرابع الميلادى . ومعنى هذا أن الديرية النسوية لم تسبق أديرية الرجال . ولا سيما أن حياة العذارى فى تلك البيوت آتفة الذكر لم تتوفر فيها أركان الديرية ، وأخصها البعد عن الأماكن الآهلة بالسكان ، أو ما عرف بالانفراد والعزلة . كما أن بعضهن فضلن الزواج بعد إقامتهن مدة فى هذه البيوت ، ثم أنه يبدو أن الأرامل والعذارى ممن فاتهن سن الزواج . أو ممن فضلن حياة النسك طبق التعاليم المسيحية ، عشن عيشة مشتركة فى بيت واحد ، فتكون ما عرف باسم بيوت العذارى التى تولت الكنيسة الاشراف عليها روحياً ، كما تولت الاتفاق على أفرادها . وقامت الكنيسة بهذا كله دون أن تكون هناك إتهامات لآى نظام ديرى وقتذاك . وفى هذه البيوت أودع الأنبا آمون مؤسس رهبنة

تتربا ، زوجته مع عدد من النساء . ويبدو أن أخت الأنبا أنطونيوس سلكت نفس السبيل ، بل أصبحت مشرقة على مجموعة كبيرة من العذارى (١٠٥) .

أما النتيجة الطبيعية لتطور الحياة الرهبانية إلى الحياة الديرية ، أو ما عرف بالشركة ، بين رهبنة الرجال ، هذه النتيجة هي تطور الحياة عند العذارى إلى هذا اللون من الديرية ، وذلك عندما أسس الأنبا باخوميوس لآخته ديراً بجوار أخيم ، ضم نحو أربعائة من العذارى . وأتبعه بآخر ، ثم كتب الأنبا باخوميوس لهذين الديرين قانوناً سار العذارى عليه (١٠٦) . ثم تبع هذا كله إنتشار أديرة النساء في أنحاء مصر ، وكذلك انتقال مثل هذا النظام إلى خارجها .

وحدثنا بلاديوس المؤرخ - الذى زار مصر أواخر القرن الرابع الميلادى - أنه زار ديراً للراهبات فى أتريب بجوار أخيم ، إبتناه أحد ملاك الأراضى الأغنياء ، وأشرف على إدارته أحد شيوخ الرهبان الذى أقام فى حجرة عالية لا تتصل بالراهبات فى داخل الدير ، ولكن يفتح بابها على خارج الدير ، ويبدو أن وظيفة هذا الشيخ لم تعد مراقبتهم فى بعض الأوقات وكذلك تزويدهم بالتعاليم والعظات من مكانه المرتفع (١٠٧) . ومن تلك الأديرة كذلك عدة أديرة فى اتينوى ، وهى قرية الشيخ عباده بمديرية أسيوط . وهذه الأديرة كانت تحت إشراف الأم تاليس Talis التى قيل أنها لم تجد داعياً للاحتفاظ بمفتاح الدير ، لمنع الراهبات من الخروج - أى أن النظام لديها لم يستدع وجود أى نوع من التزمّت فى معاملة الراهبات (١٠٨) .

غير أن هذا كله لم يمنع عدداً من النساء من اعتزال العالم للحياة

حياة الرهبانية الانفرادية ، بعد أن أصبحت هذه الحياة معروفة ومنتشرة بين الرهبان رغم وجود الأديرة ، فعاش بعضهم منفردات في الصحراء كما أن بعضهم تزي بزى الرجال ، ولم يكتشفن إلا في أواخر حياتهن (١٠٩) . ومن الراهبات المنفردات خارج الاسكندرية الراهبة اسكندره ، التي حبست نفسها عشرة سنوات ، لا تكلم إنسياً وتأخذ طعامها من فتحة صغيرة (١١٠) ، كما عثر بعض الرهبان على راهبات منفردات على مقربة من صحراء نتريا ، ولاغرو ، فقد جذبت هذه البقعة بعضاً من الأوربيات اللاتي رغبن في الإعتزال ، ومنهن ميلانيا التي حضرت إلى وادي النطرون في أواخر القرن الرابع الميلادي ، وعقدت محادثات مع رهبانه ، ثم إنتقلت إلى فلسطين لتمارس حياة نسكية جديدة (١١١) .

وخاتمة المطاف فإنه على الرغم من هذا التطور الذي رأيناه في الانتقال من الحياة الرهبانية إلى الحياة الديرية على يد القديس باخوميوس ، وإتخاذ الديرية شكلها الجديد على يد القديس شنوده ، فليس معنى هذا أن مصر عذمت الجماعات الرهبانية أو الحياة الرهبانية في القرن الرابع الميلادي ، إذ أن وادي النطرون إمتلأ بالجماعات الرهبانية والرهبان المنفردين ، الذي ساروا على النظام الأنطوني ، وهو النظام الذي إعتبره الرهبان المقيمون في هذه البقعة مثلاً أعلى للحياة النسكية المسيحية .

ولهذا سنتناول في دراستنا ، في الفصول التالية ، الرهبنة في وادي النطرون كصورة للرهبنة الأنطونية ، مع دراسة تطور هذا النظام على أيدي زعماء الرهبنة في هذه المنطقة . ولن تكون

هذه الدراسة للرهبنة كنظام للتصوف المسيحى ، منعزلا عن الكنيسة القبطية ككيان له شأنه ، فى هذه العصور السحيقة وإنما سنتناوله من حيث أثر الرهبنة فى الكنيسة والعكس ، حتى يمكن للقارىء أن يكون فكرة واضحة عن هذا النظام ، الذى بقيت آثاره حتى وقتنا الحاضر ، بل وصار جزءاً من التنظيم الكنسى فى داخل الكنيسة القبطية فى مصر .





## مراجع وشواهد الفصل الأول

( ١ ) يرى البعض أن النسك ميل فطرى شائع فى كل الأديان — راجع :

Smith . M. : Studies In Early Mysticism In The Near & Middle East P. 1.

Palladius : The Paradise Of The Holy ( ٢ )

Fathers ( Trans. Budge ) VI int. P. XXXIV .

( ٢ ) يقال أنه فى عهد بطليموس فيلادلفوس عزم آسوكا إمبراطور الهند أن ينشر التعاليم البوذية فى أرض بعيدة ، وكانت مصر من بين ممالك البحر المتوسط التى أرسل إليها المبشرين ؛ ومع ذلك فليس هناك ما يشير إلى أى تنظيم بوذى

فى مصر — أنظر . Smith : Asoka, P 42 .

( ٤ ) أنظر Mackean : OP. Cit. P.P. 15-17 .

Petrie W.M.F. : Personal Religion In Egypt, P.P. 62-63. ،

( ٥ ) إنجيل متى : أصحاح ١٩ : ٢١ ، إنجيل مرقس : أصحاح ١٠ : ٢١ .

( ٦ ) إنجيل متى : أصحاح ١٩ : ١٢ .

( ٧ ) إنجيل مرقس : أصحاح ١٠ : ٢١ ، إنجيل متى : أصحاح ١٩ : ٢٩ .

( ٨ ) إنجيل لوقا : أصحاح ٤ : ١ — ٦ .

( ٩ ) سفر الملوك الأول : أصحاح ١٧ : ٤ — ٧ .

- (١٠) إنجيل متى : أصحاح ٣ : ٤ .
- (١١) الرسالة الأولى إلى الكورثيين أصحاح ٧ : ٧ — ٣٩ .
- (١٢) روفيله ، يعقوب نخله : تاريخ الأمة القبطية ص ٢٥ .
- (١٣) أقام هذا التمثال بستيموس والى مصر الجديد وقتذاك  
تذكراً لزيارة دقلديانوس للأسكندرية — أنظر الشيال :  
تاريخ الاسكندرية : مقال فى المجلة التاريخية المصرية ،  
المجلد الثانى العدد الثانى ص ٢٠٢ .
- (١٤) Milne : Hist. Of Egypt Under Roman Rule, P.P. 85 - 87.
- (١٥) الطويل : قصة الاضطهاد الدينى ص ٤٣ — سبق  
هذا المرسوم بعض مراسيم التسامح الدينى سنة ٣١١ م ،  
غير أنه فى هذا المرسوم أقر قسطنطين مبدأ التسامح  
للديانة المسيحية وأن تبقى إلى جوار الديانات الوثنية .
- (١٦) Milne : OP. Cit. , P.P. 74 - 82.
- (١٧) إنقسم دافعوا الضرائب ثلاث طبقات : الملاك والزراع  
والصناع ؛ أما الضرائب فكانت متنوعة ، فهناك  
الضريبة العقارية وضريبة الرؤوس ... الخ - راجع  
Rouillard : L' Administration Civile de L' Egypte  
Byzantine, P. 5.
- (١٨) Ibid : P. 11.
- (١٩) Milne : OP. Cit. P.P. 82 - 83
- (٢٠) Mackean : Christian Monasticism, P. 65.

Steindorff, J.G. : Religion Of The Ancient Egyptians ,  
P.P. 134 - 135 .

E. R. E. : Art. Monasticism.

Milne : OP. Cit : P.P. 155 - 156. ( ٢١ )

Eusebius : Ecc. Hist. ( Eng. Trans. ) ( ٢٢ )

V II P P, 463 - 465.

لا عجب أن يطلق البعض على تاريخ المسيحية في  
القرن الرابع « عصر الرهبة » ، حتى إذا بدت مطالع  
القرن الخامس ، كانت الرهبة أضفت كل مميزاتها على  
الكنيسة وخاصة الاتجاهات الديرية الباخومية التي  
شابهت النظام العسكري ، فبدأ عصر جديد هو عصر  
باباوات الكنيسة ، حيث ظهرت قوة الكنيسة في مصر  
بين العالم المسيحي من حيث محافظتها على مبادئ  
الدين بشكل دقيق ، حتى أطلق البعض على باباواتها  
وقتذاك « الباباوات الفراعنة » .

Workman : Evolution Of Monastic Ideal : P.10. ( ٢٣ )

Ency. Amer. : Art , Monasticism. ( ٢٤ )

Mackean : OP. Cit. P.P. 30-31. ( ٢٥ ) راجع

Palladius : OP. Cit. VI intr. P.P. 56-58. ( ٢٦ ) راجع

Cabrol, F : Dict. D' Archeologie Chretienne, ( ٢٧ )

V II P. 3053.

Glover, T.R. : The Conflict Of Religion. P.24. ( ٢٨ )

- Mackean : OP. Cit., P. 19 . ( ٢٩ )
- White E. : Hist. Of The Monastries Of Nitria, V II P. 6. ( ٣٠ )
- O'Leary De Lacy : The Saints Of Egypt, P.23. ( ٣١ )
- Petrie. : Egypt & Israel, P.P. 133-134. أنظر ( ٣٢ )
- Mackean : O P. Cit. P.P. 19-20. ( ٣٣ )
- Essenes من جماعات النساك اليهود جماعة الاسينيين ( ٣٤ )  
الذين عاشوا في القرن الثاني ق.م في صحراء الشام،  
غير أنه من الصعب القول بأنها جماعة نسكية خالصة  
لاشتغال بعض أفرادها بالسحر ، ولأنها ضمت  
بعض المتزوجين ، ثم أنه ليس بينها وبين الرهبانية  
صلة لتفرق أفرادها بعد سقوط أورشليم سنة ٧٠ م.
- Eusebius: Ecc. Hist. VI B II, P.P. 147-152. ( ٣٥ )
- ربما فعلوا هذا لإحياء لذكرى رقص أخت هارون ( ٣٦ )  
بعد عبور بني اسرائيل البحر الأحمر وخلاصهم من  
يد فرعون — أنظر E.R.E: Art, Monasticism
- القس عمانوئيل البعيداني : تاريخ الرهبانية الانطونية ص ١٢. ( ٣٧ )
- Conybeare : The Contemplative Life, P.P. 337-340.
- Mackean : OP. Cit, P.P. 18-25. ( ٣٨ )
- White : OP. Cit. V II P. 4. ( ٣٩ )
- Butler C. : Historia Lausiaca Of Palladius, VI P.229 ،
- Erman : Handbook Of Egyptian Religion, ( ٤٠ )  
P 224 ،

( ٤١ ) عبد النور ، راغب : أوريجانوس : مقال في  
" صور من تاريخ القبط ، مجلة مارى مينا سنة  
١٩٥٠ ص ٣٢ - ٣٣ .

( ٤٢ ) كتب أوريجانوس شروحاً للإنجيل يوحنا وأسفار  
التكوين والمزامير وأرميا ، ووضع تفسيراً لسفر  
أشعيا في ٢٥ جزءاً ، وكتب خمسة وعشرين كتاباً  
عن الرسل ، وشرح سفر حزقيال في ٢٥ جزءاً كذلك .

( ٤٣ ) عبد النور - راغب : المرجع السابق ص ٨ - ١٠ .

( ٤٤ ) انظر Eusebius : Ecc. Hist. VII B VI, Ch.  
XIX & XXXVI .

( ٤٥ ) Mackcan : OP. Cit., P.P. 44-45.

( ٤٦ ) يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٧٤ -  
٢٧٥ ، أنظر كذلك نغله ، كامل صالح : تاريخ  
الامة القبطية ص ٥٦ - ٥٨ . يلاحظ أن الكنيسة  
الارثوذكسية في مصر خربت أوريجانوس لأنه طبق  
تعاليم الكتاب المقدس حرفياً فحصى نفسه .

( ٤٧ ) Curzon : Visits To The Monastries Of The  
Levant, P 76.

( ٤٨ ) Cheneau : Les Saints D'Egypte V I P.P. 474-475

( ٤٩ ) ابن المقفع ، ساويرس : تاريخ البطارقة ( طبعة Evetts )

ج ١ ص ٨٤ .

( ٥٠ ) Eusebius : Ecc. Hist. VII B VI P. 101.



- ( ٥١ ) عطيه ، عزيز سورياال : الرهبانية والديرية المسيحية :  
مقال في مجلة مارى مينا عن الرهبانية ص ١٥٠-١٥١ .
- ( ٥٢ ) سيرة أنبا بقطر وأنبا بولا - مخطوط بدير  
السريان ، ص ١ - ٣ .
- ( ٥٣ ) ايسيدوروس ، الأسقف ، : الخريدة النفسية في  
تاريخ الكنيسة ، ج ١ ص ١٩٦ - ١٩٧ .
- ( ٥٤ ) الصادق الأمين في تاريخ القديسين ، السنكسار القبطى ،  
ج ١ ص ٢٢٢ - ٢٢٣ ، راجع كذلك ، البستان  
الكامل مخطوط ص ١٠ - ١٣ .
- ( ٥٥ ) Palladius : The Paradise, VI. P. 201,
- ( ٥٦ ) راجع Fliche & Martin : Histoire de  
L'Eglise, V III P.P. 324 — 327
- ( ٥٧ ) سيرة أنبا بقطر وأنبا بولا ص ٣ - ٤ .
- De Labriolle : Vie De Paul De Thebes, P. 21. ،
- ( ٨٥ ) White : OP. Cit. VI, P 12.
- ( ٥٩ ) أثناسيوس ، البطريك العشرين ، : سيرة أنطونيوس ،  
الترجمة العربية ص ١٧ ،
- أنظر كذلك Palladius : The Paradise VI P.P. 1-3.
- ( ٦٠ ) أثناسيوس : المرجع السابق ص ١٨ .
- ( ٦١ ) أنظر إنجيل متى : أصحاح ١٩ : ٢١ .
- ( ٦٢ ) نخبة من آباء الكنيسة الأرثوذكسية : الصادق الأمين  
في تاريخ القديسين ج ١ ص ٣١٠ .

Cabrol F. : Dict. D'Arch. Chretienne, (٦٣)  
V II P.P. 1803-1804.

(٦٤) البستان الكامل : مخطوط ص ٥ - ٦ .

(٦٥) أثناسيوس : المرجع السابق ص ٢٦ .

(٦٦) أثناسيوس : المرجع السابق ص ٣٤ - كون تلاميذ

أنطونيوس جماعات عاشت إحداها في إحدى جهات

الصحراء المحيطة بالفيوم ( مكانها دير الملك الحالي

بالفيوم ) حوالى سنة ٢٨٥ م إذ تذكر قصته أنه

كان يزور رهبان أرسينوى أنظر :

Camb. Med. Hist. VI, P 522.

Palladius : The Paradise VI P. 39. (٦٧)

Fliche & Martin : Histoire de L'Eglise (٦٨)  
V III P.P. 329-330.

(٦٩) كيرلس الأنطوني « القمص » : كوكب البرية ،

ص ١٢٧ - ١٢٨ .

(٧٠) أثناسيوس : المرجع السابق ص ٦٩ .

Butcher : The Story Of The Church Of (٧١)  
Egypt, VI P 159.

« ذهبت مساعى أنطونيوس للعفو عن أثناسيوس

إدراج الرياح ، وكاد الأريوسيون ينجحون في كسب

رضى الأمبراطور على آريوس القس المحروم لبدعته

لولا وفاة آريوس المفاجئة - راجع بوتشر : تاريخ

الكنيسة القبطية ج ١ ص ٢٢٥ .

وفي سنة ٣٤٠ م سافر أثناسيوس إلى روما عند صديقه يوليوس أسقف روما حيث عقد مجمعا ثبتت فيه براءة أثناسيوس مما نسب اليه ، ومع ذلك فإن الامبراطور قسطنطيوس امبراطور القسم الشرقي ناصر رجلا آخر من الآريوسيين ، وهو أغريغوريوس وجعله بطريكا مكان أثناسيوس . ولم يتمكن أثناسيوس من العودة من روما إلى كرسيه إلا بعد وفاة أ . خرربوس وعودة الأحوال الطبيعية وذلك سنة ٣٤٥ م .

راجع بوتشر : تاريخ الكنيسة القبطية ج ١ ص ٣٣٧ .

( ٧٢ ) أثناسيوس : المرجع السابق ص ٣٤ ، ٧٩ - ٨٠ .

( ٧٣ ) Workman : Evolution Of The Monastic Ideal P. 15.

( ٧٤ ) Mackean : Christian Monasticism P.P. 60-61.

( ٧٥ ) Fliche & Martin : Hist. De L'Eglise, V III P. 330.

( ٧٦ ) Workman : OP. Cit. P. 17.

( ٧٧ ) يذهب البعض إلى أنه ولد سنة ٢٨٥ م والبعض

الآخر سنة ٢٩٢ م ، على حين تذكر قصة حياته أنه

ولد حوالي سنة ٢٧٢ م - أنظر :

Ladeuze : Cenobitisme Pakhomien P. 340 .

وكذلك سيرة باخوميوس : ص ٤ .

( ٧٨ ) Duchesne L. : Histoire De L'Eglise V II

P. 497 .

( ٧٩ ) Ladeuze : OP, Cit. P. 157.

- Mackean : Christian Monasticism, P.P. 91-92. ( ٨٠ )
- Revillout : Revue Egyptologie, (1880) P.160. ( ٨١ )
- Grutzmacher, G : Pachomius Und Das ( ٨٢ )  
Alteste Klosterleben P.P. 39 f.f.
- A. M. G. V. XVII P.P. 6 & 342 ( ٨٣ )
- Cabrol F : Dict. D'Arch. Chret. V II P. 2055. ( ٨٤ )
- ( ٨٥ ) الاسكيم هو من ملابس الرهبان : - أنظر ما يلي  
بالفصل الرابع عن ملابس الرهبان .
- ( ٨٦ ) سيرة باخوميوس : ص ٨ .
- ( ٨٧ ) عطيه ، عزيز سوريال : الرهبانية والديرية المسيحية  
مقال في مجلة مارى مينا عن الرهبنة القبطية ص ١٥٦
- Hardy : Christian Egypt. P. 94. ،
- Mackean : OP. Cit. P. 92. ( ٨٨ )
- ( ٨٩ ) سيرة باخوميوس ص ٢٢
- Duchesne : Hirtoire Ancienne De L'Eglise, ( ٩٠ )  
V II P. 488 .
- Ladeuze : OP. Cit. P. 172.
- Ency. Brit. Art, Monasticism. ( ٩١ )
- ( ٩٢ ) سيرة باخوميوس ص ٢٣
- ( ٩٣ ) نفس المرجع ص ٢١
- ( ٩٤ ) نفس المرجع ص ٢٣
- De Vouille' H.R. : Vie De St. Pacome P. 24. ( ٩٥ )

على المرتفع الصحراوي الذي بنى عليه دير مكاريوس الكبير ، حيث ذكرت سيرته أن هذا المكان الذي سكنه مهجور تماماً ، لا يستطيع الحياة به إلا الراهب المحنك ، ولم يكن به في بادئ الأمر راهب سواه ، وعلى مقربة منه صحراء عامرة بالرهبان<sup>(١٩)</sup>. وعلى مقربة من صحراء شيهيت أو الإسقيط ، كانت قرية يامون ، التي وردت في قصة الرهبان التسعة والأربعين ، الذين ذبحهم البربر ودفنت أجسادهم في هذه القرية ، أوائل القرن الخامس الميلادي ، وأقيمت بهذه القرية قلعة صغيرة ، حرصت الحكومة الرومانية - الحاكمة وقتذاك - على تزويدها بالجنود المكلفين بحراسة هذه المنطقة من البربر الذين دأبوا على الإغارة على عمال مناجم النطرون<sup>(٢٠)</sup> .

وفي الشمال الغربي من بركة شيهيت ، حيث توجد صخرة كبيرة مرتفعة عما حولها من أجزاء الوادي ، عرفت هذه الصخرة في سير الرهبان باسم بتر Petra أي المكان المرتفع ، وهي المكان الذي سكنه مكاريوس الكبير ، بعد أن ترك نتريا<sup>(٢١)</sup> . وتتلذذ على يديه عند بتر هذه مكسيموس ودوماديوس ، ابنا الامبراطور فالنتينيان<sup>(٢٢)</sup> . وإلى أقصى الجنوب من منطقة الإسقيط ، عاش بعض النساك الذين فضلوا حياة الوحدة القاسية في المنطقة التي عرفت باسم كايماكس Climax ، وهي كلمة يونانية معناها السلم أو الذروة لأن الأرض تتدرج في الارتفاع نحو الجنوب الشرقي . والواقع أنه لم يعرف عن رهبان هذه البقعة من الصحراء شيء ، سوى أن بطليموس المصري الذي عاش حياة نسكية في هذه البقعة



الموحشة ذات الماء القليل ، فاحتفظ بإسفنجه ، يجمع بها قطرات الندى التى يطفئ بها ظمأه ، فلا عجب أن أصابه الجنون فماد إلى الحياة المدنية يحيا فيها حياة على قدر عقله المريض (٢٣) .

وعلى عكس غاية الكتاب الأقباط واللاتين بوصف الأجزاء المختلفة لهذه البقعة ، إختلط تفصيل الأمر على المقرئ وغيره من المؤرخين المسلمين ؛ واكتفوا بقولهم عن الوادى أنه « وادى هبيب بالجانب الغربى من أرض مصر فيما بين مريوط والفيوم » (٢٤) . أما مساحته فقدرها ابن دقاق بمائتين وسبعة من الأفدنة (٢٥) . وذكر ابن الجيعان عن تبعيته لمديرية البحيرة وأنه « كان مرعى الأغنام والجاموس باسم العربان قديماً وحديثاً » (٢٦) ؛ إذ دأب البدو على رعى أغنامهم على الكلا حول البحيرات الموجودة به . وأرجع هؤلاء الكتاب السبب فى تسميته بوادى هبيب إلى أن هبيب بن معقل ، أحد عرب فزاره ، ومن الذين شهدوا فتح مكة ، هاجر منها إلى تلك البلاد ، زمن فتنة الخليفة عثمان بن عفان ، فسيماها المسلمون بوادى هبيب (٢٧) .

ومما لا شك فيه أن قرب وادى النظرون من الاسكندرية عاصمة البلاد وقتذاك ، جعل الوادى قبلة الراغبين فى الحياة الرهبانية ، سواء كانوا مصريين أم وافدين على مصر من الخارج ، إذ تمكن هؤلاء وأولئك من الحصول على بعض مؤنهم التى عزت فى هذا الجبل ، فى شىء من السهولة ، ثم أن قرب وادى النظرون من الاسكندرية جعل الجماعات الرهبانية على صلة بالاحوال الدينية فى الكنيسة الناشئة ، ومكنها من القيام بدور هام فى النزاع

الكنسى حول المذهب الأثناسيوسى .

والواقع أن جماعات رهبان وادى النطرون غدت أماكن سلام ، لجأ إليها بطاركة الاسكندرية ، إبان المنازعات والاضطهادات (٢٨) . وبهذا أصبح وادى النطرون المركز المقدس الثانى بعد الاسكندرية ، ولا سيما بعد أن انتشرت بين المسيحيين قصة اختفاء العذراء مريم بالطفل يسوع فى هذا الوادى ، إبان هروبها إلى مصر ، وقصة تبريك السيد المسيح أركان الوادى الأربعة (٢٩) . فلا غرو أن حرص بطاركة الاسكندرية على المجئ إلى دير مكارىوس الكبير لطبخ الميرون ، وتكبدهم المشاق فى سبيل الوصول إليه (٣٠) .

غير أن الحركة الرهبانية أصيبت بالإتكاك بعد قليل من الزمن ، وذلك حينما تعرض الرهبان لغزوات قبائل البربر بشكل ملحوظ ، للحصول على مادة النطرون المستخرجة من هذه المنطقة ، وذلك منذ أواخر القرن الرابع الميلادى ، وأوائل الخامس الميلادى . ولذا قل عدد الرهبان ، إذ نزحوا بعيداً عن الوادى ، فراراً من هؤلاء البربر ، الذين لم يكتفوا بذبح الرهبان ، بل أنهم هدموا قلايهم (٣١) . ويبدو من وصف المقرئى للثروة المعدنية بهذا الوادى فى القرن الخامس عشر الميلادى ، أن إغارات البربر فى القرون المسيحية الأولى ، لا بد أنها أثرت تأثيراً كبيراً فى الحركة الرهبانية هناك ، إذ كتب : أن وادى النطرون كثير الفوائد ويتحصل منه مال كثير وفيه الملح الاندراى والملح السلطانى ، وهو على هيئة ألواح الرخام وفيه الوكت ، والكحل الأسود ،

ومعمل الزجاج ، وفيه الماسكة ، وهو طين أصفر في داخل  
حجر أسود ، يحك في الماء ويشرب لوجع المعدة ، وفيه البردي  
لعمل الحصر ، وفيه عين الغراب ، وهو ماء في هيئة البركة  
وطولها نحو خمسة عشر ذراعاً في عرض خمسة أذرع في مغار  
بالجبل ، لا يعلم من أين يأتي ولا إلى أين يذهب ، وهو  
جلو رائق (٢٢) .

وذكر ابن ماتي عن أهمية النطرون في هذه البقعة عن غيرها  
من مناطق إستخراج النطرون في مصر ، أن هذا النطرون  
صنفان : أحمر ، وأخضر ، وهو محظور محدود لا سبيل إلى أن يتصرف  
فيه غير مستخدمى الديوان . والنفقة على كل قنطار منه درهمان ،  
ويبلغ ثمن القنطار لموضع الحاجة إليه سبعين درهماً وأكثر من  
ذلك ، ويلزم الضمنا تسلمه من ناحية الطرانة ( ترنوط ) ليسلم  
الديوان من نقص وزنه وخطر غرقه . ثم تحدث عن بعض  
المعادن المستخرجة منه مما يحتاج إليه المبيضون وأصحاب  
التناير ، (٢٣) . ونجرت العادة على أن يستخرج النطرون من الوادى  
ويحف في القرى ، التى وجدت أطلالها بالوادى ، وأخصها قرية  
بيامون ونتريا (٢٤) ، ثم يحمل على ظهور الإبل إلى الطرانة  
ومنها إلى جميع أنحاء مصر (٢٥) ، حيث اهتم المصريون بالحصول  
على حاجتهم منه ، لاستخدامها في تحنيط موتاهم ، وفي غير هذا  
من النواحي (٢٦) . ولم تقتصر أهمية وادى النطرون على وجود  
هذه المعادن ، بل أن وجود المياه الباطنية قريبة من سطح الأرض  
في كثير من أجزائه ، سهل عملية حفر الآبار ، وبالتالي ساعد

الرهبان على القيام بالزراعة في هذه المنطقة ، التي ما لبثت أن جذبت إليها أعداداً ضخمة من فضلوها البعد عن ضجيج الحياة الرومانية في المدن المصرية ، حتى ازدحمت بهم الصحراء على اتساعها ؛ ثم أن مناخ هذه المنطقة يمكن اعتباره إنتقالياً بين مناخ البحر المتوسط والمناخ الصحراوي ، فهو ليس جافاً حاراً يبعث على الملل والسأم ، فيضايق الرهبان في قيامهم بشتى أنواع النفسك ، ولا مطيراً يحول دون قيام الرهبان ببناء قلايتهم من المواد التي هي في متناول أيديهم في الصحراء .

### قيام الرهبانية في جبل نتريا وسليا :

والمؤسس الأول للرهبانية في وادي النطرون في نتريا وسليا على وجه التخصيص الراهب آمون المصري ، الذي ولد حوالي سنة ٢٧٥ م في بلدة من البلاد القريبة من الاسكندرية ترجيحاً (٣٧) . ومات والد الراهب آمون وهو في الثانية والعشرين من عمره ، أي أواخر القرن الثالث الميلادي ، حين أخذ الكثير من المسيحيين في الهرب إلى الصحاري والقفار ، بعيداً عن عنف الحكام الرومان ، الذين دأبوا على اضطهاد أبناء الدين الجديد ، تنفيذاً لأوامر الأباطرة ، أو إشباعاً لروح الوثنية السائدة بينهم . وتزوج الراهب آمون حوالي ذلك الوقت بإشارة عمه الذي يقال أنه أكرهه على الزواج ، حتى لا يهرب مع الهاربين من المسيحيين إلى الصحراء (٣٨) .

غير أنه بعد إتمام مراسيم الزواج ، اتفق الراهب آمون وزوجته على حياة البتولية ، مع إقامتها في منزل واحد ،

لتكريس حياتها للدين (٣٩) . ويقال أن الراهب آمون وزوجته قضيًا ، في هذه الحياة الدينية الغريبة في نوعها ، حوالى ثمانى عشرة سنة ، عمل آمون خلالها على قضاء سحابة يومه في الحقل ، عاملاً في الزراعة حتى إذا قاربت الشمس المغيب ، عاد إلى داره ليقضى فترة الليل في الصلاة (٤٠) .

غير أن آمون أحس أخيراً أنه ليس في غبطة تامة ، فاستأذن إمرأته ، وانصرف إلى صحراء نتريا . وليس يبيد أن تكون شهرة القديس أنطونيوس في الرهبانية والعزلة التامة ، هي التي اجتذبت آمون إلى تلك البقعة الهادئة الآمنة في آن واحد ؛ إذ المعروف أن أخبار الراهب أنطونيوس ملأت عقول المسيحيين وقتذاك .

وعلى حين كان يجاهد أنطونيوس في تكوين الجماعات الرهبانية في صعيد مصر وصحراواتها ، إذ بالراهب آمون يذشط في حياته الدسكية وتطبق شهرته الآفاق ، ويلتف حوله في هذا المكان جمع غفير من أصحاب الميل إلى هذا الإنفراد ، فانتشرت صوامعهم التي ابتنوها بأنفسهم ، أو حفروها في الصخر في صحراء نتريا (٤١) . وفكر آمون في طريقة ينتفع بها في تشغيل الرجال الذين تبعوه ، فعمل على إستخراج النطرون ، الذي تولت نقله جماعات من سكان القرى والمدن المجاورة (٤٢) .

غير أن آمون ، بعد أن تكاثرت حوله جماعات الرهبان في قلايهم المبعثرة ، وبعد أن أقام كنيسة بين القلالى الرهبانية في نتريا ، فضل لنفسه الإنفراد ، فانتقل إلى الصحراء الداخلية جنوباً ، في المكان الذى عرف فيما بعد باسم نيرى أو سليما . وكان



هذا الانتقال بإرشاد القديس أنطونيوس ، الذى حضر لزيارة آمون ، وأوضح له قيمة سليا ، كمكان للعزلة وللراغبين فى الإنفراد من رهبان نتريا الآخرين . وابتنى آمون لنفسه قلاية عاش بها ما بقى من حياته. غير أنه ما لبثت القلايات أن انتشرت فى هذه المنطقة الجديدة ، بمجئ بعض الرهبان من نتريا مفضلين الوحدة التى سبقهم إليها الراهب آمون<sup>(٤٣)</sup> .

وذكرت سيرة الراهب آمون أنه تعود أن يزور زوجته مرتين فى السنة للاطمئنان على سلامتها وعلى حياتها الزوجية ، إذ ذكر ما يشير إلى أنها بدورها كرسَتْ نفسها لحياة رهبانية. فاجتمع حولها كثير من العذارى<sup>(٤٤)</sup> ، وأصبحت هى مرشدتهم. وكان الراهب آمون يقطع كل مرة فى رحلته إلى زوجته ستة أيام ذهاباً وإياباً ، حتى يطمئن على حياة العذارى الراهبات اللاتى عشن حول زوجته<sup>(٤٥)</sup> .

وهكذا بدأ الأنبا آمون حياته راهباً منفرداً ، وما لبثت شهرته أن طبقت الآفاق . فاجتمع حوله تلاميذ كثيرون ، أغلبهم مصريون . وأصبح الأنبا آمون مديراً لهذه الجماعات ، يعظهم ويرشدهم إلى أركان الرهبانية ، كما عرفها من القديس أنطونيوس. ولعل اتصاله بالقديس أنطونيوس ما يفسر توسعه فى إنشاء الجماعات الرهبانية التى سارت على النظام الأنطونى .

وحوالى سنة ٢٢٧ م توفى الأنبا آمون ، بعد أن قضى حوالى اثنين وعشرين عاماً فى الصحراء ، يرقب جهاد إخوانه المصريين فى سبيل نشر دينهم ، والمحافظة عليه من نقمة الأباطرة

في الاسكندرية ، وغيرها من المدن المصرية . وخلفه في الحياة الرهبانية في سلينا تلاميذه ، ومنهم تيودور ، وأغاثو ، وثنائيل ، وهور ، وبامو ، وخامسهم هو الذي تزعم المنفردين في سلينا بعد آمون <sup>(٤٦)</sup> . وإذا أعتبرت سلينا - صحراء القلاي - المكان الذي عاش به الرهبان الذين لم يجدوا السلام الضروري لحياتهم الانفرادية في نتريا ، فإن أعظم شخصية ظهرت في سلينا هي شخصية القديس مكاريوس الاسكندري ، الذي ينسب اليه تميم نظام القلاي في أماكن متفرقة متباعدة ، في هذه المساحة الواسعة في وسط وادي النطرون .

وكان مولد هذا القديس حوالي سنة ٢٩٤ م من عائلة فقيرة بالاسكندرية ، واشتغل في شبابه خبازاً كما اشتغل ببيع الفواكه المجففة والنيذ <sup>(٤٧)</sup> . وذكر بعض تلاميذه ، أنه كثيراً ما تحدث عن اشتغاله برعى الأغنام والبقر <sup>(٤٨)</sup> .

ولم يبدأ مكاريوس الاسكندري حياة الرهبانية قبل سن الأربعين ، وذلك بعد أن تعمد ، وانتظم في صف الموعوظين <sup>(٤٩)</sup> ، وزار القديس أنطونيوس بالصحراء الشرقية ، ومارس على يديه حياة النسك حوالي سنة ٣٣٥ م . ثم ذهب مكاريوس إلى نتريا ، حيث تتلمذ على يد القديس بامو ، رئيس الجماعات الرهبانية في ذلك الموضع ، بعد آمون . وظل هناك مدة ، رسم بعدها قساً ، وصار من هيئة الكهنوت حوالي سنة ٣٥٥ م <sup>(٥٠)</sup> . واشتهر منذئذ باسم مكاريوس الإسكندري . غير أن مكاريوس لم يلبث أن اشتاق إلى حياة الإنفراد ، فانتقل جنوباً إلى سلينا حوالي

سنة ٢٧٣ م (٥١) . ويبدو أن عدد الرهبان المنفردين في قلالي سليا زاد بمقدمة زيادة ملحوظة ، بدليل أن سليا غدت معروفة باسم صحراء القلالي .

واتصف الأنبا مكاريوس الإسكندري بالإيمان في الحياة النفسية ، وتردد على كبار المتعبدين ، ينافسهم نسكهم في صمت وهدوء . وتبارى في ذلك مع الديرين في تابنيسى على وجه الخصوص ؛ ذلك أنه عندما سمع بأن رهبان دير الأنبا باخوميوس هناك لا يذوقون طعاماً مطهياً على النار مدة صوم الأربعين المقدسة ، عقد العزم على ألا يذوق شيئاً مطهياً لمدة سبع سنوات ، وأن يقتصر على الحشائش البرية والخضر . ولم يكتف الأنبا مكاريوس الاسكندري بهذا ، بل سافر إلى تابنيسى قاطعاً المسافة في خمسة عشر يوماً (٥٢) ، وهناك طوى فترة صوم الأربعين واقفاً في أحد القلايات ، دون أن يذوق طعاماً ، ما عدا أوراق الكرنب كل يوم أحد ، ليخفى أمام رهبان الدير صيامه . ورغم هذه الحياة القاسية وإيمان القديس مكاريوس في إذلال جسده ، فإنه لم يخالف قوانين الدير من حيث العمل ، بل قضى مكاريوس أيامه في دير تابنيسى في ضفر الخوص وعمل السلال في صمت وسكون (٥٣) . غير أن الديرين في تابنيسى لم يتعودوا مثل تلك الحياة القاسية ، فطلبوا إلى رئيسهم القديس باخوميوس أن يأمره بترك الدير ، حتى لا يعثرهم . وهنا سأله الأنبا باخوميوس عن اسمه وأصله . فعرف منه أنه مكاريوس الاسكندري ، فاحتفل به رهبان الدير وأجلوه . ثم غادر الأنبا مكاريوس الاسكندري

تابنيسى ليعود إلى سليا ، (٥٤) ، حيث أمعن إمعاناً جديداً في النسك ، حتى يقال أن لحيته تساقط شعرها ، ولم يبق له سوى شعر قليل على شفته العليا وعلى ذقنه (٥٥) .

وازداد عدد الرهبان الذين كونوا القلاالى حتى بلغ عددهم في صحراء القلاالى ، وقت زيارة بلاديوس أى حوالى سنة ٣٩١ م ، حوالى ستمائة راهب . وعاش هؤلاء الرهبان حياة إنفرادية ، فى هذا الجزء الموحش من الصحراء . وعليهم مكاريوس الاسكندرى بناء القلاالى ، أو حضرها ، غير أنهم كانوا يهرعون إلى كنيسة ، بنيت على مسافة بعيدة من قلااليم ، أيام السبت ليقضوا بها صلاة الأحد ، حتى إذا ما اقتتت ، عادوا إلى مساكنهم (٥٦) .

وعرف عن مكاريوس الاسكندرى كذلك شغفه بالتقلى والحياة بين سائر الجماعات الرهبانية فى وادى النظرون ، للاطمئنان على مدى ما وصلت اليه حياته الذسكية ، ومن أجل هذا أصبحت له أربعة قلاالى ، إحداها فى جبل نترىا والثانية فى سليا ، والثالثة خارج الوادى فى الصحراء الليبية ، والرابعة فى برية شيهيت حيث تردد على سميه الانبىا مكاريوس الكبير ، بل شاركه فى منى جزيرة فيله ، جنوبى أسوان الحالية ، وذلك عندما ففاها الامبراطور فالنس (٥٧) .

### الرهبانية فى برية شيهيت ( الإسقيط ) :

أما دراسة الحركة الرهبانية فى برية شيهيت أو الإسقيط ، فتتصل إتصالا وثيقاً بتاريخ القديس مكاريوس الكبير ؛ إذ ورد

في سيرة - التي كتبها سيرايفون ، أسقف تمي الأمديد ، وثليز  
الإنبا أنطونيوس ، وفي سيرة أنبا ييشوى ، التي تنسب إلى  
يوحنا الصغير ، أن مكاريوس الكبير عاش ليرى أربعة أديرة  
عامرة بالرهبان ، هي أديرة البراموس ، ومكاريوس الكبير ، ويوحنا  
القصير ، ويشوى<sup>(٥٨)</sup> . غير أن استعمال لفظ دير ، التي وردت  
بهذه المخطوطات ، ينبغي ألا يفهم منه وجود أديرة على النظام  
الباخومي ، محاطة بالأسوار الضخمة . بل قصد به مجموعة الرهبان  
الذين عاشوا حياة مزيجاً من الإفراد والشركة ، ولذلك فإن هذه  
الجماعات الرهبانية ، حتى عهد مكاريوس الكبير ، لم تكن قد سارت  
وفق النظام الديرى الباخومي . ومن أخبار مكاريوس الكبير  
أنه ولد حوالى سنة ٢٠٠ م<sup>(٥٩)</sup> . أما سيرايفون ، فيضيف أنه ابن  
قسيس بلدة ششوير ، وهي شبشير ، إحدى بلاد المنوفية الحالية  
بالدلتا . ودأب مكاريوس الكبير منذ نعومة أظفاره على الذهاب  
إلى الكنيسة حيث رسمه أسقف الإقليم المجاور قارئاً كنسياً ، ثم  
أجبره أبوه على الزواج ؛ غير أن ميله الدينى دفعه إلى ألا  
يعاشر زوجته معاشرة الأزواج ، واحتج دائماً بأنه مريض<sup>(٦٠)</sup> .  
ولكى يبعد مكاريوس الكبير نفسه عن هذا الصراع النفسى  
الغنيف استأذن والده فى الذهاب إلى وادى النطرون ، فسافر مع قافلة من  
قوافل التجار الناهبة إلى هناك ، حيث رأى حياة الرهبان  
القاطنين فى نترىا<sup>(٦١)</sup> . ثم عاد مكاريوس الكبير إلى بلده ،  
ليعلم أن زوجته توفيت وأن والده فقد بصره - فبقى إلى جانبه ،  
وقام على خدمته حتى وفاته . وما لبث أن توفيت والدته بعد ذلك



بقليل فخرج مكاروريوس من قريته إلى أحد الأكواخ القريبة ، وعاش بها ناسكا .

غير أن إقامته خارج القرية لم تطل ، إذ عقد العزم على الذهاب إلى نتريا مرة ثانية ليعيش مع رهبانها (٦٢) . وهناك روايتان مختلفتان في سبب ذهاب مكاروريوس إلى وادي النطرون ؛ أولها ، أنه اتهم بالزنا بامرأة ، أثناء إقامته خارج القرية ، فثار أهل القرية وأوسعوه ضرباً ، حتى تعهد أن يعمل ليكفل نفقة هذه المرأة مدة حملها . غير أن المرأة اعترفت ببراءة مكاروريوس عندما تعسرت ولادتها . فأسرع الناس يطلبون منه العفو على إساءتهم ، مما أدى به إلى الهروب إلى وادي النطرون ، إنكاراً لذاته (٦٣) . أما الرواية الثانية ، فهي أن أهل قريته رغبوا في رسامته قساً ليقم بينهم ، غير أنه لم يرغب في ذلك ، نسكاً منه ، ففضل الهروب إلى نتريا (٦٤) . ومما يكن من أمر السبب الذي من أجله جاء مكاروريوس إلى صحراء نتريا ، فإن هذا الحدث تم حوالي سنة ٣٣٠ م (٦٥) . ولم يطل مكاروريوس الإقامة بها ، إذ انتقل إلى صحراء القلالي ( سلييا ) ، حيث تقابل هناك مع آمون (٦٦) . ثم اعتزلها بعيداً نحو الجنوب في المكان الذي أطلق عليه صحراء بئرا الواقعة في شمال شيهيت ، عند نقطة اتصالها بصحراء القلالي . وحفر مكاروريوس لنفسه ، في بئرا ، مغارة بجوار إحدى القلاع الرومانية القديمة . ولكي يوفر على نفسه مشقة السير مسافات بعيدة لإحضار الماء ، حفر بئراً يستقي منها (٦٧) . وحوالي ذلك الوقت ذاع صيت القديس أنطونيوس في الصحراء

الشرقية ، فذهب اليه مكاروريوس ، ولبس إسكيم الرهبانية عنده  
إيذانا بدخوله الرهبانية الأنطونية . ويقال أنه ذهب الى الأنبا  
أنطونيوس مرة أخرى قبل رسامته قساً (٦٨) . ويلاحظ أن  
مكاروريوس رسم قساً بعد أن أصبح له بعض التلاميذ ، بدليل أنه  
بعد عودته سأله تلاميذه عما جرى له من حديث مع القديس  
أنطونيوس في الصحراء الشرقية . فأجاب بأنه أخبره بعدم وجود  
من يقوم بالطقوس الكهنوتية ، وتقديم القرابين ، وأن هذه  
المحاذة أدت إلى رسامته قساً (٦٩) .

ومع أن القديس مكاروريوس الكبير هو أول من كون الجماعات  
الرهبانية في شيهيت ، غير أنه لم يكن أول راهب سكن بها .  
ذلك أن سيرته ورد بها أن مكاروريوس في إحدى جولاته في  
الصحراء الواقعة جنوب صخرة بترا ، وهي صحراء شيهيت ، وصل  
إلى مرج أخضر ، وفي وسطه ماء ، وحوله شجر صفصاف ،  
وتأمل لينظر فرأى رجلين ليس عليهما من الملابس إلا الجلود ،  
وشعرهما طويل وأظافر أيديهما وأرجلها ، مثل أظافر الحيوان  
فارتعد مكاروريوس فزعاً ثم كلمها ، وسألها عن أشياء كثيرة  
فأجاباه قائلين « نحن ما سكنا ديراً جملة ، ولا شاهدنا زياً مثل  
ما عليك ، لكننا اتفق أحداً مع الآخر منذ زمان طويل ، وأتينا  
الى هذا الموضع ومنذ ( يوم ) جئنا الى هذا المكان ، لم ينظرنا  
من البشر ، الذين في هذه الدنيا إلا أنت ، ونحن جائلين في هذه  
البرية وننظر فيها حيوانات مختلفة الأجناس ، (٧٠) . واشتغل  
مكاروريوس الكبير في بترا بعمل السلال ، التي أعطاها للجمالين ،

الذين أتوا لحمل النطرون ، ليتاعوا له بثمنها خبزاً يابساً يقتات به . وذاع نسكه فانضم إليه كثيرون من الرهبان المجاورين الراغبين في الحياة الرهبانية على يديه وحسب ارشاده ، فكان يلبسهم زى الرهبة ، ويعلمهم شغل اليدين ، وأن يحفروا في الجبل مغارات ، ويظللوها بالسعف ، (٧١) .

ولم يكن هؤلاء الراغبين في الحياة الرهبانية عنده من المصريين فحسب ، بل اجتمع اليه كثيرون من روما ، وأسبانيا ، وبلاد النوبة ، وقبادوقيه بآسيا الصغرى ، وبلاد الشام . وأقام هؤلاء في قلالي متجاورة ، على صخرة بتر (٧٢) . وهكذا اجتذبت شخصية مكاريوس الكبير أعداداً من أوروبا وآسيا ، جاءوا اليه ، رغبة في حياة مسيحية وفق النظام الرهباني ، الذي ذاع صيته في هذه المناطق .

ومن الذين تتلمذوا في هذا المكان على يدى القديس مكاريوس الكبير من غير المصريين ، الشابان مكسيموس ودوماديوس ، ابنا الامبراطور فالنتينان الاول المسيحى ( ٣٦٤ - ٣٧٥ م ) وهو الامبراطور ، الذى أحب رعيته من المسيحيين ، حتى لقبه أهل مصر بقسطنطين الجديد . واهتم فالنتينان بتربية أولاده تربية دينية حتى ، «امتلاً القصر الإمبراطورى بصلوات ليلية ونهارية» (٧٣) . ثم رغب هذان الأخوان في حياة الرهبة . ولعلهما بمعارضة أبيهما لهذا الاتجاه ، طلبا منه أن يسمح لهما بزيارة نيقية (٧٤) ، فسمح لهما . وهناك تقابلا مع أحد الرهبان واسمه يوحنا ، وهو راهب دأب رجال الدولة على الذهاب اليه للاستماع إلى نصائحه.

فاستقبلها بكل عناية وتبجيل ، وبعد مدة أقامها عنده ، أعلناه برغبتها .

غير أن يوحنا خاف عقاب الإمبراطور (٧٥) ، فأرسلهما إلى الاب أغايوس ، أحد الرهبان في بلاد الشام ، ليتلمذا على يديه ، فأقاما عنده حوالى ست سنوات عاكفين على التقوى والنسك ، ولبسا ملابس الرهبان السوريان السوداء (٧٦) . وبلغت تقوى هذين الراهبين مبلغاً كبيراً حتى أن البحارة ، كتبوا اسميهما على قلاع مراكبهم تبركاً . ويقال أن أباهم الذى ظل يبحث عنهما دون جدوى ، عرف مكانهما من هذه القلاع فأراد أن يرشح أحدهما لتولى كرسى كنيسة القسطنطينية ، فلم يرغب واحد منهما فى هذه الوظيفة ، بل عقدا العزم على الهرب إلى وادى النظرون (٧٧) ، فركبا البحر حتى وصلا إلى مصر ، ثم سارا فى الصحراء حتى وصلا إلى مكان القديس مكاريوس الكبير ، ورغبا فى الحياة معه . وعندما رأى عزمهما وقوة إرادتهما ، رحب بهما ، وأعطاهما فأساً ليحفرا قلايتهما ، ثم عليهما ضفر الخوص ، وعمل السلال (٧٨) . وخلع هذان الراهبان الإمبراطوريان الملابس الرهبانية السوربانية ، وألبسهما القديس مكاريوس ملابس الرهبان المصريين . وقيل أنهما فعلا هذا ، رغبة فى إخفاء نفسيهما عن مندوبى الإمبراطور ، إن حدثته نفسه فى البحث عنهما (٧٩) . ولما كان هذان القديسان أجنيين عن مصر ، لم يكن سهلاً عليهما التفاهم مع سائر الرهبان من المصريين ، فقضيا حياتهما دون أن يزورا انساناً ، وكان طعامهما من الخبز والملح ، ولم

يفتتحا قلايتهما إلا لعامل عجوز ، من عمال مناجم النظرون ، تولى بيع انتاج أيديهما . أما حين ذهابهما إلى الكنيسة ، فإنهما أمضيا فترة الصلاة دون أن يرفعا وجهيهما عن الأرض (٨٠) .

ولم يعمر هذان الشابان طويلا ، إذ توفيا في ريعان شبابهما ، وفي سنة واحدة ، حوالى سنة ٣٨٤ م ، فقبرهما القديس مكاريوس بجوار المغارة التى حفراها . وأخبر عنهما الرهبان أنهما « أرضيا الله بأعمالهما ، مما جعل الكثيرين يتسابقون فى بناء القلالى بجوار هذه المغارة (٨١) ، وبني الاب « مقاره » كنيسة تذكارية حسنة على مقربة من هذه القلالى الجديدة التى سماها قلالى « جماعة الروم » ، (٨٢) وهكذا تأسست جماعة رهبانية حول المكان الذى دفن فيه الراهبان مكسيموس ودوماديوس ، وهو غير المكان المعروف حاليا بدير البراموس ، برغم قول بعض المراجع بذلك (٨٣) . وبما يدل على أن دير البراموس الحالى ليس هو المكان الذى نشأ فيه الراهبان مكسيموس ودوماديوس ، ما ذكره سيرايون ، أنه فى وقت ما « اجتمع سبعة من الشيوخ القديسين ليمضوا إلى برية القديس مكاريوس ، فلما جازوا على « قلاية الابهات » ، ( الآباء ) الروم . وعبروا على قلاية موسى الأسود ، سألهم الاب موسى ، إلى أين أنتم ماضين ؟ فأجابوه ، إلى عند الاب مكاريوس ، (٨٤) . والراهب موسى هذا هو الذى كون جماعة رهبانية أوائل القرن الخامس الميلادى على مقربة من جماعة مكسيموس ودوماديوس ، وذلك فى المكان الذى بنى فيه فيما بعد الدير المعروف الآن بدير البراموس ، والمسمى هكذا ، لنقل جسد القديسين الرومانيين



اليه ، حيث دفنا إلى جواره <sup>(١٨٥)</sup> . ومعنى هذا أن هذا الدير الحالى سمى كذلك لنقل عظام القديسين مكسيموس ودوماديوس اليه من مكانهما ( المغارة ) التى دفنا بها بعد موتهما .

ومن تاريخ البطارقة ما يشير إلى المجموعتين فى القرن السابع الميلادى ، إذ ورد فى ذكر الأنبا بنيامين البطريك الثامن والثلاثين فى عداد البطارقة ؛ حيث ذهب لتكريس الهيكل المسمى باسمه فى دير القديس مكاريوس الكبير ؛ إذ بعد سفره من الاسكندرية يقول ، وصلنا إلى تروجه ، وتلقانا أهلها بفرح عظيم ؛ ثم وصلنا إلى برية المنى ، التى لأنبا اسحق عند جبل برنوج ؛ وفرح بنا أيضاً الاخوة الذين هناك ، وأقمنا يومين وودعونا ، وسار بعضهم معنا ليدلونا على الطريق المؤدية إلى البرية ؛ وكانوا قديسين فضلاء ، فوصلنا إلى غاية برية جبل النظرون . ثم توجهنا إلى دير براهيموس ، ومكسيموس ودوماديوس ؛ ونزلنا بيعة القديس إيسيدور وأقمنا هناك يوماً واحداً ... وتوجهنا فى اليوم السابع من طوبة إلى بقية الديارات وتباركنا منها وتوجهنا إلى دير القديس أبى مقار ، <sup>(١٨٦)</sup> .

أما القديس مكاريوس الكبير ، فإنه بعد أن ازدحمت صخرة بترا بالكثيرين ، رأى أن ينتقل إلى بقعة أخرى ، تصبح فيها حياته أكثر قسوة ، إمعاناً فى النسك ؛ فانتقل فى داخل شهيت ، إلى موقع فى جنوب الوادى ، وهو المكان الذى عرف باسم إسقيط القديس مكاريوس ، تمييزاً له عن سائر برية شهيت . وأقام القديس مكاريوس هناك فى قلاية حفرها بنفسه ، ليقضى بها

بقية حياته في شطف من المأكل والمشرب ، حيث لا تتوفر المياه كثيراً ، لانخفاض منسوبها وورداؤها . وسرعان ما عمرت هذه البقعة بالكثيرين من الوافدين عليه ، فألبسهم مكاريوس إسكيم الرهبانية ، وأمر جميعهم أن تكون إقامتهم في مجموعات متجاوزة (٨٧) . وفي هذا دليل على أن القديس مكاريوس الكبير قد اقتنع بأهمية الناحية الاجتماعية في الحياة الرهبانية ، ولكن لا يوجد ما يشير إلى أى نظام ديرى أوجده القديس مكاريوس الكبير .

ولم تقطع زيارة مكاريوس لجماعته الرهبانية الأولى ، بل دأب على زيارتها مع بعض الرهبان ، لوجود النخيل والبردى على مقربة منها ، فإذا قام بالخدمة الدينية ، من تعليم ، وصلاة بالكنيسة التذكارية في زيارة من هذه الزيارات ، عاد مع جماعته من الرهبان حاملين السعف والبردى اللازمين للعمل اليدوى (٨٨) .

وأقيمت القلاى في هذا الموقع الجديد فوق الصخرة ، وهياً مكاريوس كل ما يلزم لراحة تلاميذه ، فحفر بئراً سميت فيما بعد بئر ماري مقار ، (٨٩) . كما بنى كنيسة ليوفر على الرهبان متاعب السير إلى كنيسة الآباء الروم (٩٠) . وظل القديس مكاريوس الكبير يجاهد في الحياة الرهبانية هناك حتى وفاته سنة ٣٩٠ م ، وذكر الأسقف سيرايون في أخبار وفاة أبي مقار ، «أن جماعة من الرهبان حملوا جسد الأب القديس العظيم إلى المغارة التى بجانب البيعة ، التى بناها هو ، وانصرفوا إلى قلايهم بحزن عظيم ، (٩١) . وبذلك يمكن أن نحدد تأسيس جماعة مكاريوس الكبير في الإسقيط

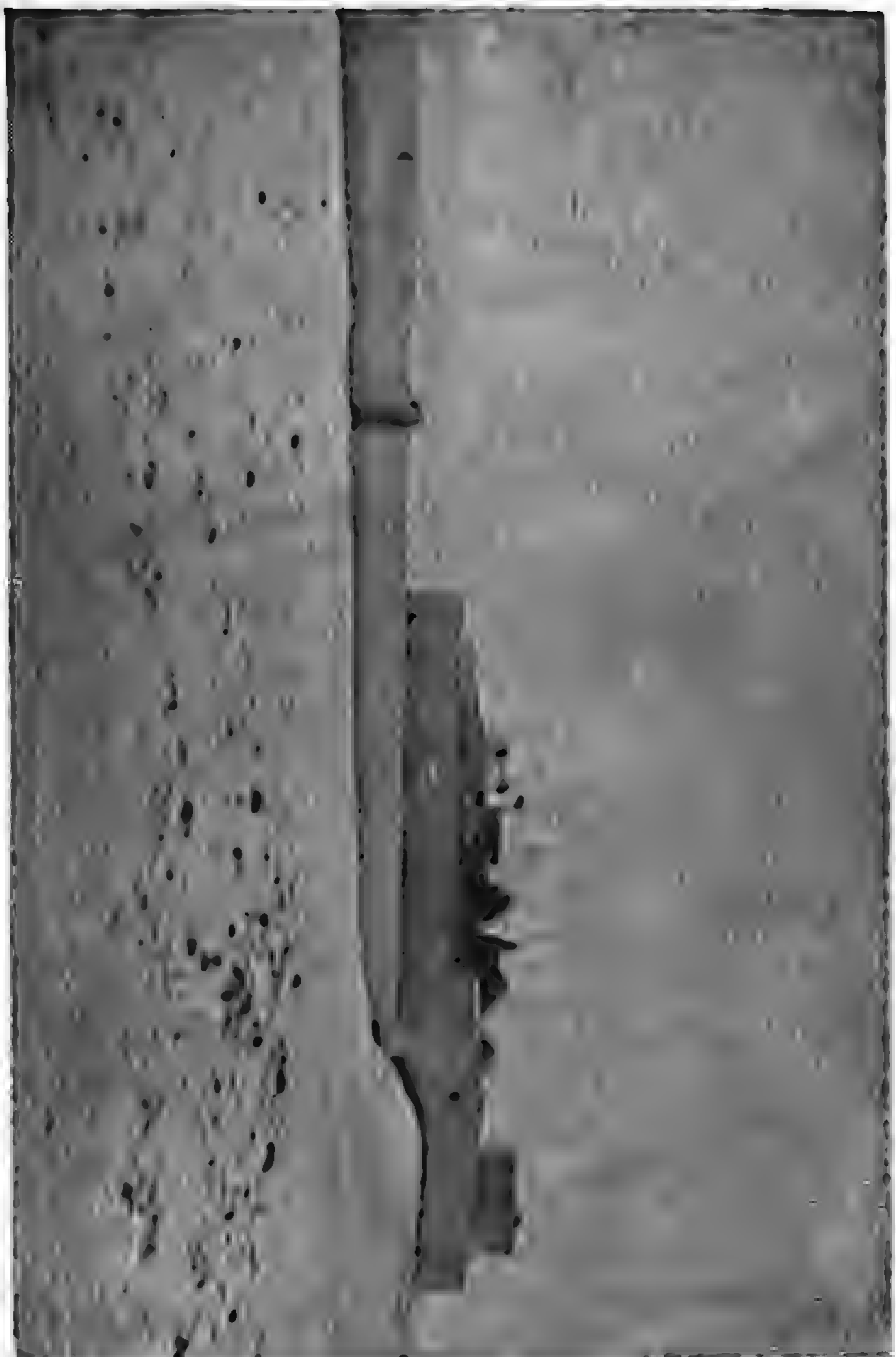
في المدة الواقعة بين وفاة القديسين مكسيموس ودوماديوس ، وبين وفاة أبي مقار ، أي بين سنتي ٣٨٤ - ٣٩٠ م .

ويجاور دير مكاروريوس الحالي ، موقع القلالي التي تكونت فيها جماعة القديس مكاروريوس . على أن هذا القديس الكبير شهد قبل وفاته جماعتين رهبانيتين أخريتين في شيهيت ؛ وأولها جماعة القديس يوحنا كولوبوس ، المعروف يوحنا القصير الذي ولد من عائلة فقيرة في إقليم Oxrynychus ، وهي الهنسا الحالية حوالى سنة ٣٣٩ م <sup>(٩٢)</sup> . ثم أنه عندما بلغ الثامنة عشر ، رغب في الحياة الرهبانية ، إلا أنه تردد قبل أن يقبل عليها ، فخرج إلى بعض الأماكن الموحشة ، يدرّب نفسه ، ليعرف مدى قدرته على هذه الحياة الدينية الصارمة <sup>(٩٣)</sup> . واطمأن يوحنا إلى نفسه فخرج إلى وادى النظرون ، ليستلذ على القديس بامو الذي أصبحت له رئاسة نتريا واعداد الرهبان المنفردين في سليا ، بعد وفاه الأنبا آمون <sup>(٩٤)</sup> . ويقال أن اختيار يوحنا القصير الرهبنة على يدى القديس بامو لأنه من بلده ، فأقام في قلالية إلى جواره . ومن تلك الاختبارات ، التي أجريت على يوحنا القصير لقبوله راهباً ، بل أنها أثرت في حياة يوحنا القصير ، ما ذكر عن القديس بامو ، أنه أعطى يوحنا غصناً جافاً ، طالما توكأ عليه ، وأمره أن يغرسه على مسافة بعيدة ويتعهده بالسقى . وعلى الرغم من صعوبة نقل المياه إليه ، وجفاف هذا الغصن ، فإن يوحنا ، لم يتأخر عن تنفيذ أمر معلمه ، حتى أنه بعد ثلاث سنوات - على قول الرواية - نبتت العصا ، وحملت أثماراً ، أتى بها إلى

معلبه ، الذى قدم الثمار لتلاميذه قائلاً : خذوا كلوا من ثمار  
شجرة الطاعة ، (٩٥) . ثم أن القديس بامو ، توالى زيارته  
لقلاية يوحنا لتعليمه الإنجيل ، وتدريبه على حياة النسك ، حتى  
وصل يوحنا إلى درجة عالية فيها . وشهد له زملاؤه حين قال  
أحدهم : أن الاب يوحنا القصير إرتفع أكثر منا ، وذلك  
لنقاء قلبه ، وتواضعه الحق ، ففاق كل من فى شهيدت ، (٩٦) .  
وعاش يوحنا القصير مع القديس بامو اثنتا عشرة سنة ، وعندما  
أشرف القديس بامو على الموت ، أوصى تلميذه قائلاً : يا يوحنا  
يا ولدى عندما أغادر هذا العالم ، إذهب وعش فى المكان حيث  
زرعت الشجرة ، إذ أن هذه الشجرة ، التى لك فضل إنباتها هى رمز  
لهذه النفوس التى ستنقذها فى هذا المكان ، والتى ستجعل لك  
ذكرى أمام الله ، (٩٧) .

وعندما توفى الأنبا بامو ، ذهب يوحنا إلى حيث الشجرة ،  
وابتنى لنفسه مغارة فى وسط برية شهيدت ، فى مكان يقع على  
مقربة من دير تأسس فيما بعد ، وهو المعروف الآن بدير  
السوريان أو يوحنا كما . وذاعت سيرة الأنبا يوحنا النسكية  
فاجتمع حوله كثيرون ممن رغبوا فى الحياة حوله ، وحفروا  
لأنفسهم بئراً ، لتوفر عليهم مشاق السفر إلى مسافات بعيدة  
لإحضار الماء من الآبار القديمة ، حتى إذا ازداد عدد قلاالى هذه  
المجموعة ، بنى لهم يوحنا كنيسة حوالى سنة ٣٨٠ م (٩٨) .

غير أن رهبان هذه المجموعة فروا أوائل القرن الخامس  
الميلادى ، هرباً من هجمات البرابرة ، الذين هدموا القلاالى والكنائس



د منظر خارجي لږ السوربان المال  
بواډي النظرور



في شهيت . وانتقل يوحنا القصير بهذه الجماعة إلى الصحراء الشرقية ، حيث عاش تلاميذ القديس أنطونيوس . ومات يوحنا القصير في هذه الصحراء الشرقية ودفن هناك (٩٩) .

أما المجموعة الثانية التي شهدتها القديس مكاريوس الكبير في شهيت ، فهي مجموعة القديس يشوى . وولد هذا القديس في ابشنشا - مركز أجا مديرية الدقهلية الحالية - ومات أبوه - ، فتولت أمه تربيته مع إخوته السبعة ، وهو أصغرهم (١٠٠) . وعندما بلغ سن الشباب رغب يشوى في حياة الرهبانية ، فذهب إلى وادى النظرون ، وأصبح زميلاً ليوحنا القصير في البرية وتلذذ معه على يد الأنبا بامو (١٠١) ؛ وداوم يشوى على حياة النسك . فأقام ثلاث سنوات لم ينظر إنسياً سوى وجه مرشده ، كما عكف على القراءة في الإنجيل والتوراة . وقيل أنه حفظ سفر أرميا حتى لقبه البعض يشوى الأرمي (١٠٢) . وعاش يشوى مع زميله يوحنا القصير ، في المكان الذي زرعت فيه شجرة الطاعة ، ثم انفصل عنه بعد مدة وجيزة ، وسكن في مغارة قرية (١٠٣) . وليس هناك تاريخ مضبوط لقيام جماعة رهبان الأنبا يشوى ؛ غير أنه يمكن ربط تاريخ قيامها بوفاة الأنبا بامو ، التي حدثت حوالى سنة ٣٧٤ م ، وانتقال الأنبا يشوى إلى المغارة التي عاش فيها بعد انفصاله عن الأنبا يوحنا القصير . وهذه المغارة هي النواة التي تجمعت حولها الكثير من قلالي الرهبان الذين سكنوا إلى جوار الأنبا يشوى فألبسهم الاسكيم (١٠٤) ، كما بنى لهم كنيسة ، هي الرابعة في عداد كنائس شهيت في القرن الرابع الميلادى (١٠٥) .



صورة قداسة للآباء يسوعى في دير الحالى  
وادي التطرون

غير أن الأنبا بيشوى ورهبانه هربوا كذلك من وجه البربر الذين أغاروا على جماعته أوائل القرن الخامس الميلادى . فأقام عند القديس بولا الطموهى ، وظل هناك حتى وفاته ، ثم نقل جسده فيما بعد إلى المكان الذى بنى عليه دير الحالى (١٠٦) .

وبما سبق يمكن القول ، أن أول الجماعات الرهبانية الأربعة بشييت ، بعد جماعة آمون ، هى الجماعة التى تكونت حول مكاريوس الكبير ، فى بترأ بشمال شييت ، ثم الجماعة التى تكونت حول قلاية مكسيموس ودوماديوس حوالى سنة ٣٨٤م . وفى المدة الواقعة بين سنة ٣٧٥ ، سنة ٣٨٥م تكونت جماعة كل من يوحنا القصير وبيشوى فى وسط شييت ، وبما يؤيد هذه التواريخ بالإضافة إلى ما ورد فى سير هؤلاء الرهبان ، أن يوحنا كاسيان الذى زار شييت حوالى سنة ٣٨٥م رأى بها أربعة كنائس ، لكل منها كاهن أعظم (ايغومانوس) . ومن المعروف أن كل جماعة بنيت فى وسطها كنيسة (١٠٧) .

#### راهبات فى وادى النطرون :

وبما يدعو إلى الالتفات ، أن بعض هذه الجماعات الرهبانية فى وادى النطرون ، احتوت على راهبات من النساء . غير أنه لما كانت الرهبانية حتى القرن الرابع الميلادى قاصرة تقريباً على الرجال ، فإن أولئك الراهبات عشن مقنعات ، أو لابسات زى الرجال ، مثال ذلك الراهبة ليديا ، التى كانت كاتبة مشهورة من تسالونيكى فتزيت بزى الرجال ، وزارت مكاريوس الاسكندرى ،



عمود فسيح في دير اليراموس — لاحظ دقة  
الصناعة والتميز الطبقي أملا.

وأضت سنة كاملة في إحدى القلالي في سليا ، وكانت تقابل  
مكارىوس الاسكندرى ، كواحد من الرهبان مرة كل أسبوع<sup>(١٠٨)</sup> .  
ومن الراهبات المنفردات كذلك الراهبة أبوليناريا ؛ ابنة  
الامبراطور أتمىوس الكبير ، التى رغبت فى حياة النسك ،  
فرفضت الزواج ، ورحلت فى قافلة الحج إلى أورشليم ، ومنها إلى  
الاسكندرية ، حيث لبست لباس الراهبات ، ثم إلى الإسقيط  
حيث تسمت باسم الراهب دوروثيوس ؛ وحدث ذلك فى حياة القديس  
مكارىوس الكبير . وظلت هذه الراهبة تحيا حياة النسك وتعيش  
كغيرها من الرهبان ، ولم يكتشف أمرها إلا عند تجهيزها للدفن<sup>(١٠٩)</sup> .  
ولم يقتصر الأمر على هذه الحالات المقنعة للراهبات ، بل  
أن . بعضهن تطورت حياتهن — فيما يبدو — إلى نوع من الديرية،  
مثال ذلك ، أخوات الراهبين يوزيب ويوثيموس — وهم من رهبان  
وادی النطرون — اللاتى دخلن ديراً للنساء على مقربة من نتريا<sup>(١١٠)</sup> .  
وخاتمة القول ، فإن هذه المثل التى رأيناها والتي أضاءت برية  
وادی النطرون ، بل أضاءت تاريخ المسيحية بشعلة من النشاط  
الروحى والعلمى سنراه واضحاً فى الفصول التالية ؛ أقول هذه  
المثل ، إنما تظهر بجلال أحوال مصر فى هذا القرن ، وكيف أن  
الرهبة كانت مقاومة صامته للاحتلال البيزنطى للبلاد ، حتى أن  
الاباطرة حسبوا ألف حساب لكل هذه الجيوش التى ملأت  
صحارى مصر وقفارها ، لا هرباً من المسئوليات ، وإنما كفاحاً من  
أجل الروح ، مع عمل مثمر من أجل الحياة الجسدية أو الحياة  
المادية ، دون أن تطفى المادة على الروح ، فكانوا بذلك الشعلة  
الأولى التى أضاءت ظلام العصور الوسطى .



## مراجع وشواهد الفصل الثاني

Butler: Lausiac History of Palladius V II (١)

P.P. 187-188.

Hanotaux : Histoire De La Nation Egyptienne, (٢)

V I P. 327.

(٣) طوسون ، عمر : وادی النطرون رهبانه وأديرته ص هـ

Cabrol : Dict. D'Arch. Chret. T. II P.3126.

(٤) يعتقد Savary أن هذا الوادی يمثل مجرى النيل قديماً

قبل أن يحوله مينا ، غير أن كاترمير يستبعد هذا الرأي - أنظر

Savary : Lettres Sur L'Egypte T I P. 12.

D, Anville : Memoires Sur L'Egypte, T I P. 57. (٥)

Sicard : Lettres Edifiantes Et Curieuses Tv P, 423'

Julien : Voyage Au Desert De Scete Et Nitrie

Txiv P. 33.

(٦) كتابات يوحنا كاسيان وروفينوس وجيروم وبلاديوس

وغيرهم - راجع ما يلي بالفصل الخامس . أما المخطوطات

القبطية فأهمها سير مكاريوس الكبير ومكاريوس الاسكندري

ومكسيموس ودوماديوس ويشوى ويوحنا الصغير .

O' Leary De Lacy : The Saints of Egypt. P. 216. (٧)

Butler : Historia Lausiaca , Ch. XXXVIII (٨) راجع

(٩) سراييون : ميمر مكاريوس الكبير ص ٤٢ - ٤٣ ،

A. M. G : T XXV P. XLVI.

نص خبر صعود مكاريوس المصرى من شهيت إلى برنوج

ΔΥΣΟΙ ΕΘΒΕ ΑΒΒΑ ΜΕΛΩΡ! ΠΙΡΕ  
ΝΚΗΑΙ ΔΕ ΕΡΗΗΟΤ ΕΠΙΨΩΙ ΝΟΥΤΟΝ ΕΒΟΛΘΕΝ  
ΨΙΗΤ ΕΠΙΨΟΘ ΝΤΕ ΠΕΡΝΟΥΣΔ."

Palladius : The Paradise V I Intr. P.P. 44 & 99 - 100 (١٠)

(١١) ابن المقفع ، ساويرس : تاريخ البطارقة ج ١ ص ٢٤٢ .

(١٢) بلاديوس : بستان الرهبان ، نسخة المتحف القبطي الخطية المنقولة

عن نسخة دير البراموس ص ١٨ — ٢٠

Butler : Lausiaca History V II P. 188. (١٣)

Cassien : a. Institutiones, P. 87.

b, Conferences : P. 27.

Cabrol : Dict. D'Arch. Chret . T II P 3124 . (١٤)

المسعودي ، تحفة السائلين ص ٤٤ — ٤٥ .

Amelineau : La Geog . De L, Egypte, P.319. (١٥)

Champollion : L' Egypte Sous Les Pharaons (١٦)

T II P.P. 295-296.

(١٧) شهيت كبة قبطية معناها ، ميزان القلوب ، وسميت كذلك

إذ رأى فيها الرهبان المكان الذي يجتمعون فيه للتأمل

في مدى علاقتهم بالله ومحبتهم له في قلوبهم .

A, M. G. T XXV: P.P. 262-264. راجع

Besse : Les Moines D'Orient, P. 8. (١٨)

(١٩) أسقيط مختصره من الكلمة اليونانية ΔΑΚΙΤΗΡΙΟΝ

أي منسك أو مكان العبادة .

Amelineau : La Geographie De L'Egypte, P 436. (٢٠)

Cabrol : Dict. D'Arch. Chret. T II P. 3127. (٢١)

(٢٢) أنظر ما يلي بهذا الفصل . راجع كذلك

Amelineau : Op . Cit P 447,

Palladius : Op . Cit V I P. P. 135 - 136. (٢٣)

(٢٤) المقرئى : المواقظ والاعتبار ج ١ ص ١٨٦

(٢٥) ابن دقاق : الانتصار لواسطة عقد الامصار ج ٥ ص ١١٣ .

(٢٦) ابن الجيعان : التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية ص ١٣٦ .

(٢٧) مبارك ، على : الخطط التوفيقية ج ١٧ ص ٤٨ .

White E : History of Monasteries of Nitria V II P.40 (٢٨)

Ibid . P. 60. (٢٩)

(٣٠) كانت هناك عادة ذهاب بطاركة الاسكندرية الى دير

القديس مكارىوس لطبخ الميرون الذى تكون من بقايا

بعض الخنوط ( المواد ) التى قيل أنها وضعت على جسد

السيد المسيح . وأضيفت إليها زيوت ومواد أخرى ، وتولى

البطريرك طبخها . وتقام صلاة خاصة لهذا السبب .

(٣١) يوحنا الصغير . سيرة أنبا يشوى - مخطوط ورقة ٣٥ .

راجع أيضاً السنكسار القبطى تحت تاريخ ٢٦ طوبة .

(٣٢) المقرئى : المواقظ والاعتبار ج ١ ص ١٨٦ .

(٣٣) ابن عماتى : قوانين الدواوين ص ٢٤ .

(٣٤) مبارك ، على : الخطط التوفيقية ج ١٧ ص ٤٨ .

Cabrol : Dict. D'Arch. Chret. T II P. 3126. (٣٥)

Hanotaux: Hist. De La Nation Egypteinne T I P.328 ( ٣٦ )

Butcher : The Story Of The Church Of Egypt V II ( ٣٧ )  
P.P. 107-108.

Palladius : The Paradise V I P. 102. ( ٣٨ )

Socrates : Ecclesiastical History B. IV P. 235. ( ٣٩ )

Duchesne : Histoire Anc. De L' Eglise T II P. 493. ( ٤٠ )

Socrates : OP. Cit B. IV P. 235. ( ٤١ )

Butcher : OP. Cit. V I P. 108. ( ٤٢ )

O'Leary De Lacy : The Saints Of Egypt. P. 72. ( ٤٣ )

يقال أنه بعد أن تناول الأنبا أنطونيوس مع الأنبا  
آمون الطعام في عصر يوم الزيارة ، سار الاثنان إلى الجنوب ،  
حيث أوضح أنطونيوس لآمون قيمة سليا .

Besse : Les Moines D'Orient P. 8 . ( ٤٤ )

Socrates : OP. Cit. B IV P. 235. ( ٤٥ )

O'Leary De Lacy : OP. Cit. P. 72. ( ٤٦ )

Palladius: The Paradise V I P.P. 44 & 113. ( ٤٧ ) راجع

White E : Monasteris of Nitria, V II P. 56. ( ٤٨ )

( ٤٩ ) ايسيدوروس ، الأسقف ، الخريدة النفيسة ج ١ ص ٢٤٨ .

White : OP. Cit V II P. 57. ( ٥٠ )

Curzon : Visits To The Monasteries Of The ( ٥١ )

Levant. P. 77.

Cheneau : Les Saints D'Egypte T I P. 19. ( ٥٢ )

A. M. G. T XXV P. 243. ( ٥٣ )

- Duchesne : Hist. Ancienne De L'Eglise T II P. 494. ( ٥٤ )  
Palladius : OP. Cit V I P. 117.  
Cheneau : OP. Cit. T I P.P. 13-14. ( ٥٥ )  
Mackean : Christian Monasticism, P 84. ( ٥٦ )  
Amelineau : La Geographie De L' Egypte, P. 438. ( ٥٧ )  
( ٥٨ ) يوحنا الصغير : سيرة الأنبا يشوى مخطوط - ورقة ١٣٤  
وميمر أنبا مقار الكبير وأنبا مقار الاسكندري مخطوط ص ٢٩ .  
سيرايون : ميمر أنبا مكاريوس الكبير ورقة ١٢٦ .  
Palladius : The Paradise V II P. 193. ( ٥٩ )  
( ٦٠ ) سيرايون : المرجع السابع ص ٥-٩ .  
Amelineau : La Gcog. De L'Egypte A L'Epoque ( ٦١ )  
Copte P.P. 434-435.  
سماء البعض مكاريوس الجمال لذهابه مع قافلة إلى وادى النطرون.  
( ٦٢ ) سيرايون : ميمر القديس مكاريوس ورقة ١٠ ا .  
( ٦٣ ) سيرايون : ميمر القديس مكاريوس ورقة ٩ ، ١٠ ، ١١ .  
( ٦٤ ) نفس المرجع : ورقة ٨ ب .  
A. M. G. : T. XXV Intro. P. XXXVI. ( ٦٥ )  
Waddell H. : The Desert Fathers P.P. 79-80: ( ٦٦ )  
( ٦٧ ) سيرايون : المرجع السابع ورقة ١٢ .  
( ٦٨ ) نخبة من آباء الكنيسة : الصادق الامين ج ١ ص ٣١٣ .  
White : OP. Cit V II P.P. 67-68. ( ٦٩ )  
( ٧٠ ) سيرايون : ميمر القديس مكاريوس الكبير ورقة ١٣ ب .  
( ٧١ ) نفس المرجع : ورقة ١٥ ا - أنظر كذلك Cheneau:OP. Cit. V I P. 119.



- (٧٢) نفس المرجع : ورقة ٢٧ ا .
- (٧٣) A. M.G : T XXV - P.P. 265-266.
- (٧٤) الدويرى ، يسطس : موجز تاريخ المسيحية ص ٢١٤ .
- (٧٥) سيرايبون : ميمر مكسيموس ودوماديوس ورقة ٣٤ .
- (٧٦) A. M.G: OP. Cit. P.P. 267-269.
- (٧٧) سيرايبون : المرجع السابق ورقة ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٤ .
- (٧٨) نفس المرجع : ورقة ٤٦ .
- Graffin : Patrologia Orientalis T V C 752 ،
- (٧٩) A. M. G. : T XXV P. 296.
- (٨٠) Ibid. P. 297.
- (٨١) ايسيدروس : الخريدة النفيسة ج ١ ص ٥٦٩ .
- (٨٢) سرايبون : المرجع السابق ورقة ١٥ ا .
- (٨٣) البراموس هي الترجمة العربية للكلية القبطية « باروميوس » .
- (٨٤) سيرايبون : ميمر القديس مكاريوس ورقة ٢١ ب .
- (٨٥) كان موسى الاسود لصاً ثم أتى إلى البرية وتلذذ على يد القديس  
مكاريوس الكبير - راجع :
- Quatremere : Mem. Geog. & Hist. V I P. 470 .
- (٨٦) ابن المقفع ، ساويرس : تاريخ البطارقة ص ٢٤٢ .
- (٨٧) Amelineau:La Geog. De L'Egypte P. 437.
- (٨٨) Cheneau : OP. Cit T. I P. 119..
- (٨٩) مبارك ، علي : الخطط التوفيقية ج ١٧ ص ٤٨ .
- (٩٠) سيرايبون : ميمر مكاريوس الكبير ورقة ١٥ ب .

- (٩١) نفس المرجع ورقة ٣١ ب .
- A. M. G. T XXV P. 324. (٩٢)
- Ibid. P.P. 327-328. (٩٣)
- (٩٤) يسمى في بعض المخطوطات القديس بامويه ، بامبوا - أنظر
- Graf G : Catalogue De Manuscrits Arabes P. 268.
- A. M. G. T XXV P P. 349-350. (٩٥)
- Ibid : P.P. 343. (٩٦)
- Ibid : P. 351. (٩٧)
- Ibid : P. 352. (٩٨)
- Ibid : P.P, 390-391. (٩٩)
- (١٠٠) يوحنا الصغير ، ميمر الانبا يشوى ورقة ١٢ .
- (١٠١) نفس المرجع : ورقة ٤٢ ب .
- (١٠٢) نفس المرجع : ورقة ١٣ ، ١٤ .
- A. M. G. : T XXV P. 98. (١٠٣)
- (١٠٤) يوحنا الصغير : المرجع السابق ورقة ٤ ب .
- (١٠٥) نفس المرجع ورقة ٢٠ ، ٢١ .
- (١٠٦) نفس المرجع : ورقة ٣٧ ب ، ٣٨ .
- Butler : Lausiaca Hist. Of Palladius V II P. 189. (١٠٧)
- Cassien : Instit. L I P. 87.
- A. M. G: T XXV P.P. 240-241. (١٠٨)
- White E. : Hist. Of The Monasteris of Nitria P. 118 (١٠٩)
- Besse : Les Moines D'Orient. P. 8. (١١٠)

## الفصل الثالث

### التنظيمات الادارية والاقتصادية للرهبان

إدارة الرهبان في نتريا - علاقة الرهبان  
بالوظائف الاكليروسية - إدارة سليا - إدارة  
شبهت - نظام قبول الراهب في هذه الجماعات -  
المنابع الاقتصادية ووجوه الصرف - تقاليد  
الضيافة والزيارة عند الرهبان .

#### إدارة الرهبان في نتريا :

قام على إدارة كل جماعة من الجماعات الرهبانية مؤسسها،  
وخلفه في رتبته أكبر تلاميذه . وأطلق الرهبان على هذا الرئيس  
لقب الأب - ، أو الأنبا ، ABBA . ولم يكن هذا اللقب في  
وادي النطرون ، جديداً فأنطونيوس ، لقب بأب رهبان الجبل  
الشرقي ، بعد أن تتلمذ على يديه العدد الكبير من الرهبان في  
الصحراء الشرقية عامة ، وبوادي النطرون كذلك .

والنظام الأبوي نتيجة طبيعية لهذا المجتمع الجديد ، الذي خضع  
فيه الراهب خضوعاً تاماً لمرشده الديني ونسب والديه ، ودفعته  
الغريزة الاجتماعية <sup>(١)</sup> ، إلى أن يتخذ من هذا المرشد الديني أباً  
روحياً له ، يشكو له آلامه ، ويبحث إليه أسرارته وأفكاره ، ويتلصص  
عنده حلو لمشكلاته ، في غير خوف أو خشية ، أو وازع من  
القانون . وعلى هذا الأساس ، أصبح آمون أب رهبان نتريا ،  
ومكاروريوس الاسكندري أب رهبان سليا ، ومكاروريوس الكبير

أب رهبان جماعته في بربه شهيت ، وكذلك الحال بالنسبة  
نيوحنا القصير ويشوى .

وإذ تتلذذ بعض الرهبان على يدى واحد من هؤلاء  
فإن الصدفة لم تكن السبب في إختيارهم لهذا الأب . بل  
تدخلت في إختيارهم لهذا الأب ، عدة عوامل ؛  
أولها ، أن بعضهم فضل أحد الآباء الذى تربطه بهم  
صلة القرابة ، وثانيها أن البعض الآخر اجتمع حول أب ،  
عرفوا أنه من أبناء إقليمهم ، حيث انتشرت قصص عن نسكه بين  
أهله ومعارفه ، ففضلوا أن يتخذوا منه مرشداً ورئيساً لعله يكون  
أكثر حذباً عليهم ممن لم يعرفوه .

غير أن العامل الثالث هو أقوى العوامل جميعاً ؛ وذلك أن  
شهرة الأب لعبت دوراً هاماً في إلتفاف الكثيرين ، حوله فنشأ  
عن هذا حركة إستقلالية بين بعض الجماعات والأخرى . ولعل  
في هذا ما يلقي الضوء على سبب وجود أب واحد وكنيسة واحدة  
لرهبان نترية الخمسة آلاف ، وآخر لسليا التى كانت في بداية  
عهدهما بالحياة الرهبانية تابعة لنترية في رئاستها وجميع أمورهما  
الاقتصادية ، بينما وجد كذلك أربعة آباء واحد لكل جماعة من  
جماعات برية شهيت وبنيت كنيسة لكل جماعة .

#### الرهبان والوظائف الكليروسية :

وخضع رهبان نترية جميعاً لرئاسة واحدة تركزت لأول مرة  
في يد الأنبا آمون ، مؤسسها ، وذلك على الرغم من اتساع

مساحتها وكثرة عدد رهبانها . ومع أنه لم يرد ما يفيد عن قيام الأنبا آمون بالوظيفة الكهنوتية لجماعته <sup>(٢)</sup> ، غير أن بلاديوس الذى زار نتريا بعد وفاة الأنبا آمون بحوالى ثلاثة وستين سنة ، ذكر عن وجود ثمانية قسيسين ، رأسهم كبيرهم الذى أصبح كاهناً أعظم ، وانفرد بالخدمة الدينية فى الكنيسة ، على حين لم يشترك السبعة الآخرون فى صلاة القداس الإلهى ، أو الوعظ ، أو التعليم . بل جلسوا إلى جواره فى الاجتماعات العامة التى عقدها الرئيس للإرشاد أو الوعظ <sup>(٣)</sup> . ومعنى هذا أن الكاهن الأكبر أو ما يسمى الايغومانوس « القمص » ، هو الذى قام بكافة الطقوس الدينية ، وحرص حرصاً تاماً على تطبيق النظام الأنطونى على رهبانه . ثم أنه استطاع بما لديه من سلطة روحية أن يقبل القادمين اليه أو يردهم . ويعاقب المذنبين بشتى أنواع العقاب التقليدية .

ويغلب على الظن أن الأنبا آمون قام بمثل هذه الوظيفة الكهنوتية لسببين ، أولها أن الأنبا آمون كان مؤسس هذه الجماعة وأكبر الرهبان جميعاً ، وثانيهما أن المسافة بين نتريا والأماكن الآهلة بالسكان يتعذر معها إستخدام أحد الكهنة المتزوجين ، أسبوعياً على الأقل ، للقيام بالطقوس الدينية وصلاة القداس بالكنيسة ، على نحو ما فعل الأنبا باخوميوس ، الذى كانت أديرته على مقربة نسبياً من الحياة المدنية ، والذى عرف عنه تحريره ديريه من تولى الوظائف الاكليروسية ، وما يزيد هذا الإعتقاد ، أن من أتى بعد الأنبا آمون فى رئاسة جماعة نتريا ، وهو القديس بامو ، وسم كاهناً لرهبان نتريا ، وذلك على الرغم من انفراده فى قلاية



في سليا ، كما فعل الأنبا آمون من قبل<sup>(٤)</sup> . على أنه مما يدعو إلى الالتفات ، أن هؤلاء القسيسين بهذه الرتبة الاكليروسية ، صار لهم مركز أعلى من مراكز الرهبان العاديين في نظر الكنيسة ، بل أن الرهبان العاديين أنفسهم حرصوا على احترام أصحاب هذه الرتبة من القسوس المتزوجين ، ولطالما وقف القديس أنطونيوس . في أوائل عهده بالرهبة على الخصوص خاشعاً أمام القسيس . بل أنه أظهر احترامه للشماس القاريء الكنسى ، باعتباره خادماً للهيكل وقدمه على نفسه<sup>(٥)</sup> .

ومن الأدلة كذلك على علو هذه الرتبة عن الرتبة الرهبانية العادية ، ما كتبه القديس جيروم ، الذى عاش عدداً من السنين في وادى النطرون في قوله : أن حالة الرهبان تختلف كلية عن القسيسين ، فالقسيسون يقودون الرعية ، أما أنا ، ولست أكثر من راهب ، فإنى خاضع لقيادتهم ، والقسيسون يعيشون من المذبح ، أما أنا فإنى أصبح شجرة غير مشمرة أستحق القطع ، إذا لم أقدم قرابينى إلى المذبح ، وفارق آخر أنه لا يسمح لى بالجلوس قدام القسيس ، وإذا ارتكبت خطية فإن القسيس فى وسعه أن يحرمنى ، وإذا سقط الراهب فإن القسيس يصلى عنه ، أما إذا سقط القسيس فمن يصلى عنه ؟<sup>(٦)</sup>

وجرت عادة البطاركة أن يرقوا القساوسة المتزوجين لمنصب الأسقفية ، غير أنه بعد أن تقرر فى مجمع نيقية ضرورة أن يكون الأسقف بتولا ، جعل البطاركة من الرهبان إكليروساً مجتدين

لاختيار الصالح منهم لوظيفة الاسقفية (٧) . وبدأ أثناسيوس البطريك العشرين يسير على هذا القانون ، وتبعه من جاء بعده من البطاركة (٨) . غير أنه من الملحوظ أنه لم تكن هناك رغبة لدى أغلب الرهبان الأوائل ليندجوا في السلك الكهنوتي تقليداً لانيطونيوس (٩) ، الذي يظن أنه بقي علمانياً إلى آخر حياته . معتقداً عدم استحقاقه لهذه الرتبة . وعلى هذا الأساس فإن هؤلاء القسيسين السبعة ، لم يفقدوا شخصياتهم أمام شخصية الكاهن الأكبر وأنهم بحكم شيخوختهم ووصولهم إلى هذه الرتبة الكهنوتية أصبحوا اليد العاملة التي تقوم على تنفيذ أوامر الكاهن الأكبر ، حيث أن كلا منهم تولى إرشاد وتدريب الرهبان الساكنين في وحدة كبيرة من وحدات الصحراء في نتريا ، كما أنهم كونوا المجلس الإستشاري ، الذي رأسه الكاهن الأكبر ، والذي أصبح مركزه فيه ، الأول بين أقرانه . وتولى رئيس المجلس النظر في شئون الرهبان مستأنساً بآراء أعضائه ، واتسعت سلطة الرئيس اتساعاً واضحاً بازدياد عدد الرهبان ، غير أنه مما يؤخذ على هذه الرئاسة أن سلطة الرئيس استغلت أحياناً استغلالاً سيئاً (١٠) .

ويبدو أن الأنبا شنودة — في أواخر القرن الرابع — نقل هذه النظم الإدارية إلى أديرته على مقربة من سوهاج الحالية . وجعل على رأس الديرين جميعاً رئيساً أعلى ، صار يعرف إبتداءً من القرن الخامس بالآرشمندريت ، أي رئيس المتوحدين ، وصار رؤساء الوحدات الديرية وهم يمثلون المرشدين الروحيين للديرين ، صاروا شركاء الأرشمندريت في إدارة الأديرة . وأخذت الإدارة

العامة للأديرة التابعة لشنوده في الدير الرئيسي تتلقى منه التوجيهات والتعليمات . غير أنه كانت هناك أربعة إجتماعات سنوية عامة تنتظم كل رهبان الأديرة للتشاور فيما بينهم من أمور .

ثم أن كل راهب حرص على تنفيذ النظام والأوامر التي تلقاها من رئيسه أو مرشده في طاعة تامة كاملة ، غير أن بعض المخالفات عرضت صاحبها أحياناً للعقاب الصارم بعد تقرير يرفع إلى الكاهن الأكبر ، الذي يصدر الأحكام مستشيراً أعضاء المجلس . واشتملت هذه الأحكام على عقوبات روحية وبدنية . ومن العقوبات الروحية ، فرض صوم خاص ، أو صلوات خاصة أو عدد خاص من الركعات أو ما تعرف بالمطانيات . أما العقوبات البدنية فانها كانت قاسية أحياناً ، إذ أنه كانت هناك إلى جوار الكنيسة ثلاث نخلات تدلى من كل منها سوط خصص واحد لعقاب الرهبان المخالفين ، والثاني لمعاقبة اللصوص الذين يهجمون على قلالي الرهبان ويسيطون إليهم ، والثالث لعقاب الزائرين الخارجين على نظام الرهبان أو المقلقين لراحتهم<sup>(١١)</sup> .

وليس معنى هذا أن آباء وادى النظرون أوجدوا نظاماً ديكتاتورياً بين رهبانهم ، يحاكم بمقتضاه كل مخطيء ، فإن بلاديوس أورد لنا قصصاً كثيرة عن تسامحهم مع الرهبان . ومن هذه القصص ما ذكره عن أحد الرهبان في الاسقيط حيث أخطأ خطأ فاحشاً ، ولانعقد لمجلس بسيه ، فقام الأب بيور وأخذ خرجاً وملاء رملا وحمله على ظهره ، كما أخذ كيساً صغيراً ووضع فيه قليلاً من الرمل وجعله قدامه ، فسأله : ما هذا الخرج المملوء

كثيراً ؟ ، فقال : إنه خطاياى قد طرحتها وراء ظهري حتى لا أنظرها ولا أتعب لأجلها ، أما هذا الرمل القليل الموجود أمامي فهو خطايا أخى جعلتها قدامى لأدينه عليها فلما سمع الاخوة ذلك إلتفتضوا وغفروا للاخ المخطيء ، (١٢) .

وإذ أصبحت سليا فى طريقها إلى نوع من الإستقلال بعد أن رأسها الأب مكارىوس الإسكندري ، فإنه أصبح كاهناً للكنيسة التى بنيت بها على عهد . واختلفت سليا عن قترىا فى أنه لم يكن هناك بها سوى كاهن واحد هو الأب الرئيس أو المدير . ومن أجل هذا فإن مهمته أصبحت أكثر عبثاً وذلك لاضطراره لافتقاد المنفردين فى قلايهم المبعثرة فى أطراف هذه البقعة من الصحراء ؛ إذ أن هؤلاء احتاجوا لرعاية أكثر من زملائهم المقيمين فى قلالى متجاورة ، وأصبح لهذا الكاهن كذلك سلطة واسعة على هؤلاء الرهبان المنفردين غير أنه نظراً لوصولهم إلى درجة عالية من درجات الرهنة ؛ فإن الرئيس ما لبث أن إنحصرت سلطاته فى التأثير الشخصى (١٣) ، وغداً سلوكه وأعماله عظة صامته وقدوة صالحة للرهبان الذين حرصوا على تقليد طريقة حياته ونسكه ، غير أن هذا لم يمنع بعض الرهبان من التردى فى مهاوى الرذيلة ، لهذا أصبح ضرورياً وجود مجلس ينظر فى شئون المخالفين والخارجين على النظام الموضوع ؛ فتألف هذا المجلس من بعض الشيوخ الذين اتصفوا بالمعرفة الواسعة تحت رئاسة الكاهن (١٤) . وأصبح لهذا المجلس نفوذه الواضح على الرهبان حتى أنه أصدر حكمه مرة على راهبين إرتكبا خطأ بأن يسجنا فى قلايها مدة

سنة مع أنها ندما على أخطائهما<sup>(١٥)</sup> . أما موضوع العقاب بالضرب بالسوط فإنه في أغلب الأحيان لم يستخدم إلا كوسيلة لاختبار بعض الرهبان من الشباب المقدم على الرهبة حديثاً إذ أننا لم نسمع عن واحد من الرهبان عوقب بالضرب بالسوط . وفي الاسقيط أطلق على رئيس الجماعة الرهبانية كذلك اسم أب الرهبان . ثم إذ أصبح يتولى الوظائف الكهنوتية ، فانهم أطلقوا عليه فيما بعد قص شهيت ، وهي كلمة سوريانية معناها « مدير »<sup>(١٦)</sup> وسمى بالقبطية « أيغومانس » . ولم يخص هذا الاطلاق على رئيس جماعة من الجماعات الأربعة دون غيرها ، بل أن كل كاهن أو مدير لهذه الجماعة أطلق عليه هذا اللقب . غير أنه يلاحظ أن مكاريوس الكبير لم ينعت رهبانه بهذا اللقب مع رسامته كاهناً ، وقيامه بالطقوس الدينية ؛ ذلك أن مكاريوس الكبير نزل في نفوس رهبانه منزلة كبيرة ؛ لاسبقيته في تأسيس أول جماعات شهيت ، ثم لأن شخصيته في هذه البرية فاقت غيرها من زعماء الرهبان ، ففضل رهبانه أن ينعتوه بلقب أب رهبان شهيت ، وتلقب من جاء بعد مكاريوس الكبير في رئاسة جماعته بلقب أب رهبان شهيت ، وقص شهيت هو القديس بافوتيوس الذي خلفه سنة ٣٩٠ م . أما رؤساء الجماعات الباقية في شهيت فإن كلا منهم حمل لقب قص شهيت ، وغلب هذا اللقب على اللقب السابق<sup>(١٧)</sup> .

أما سلطة كل من هؤلاء الرؤساء الأربعة فإنها انحصرت في قبول أو رفض راغبي الرهبة ومعاقبة الرهبان المخالفين ، وقام



الواحد منهم بالإضافة إلى هذا كله بالإشراف على الحياة الروحية للجماعة الرهبانية التابعين له ، كما أشرف على إدارة سياستها العامة . وساعد الكاهن الرئيس ( الایفومانوس ) قارئون كنسيون ( شمامسة ) ، وحملوا لقب ( دياكون ) ، إذ ذكر عن دانيال تلميذ القديس بافوتيوس أنه كان شماساً تولى مساعدته في أداء الطقوس الدينية وغيرها من الواجبات الكهنوتية (١٨) .

ثم أصبح هناك كذلك مجلس لكل جماعة ، ومع أنه لم يرد ذكر عن كيفية تكوين هذا المجلس الذي رأسه كاهن الجماعة ، فإنه يبدو أنه تكون من شيوخ الجماعة المشهود لهم بالتقوى .

ولما كانت شهيت يقصدها كل راغب في أقصى أنواع الرهبانية ، فإنه يبدو أن العقاب هنا لم يكن صارماً كما كان الحال في نترية . ومن أمثلة هذا أن واحداً من الرهبان في شهيت أخطأ مرة خطأ شنيعاً فشكاه زملاؤه إلى القديس مكاريوس الكبير ، غير أن هذا القديس لم يتسرع في الحكم عليه بل ساعه ثم أمسك بيده وقال له ، « يا أخى ، على نفسك أحكم قبل أن يحكموا عليك لأن الحكم لله » (١٩) . ثم ودعه وتركه ، وحدث كذلك أن راهباً آخر أخطأ ، وانعقد مجلس رهبان الجماعة بسببه ؛ غير أن الرئيس لم يساير المجلس على ما أراد بل أقنع أعضاءه بضرورة الصفع عنه . ولاتخذت طريقة الإقناع مظهراً عملياً حيث أخذ الرئيس خرجاً وملاء رملاً وحمله على ظهره كما أخذ كيساً صغيراً ووضع فيه قليلاً من الرمل ، وجعله قدامه ، فسأله الرهبان المجتمعون في المجلس قائلين « ما هذا الخرج المملوء كثيراً ؟ فقال :



إنه خطايى طرحها وراء ظهرى حتى لا أنظرها ولا أتعب  
لأجلها ، أما هذا الرمل القليل الموجود أمامى فهو خطايا أخى  
جعلتها قدامى لأدينه عليها ، فلما سمع الرهبان ذلك غفروا  
للراهب المخطئ (٣٠) .

### دراسة مقارنة مع إدارة الأديرة الباخومية :

وإذا كانت سلطة رئيس الجماعة فى وادى النطرون محدودة فى  
نطاق جماعته ، فالملاحظ أنها اختلفت عن سلطة الأنبا باخوميوس  
الذى رأس جميع الأديرة التى أنشأها ، فإنه لكى يسهل تنظيم  
الإدارة الديرية وترقى الديرين فى درجات الحياة الروحية التى  
أرادها لهم الأنبا باخوميوس فى داخل الدير ، قسم باخوميوس  
الديرين أربعة وعشرين درجة ، ورمز لكل منهما بحرف من  
الحروف الأبجدية من الألفا إلى الـ تي (٣١) . وقامت كل هيئة  
أو طبقة رهبانية إلى جانب هذا بعمل خاص مع تمييزها برتبتها  
الروحية الخاصة . وجعل الأنبا باخوميوس من دير بابو  
مركزاً رئيسياً لإدارة باقى الأديرة ، إذ التأمت إدارة الأديرة  
الباخومية مرتين فى كل عام فى الدير الرئيسى فى بابو ، أولها فى  
عيد الفصح ، وثانيهما فى العشرين من شهر مسرى وذلك للنظر  
فى شئون الإدارات المحلية وتقديم حسابات الأديرة .

وثمة اختلاف آخر، هو أن كل دير صار له رئيسه الذى  
يختاره الأنبا باخوميوس ويساعده نائب عنه ، أشبه ما يكون  
بالمشرف الإقتصادى فى جماعات وادى النطرون . ثم أن الأنبا

باخوميوس حرص على أن يختار خليفته وهو على فراش الموت ، وهو أمر لم يعرف عن رهبان وادى النطرون . ويمكن القول أن الأديرة كانت أطرافاً لجسم واحد ، رأسه في بابو ، بعكس ما رأيناه في حياة الإستقلال بين كل جماعة رهبانية وأخرى في وادى النطرون (١٢٢) .

ومهما يكن من أمر هذه الرئاسة الرهبانية أو الديرية فإن الطاعة العمياء والسلام المسيحى ظلا رمزاً ونبزاً لبلاد الدولة الرومانية ، على حين ذهب التنظيم الرومانى بسبب الاغارات الجرمانية ، وحروب الدفاع والهجوم بين الرومانيين والجرمانيين ، الساعين لاقتطاع أجزاء من الدولة الرومانية للإقامة بها إقامة دائمة ، ولتنقض بالتالى على وحدتها .

### نظام قبول الراهب ورسالته :

ولم تشترط سن معين لقبول الراغب فى الرهبانية ، ولما جاء معظم الراغبين فى هذه الحياة ممن هم فى سن الشباب ، فإنه مع هذا وجد فى برية شهيت رهبان نشأوا منذ طفولتهم بها . ومن هؤلاء الراهب زكريا « زخارياس » ، ومن أمره أن أباه « قاريوس » ترك والدته وأخته وترهب فى برية شهيت ، إلا أن ظروف الحياة الاقتصادية آنذاك دفعت بوالدته أن تخفف عن نفسها متاعب حياتها ، فقسمت أولادها بينها وبين زوجها وخصته بابه زكريا ، الذى أرسلته إليه فى برية شهيت ، وهناك شب فى رعاية أبيه الذى أحاطه بهذه التربية الدينية الخالصة . وعندما بلغ زكريا

أشده رسم راهباً ، وأنهى حياته هناك<sup>(٢٣)</sup> . غير أنه ذكر كثيراً في تاريخ صحراء نتريا ما يشير إلى وجود مثل هؤلاء الأطفال الذين ذكر كاسيان عن وفاة إثنين منهم إبان وجوده بها ، وذلك أثناء ذهابهما يحملان فاكهة لراهب مريض<sup>(٢٤)</sup> .

ويبدو أنه في مثال زكريا السالف ما يشير إلى أن شرط البتولية لم يصبح شرطاً أساسياً لقبول الراهب في الرهبانية ، بل أن شيوخ الرهبان قبلوا أن يتلذذ على أيديهم المتزوجون الذين تركوا زوجاتهم نهائياً ، إما هرباً من المسؤوليات المدنية تحت ضغط الاضطهاد الروماني والضرائب الثقيلة ، أو من خيانة زوجاتهم لهم . وهم في هذا ساروا على ما فعله الأنبا أنطونيوس أب الرهبان الذي قبل أن يتلذذ على يديه الراهب بولس البسيط ، الذي ترك زوجته وأطفاله<sup>(٢٥)</sup> .

غير أن مما يدعو إلى الالتفات إنه عندما أصبحت الرهبانية حركة واسعة النطاق ، وقف الكثيرون أمام الشباب الهارب من وجه المسؤوليات المدنية ، أو الاوضاع السياسية ، ابقاءً على تماسك الأمة القبطية ، وتنازل أفرادها ، فأرغموا شبابهم على الزواج . غير أن جهودهم ضاعت سدى عندما هجر هؤلاء زوجاتهم مصممين على حياة البتولية ، لكي يكونوا كما قال بولس الرسول « بلاهم ويهتموا فيها للرب كيف يرضوا الرب »<sup>(٢٦)</sup> ، ومن أمثلة هؤلاء في وادي النطرون آمون ومكاريوس الكبير .

وعند بداية الرهبانية كان قبول الراهب بعد تعهد منه أن يعيش راهباً حتى نهاية حياته<sup>(٢٧)</sup> . وما هو ملحوظ أن هذا



دير الأنبا يشوى من الداخل  
وتلاحظ قباب الكنيسة القديمة وبعض القبلى

العهد لم يكن مكتوباً آنذاك ، بل أن الذي استحدث كتابته هو القديس شنوده في القرن الخامس الميلادي<sup>(٢٨)</sup> . ولم يكن هناك كذلك في أول الأمر ما حاج الراهب إلى البقاء مدة طويلة تحت الاختبار كما حدث بعد أن ازداد عدد الراغبين في الرهبانية . وإذا أتى الراغب في الرهبانية إلى رئيس الجماعة الرهبانية ، يبين له الأخير متاعب الحياة في الصحراء الموحشة والأعباء الملقاة على كاهله ، ويحاول أن يثنيه عن عزمه . وليس مثل مكسيموس ودوماديوس بعيداً عنا<sup>(٢٩)</sup> . واعتبر هذا العمل أول اختبار لمقدرة الراهب ، فإذا ما ثبتت رغبته الصادقة بديء في اختبارات أخرى ؛ ومن هذه الاختبارات ، اختبار تواضع الراهب ، ومدى احتقاره لذاته ، وعدم اهتمامه بجسده ؛ فالقديس أنطونيوس أعطى مكاروريوس الكبير درساً في احتقار ذاته حين جاءه ليتلمذ عليه ؛ إذ أنه قرع باب قلايته قائلاً : أنا مكاروريوس أيها الأب ، . غير أن القديس أنطونيوس تركه ولم يفتح له الباب ، وظل مكاروريوس هذا يبابه مدة طويلة ، واقفاً متوسلاً إليه ، حتى فتح له أخيراً ، وقبله في داخل قلايته<sup>(٣٠)</sup> . وطبق يوحنا القصير هذا الدرس على أرسانيوس أحد رجال البلاط في قصر الامبراطور ارКАДيوس ابن تاودسيوس الكبير ؛ فعندما أتى أرسانيوس إلى بريه شهيداً راغباً في الرهبانية توسل في تواضع وخضوع إلى يوحنا القصير ، الذي أظهر له احتقاره الشديد ، ولم يعبأ به ولو مركزه ، بل تركه واقفاً على بعد ، ثم جلس مع رهبانه لتناول الطعام ، اذ صادف مجيء أرسانيوس يوم الأحد . وبعد قليل ألقى إليه الانبا

يوحنا بقطعة من الخبز الجاف وهو في مكانه ، فانحنى أرسانيوس من بعيد ليتناولها من على الأرض ، فلما رأى يوحنا القصير منه هذا ، قال بصلاحيته للرهبانية، ومن ثم رحب به بين الرهبان (٣١) .

ومما هو ملحوظ أن مبدأ العنف والقسوة الذي سارت عليه الجماعات الرهبانية والأديرة المصرية مع كل طالب للرهبانية لم يقتصر على مصر فحسب بل تعداها إلى أوروبا ، حتى صارت قانوناً مرعياً بين قوانين الرهبان والديرين هناك .

ولما اجتاز الراهب اختباراً ، يسعى شيخ الرهبان إلى زيادة الاطمئنان على صلاحية هذا الراهب الجديد ، فيختبره على الطاعة التي اعتبرت شرطاً أساسياً من شروط الراهب ، ينظم علاقته بإخوانه وبالشيوخ القائمين على أمره ، حتى غدت طاعة عمياء (٣٢) . ومن أمثلة هذا ما ذكر عن إعطاء القديس بامو الغصن الجاف لتلميذه يوحنا القصير الذي تحمل مشاق السير مسافة بعيدة حاملاً إليه الماء ليرويّه ، مع أنه لم يكن هناك أمل أن ينبت هذا الغصن (٣٣) . ويبدو أن الأنبا باخوميوس في تابينسى طبق هذه الشروط وأضاف إليها من عنده شروطاً أخرى إقتضتها الظروف المحيطة بأديرته ، فمن طرزق بابه من الراغبين في الديرية ، ترك في مضيعة خاصة بجوار باب الدير يدرّب فيها على الحياة الديرية مدة لم تكن واحدة للجميع ؛ إذ يلاحظ أن قانونه الذي نص على بقاء الراغب في الرهبنة ثلاث سنوات قبل أن يدخل الدير ، لم يكن مرعياً في بادئ الأمر على الأقل ؛ فإن دخول



مكاربوس الاسكندري الى دير الانبا باخوميوس دون حاجة الى بقاء هذه المدة الطويلة وازدياد عدد الديرين في مدة قصيرة ما يدفع بأن مدة الثلاث سنوات - فيما يبدو - لم تطبق ، فيما بعد إلا على فئة خاصة رأى الانبا باخوميوس ضرورة بقاء هؤلاء النفر خارج الدير طوالها ، حتى يطمئن الى سلوكهم (٣٤) .

واتفقت طريقة رسامة الديرى عند باخوميوس مع الطريقة التى رسم بها رهبان وادى النطرون ؛ ذلك أنه بعد فترة التدريب يخلق رئيس الدير أورئيس جماعة الرهبان شعر الراهب ويضع ملابسه على الأرض ثلاثة أيام يمضيها مع الراهب مصلياً صائماً ، وفى نهايتها يلبس الراهب الملابس الرهبانية فيصبح فى عداد الرهبان (٣٥) .

ولما يدخل الراهب الجماعة الرهبانية يصبح مقطوعاً عن العالم الخارجى ، كما يحرم عليه مقابلة والديه أو واحد من أقربائه لمدة طويلة (٣٦) ، فيطلق الراهب لحيته (٣٧) ، وهذه الخطوات رمز إلى أنه نذر نفسه لهذا النوع من الحياة وكرس حياته لفروض الرهبانية التى تقوده إلى تحقيق المثل الأعلى للحياة المسيحية .

#### العمل اليدوى عند الرهبان :

ولعل أهم هذه الفروض ضرورة قيام الراهب بالعمل اليدوى وهو أمر اقتضته التعاليم الدينية وحاجات المعيشة .

أما هذه التعاليم الدينية التى حثت العمل اليدوى ، فإنها ترجع إلى العصر الرسولى ، حينما حدثت بدعة بين بعض التسالونيكين ، فقام قوم منهم اعتقدوا أن الساعة آتية ، وأن العالم على وشك

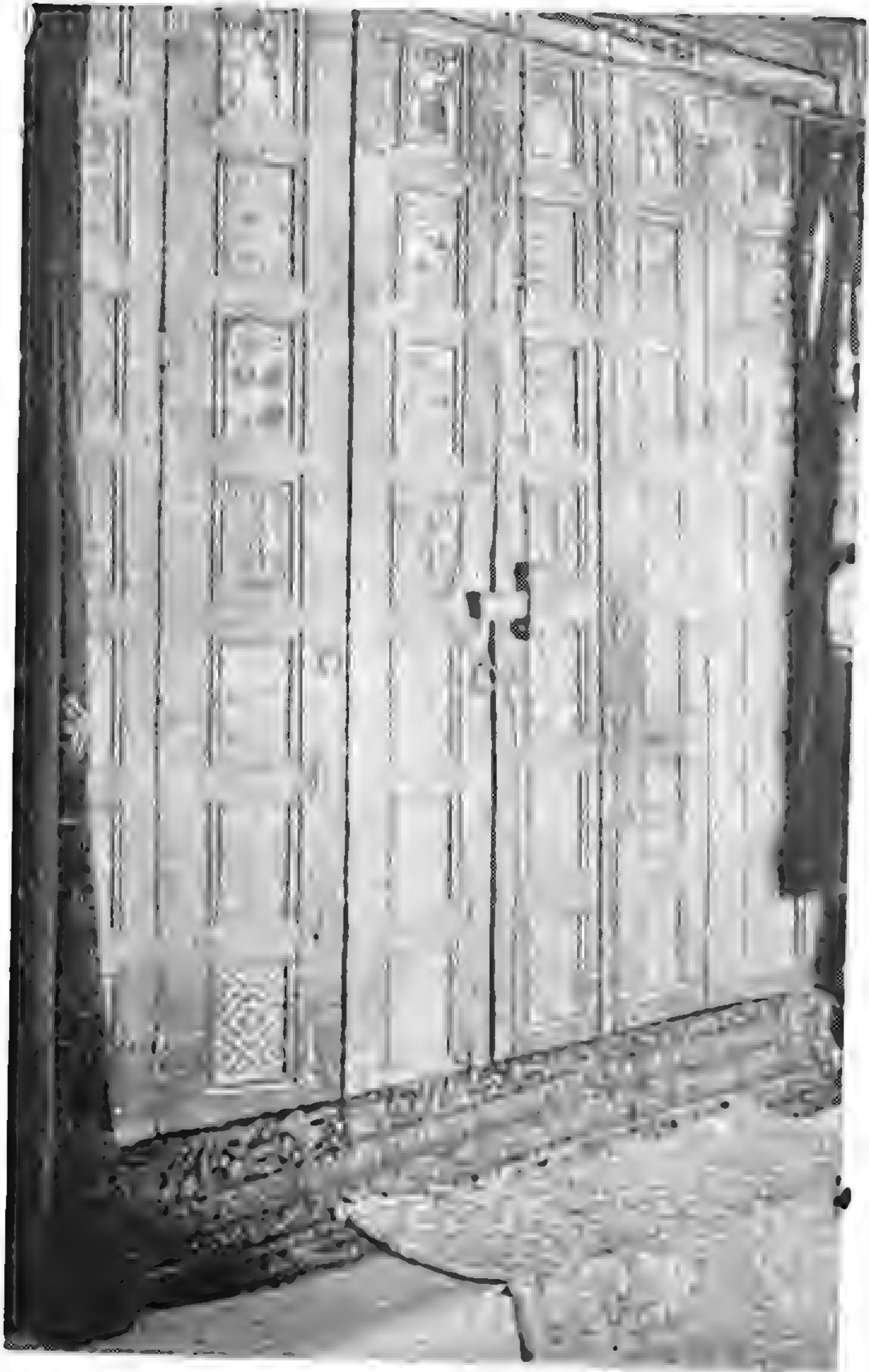
الزوال ، فاجتمعوا في الكنائس ، وتركوا أعمالهم ، وتفرغوا للعبادة فانبرى لهم بولس الرسول ينقض بدعتهم . ونادى بولس الرسول بقوله المشهور « أن من لا يعمل لا يأكل » ، وشرح أهمية العمل في حياة العابد المسيحي في قوله « أنتم تعرفون كيف يجب أن يتمثل بنا لأننا لم نسلك بلا ترتيب ، ولا أكلنا خبزاً مجاناً من أحد ، بل كنا نشتغل بتعب وكد ليلاً ونهاراً ، لكي لا تثقل على أحد منكم ، فإنا حين كنا عندكم أوصيناكم بهذا إن كان أحد لا يريد أن يشتغل فلا يأكل أيضاً ، (٣٨) . وأكد بولس الرسول مرة أخرى أهمية العمل فيما تحدث به إلى كهنة كنيسة أفسس في قوله « أنتم تعلمون أن حاجاتي وحاجات الذين معي خدمتها هاتان السيدان ، (٣٩) . وما عرف عن بولس الرسول بالإضافة إلى هذا أنه عندما أقام في بيت أكيلا وبريسكلا في كورنثوس ، اشتغل معهما في صناعتها وهي عمل الخيام ليكسب عيشه (٤٠) .

وعاش القديس أنطونيوس في بداية حياته الرهبانية دون أن ينتبه إلى كسب عيشه عن طريق العمل اليدوي (٤١) . فقبل بعض الخبز الذي أحضره إليه بعض الرفاق ، غير أنه سرعان ما شعر بأن الملل بدأ يتسرب إلى نفسه ، ثم قرأ التعاليم المسيحية التي نادت بأن الكسول لا يأكل ، فبدأ يشغل بعض وقته ، في غير أوقات الصلاة ، في العمل اليدوي . وانحصر هذا العمل في صناعة السلال وبيعها بواسطة أحد تلاميذه . ولما كان فرضاً على الراهب ألا يقتني مالا فإن الابا أنطونيوس أنفق جزءاً منه

على قوته وتصديق بجزء آخر .

غير أن ثمة دافعاً كذلك حدا بالقديس أنطونيوس للتفكير في ضرورة العمل اليدوى ، وهو اعتقاده أن الراهب الذى يشتغل يهاجم بشيطان واحد فقط ولكن الكسول يحاط بشياطين لا حصر لها (٤٢) . وبذلك يكون القديس أنطونيوس أول من وضع أساس العمل اليدوى للربان . وحذا حذوه فى هذا رهبان وادى النطرون ، وذلك حسب المبادئ المسيحية التى حتمت العمل لسد مطالب الحياة . وهكذا نجد القديس هور يؤكد أنه منذ دخوله صحراء نتريا وبنائه قلايته التى عاش فيها طيلة حياته لم يأكل خبز الكسل ، أو الخبز الذى لم يأت من عمل يديه (٤٣) . ورهبان آمون كسبوا عيشهم من استخراج النطرون وبيعه للقوافل . وإذ انصرف آمون وعدد كبير من رهبانه بعيداً عن الفضوليين ، وابتعد عن الأماكن التى استخراج منها النطرون ، اشتغل مع عدد كبير من الرهبان فى عمل الحصر والسلال . ومما هو ملحوظ أن جدل الحصر ، أو عمل السلة لم يكن أمراً سهلاً فى وادى النطرون ، بل احتاج إلى صبر طويل ؛ فهناك ضرورة الذهاب مسافة بعيدة إلى حيث ينمو النخيل ، لقطع أغصانه وأليافه ، ثم حملها إلى صوامع الرهبان ووضعها فى الماء مدة ليسهل العمل بها (٤٤) .

ثم أنه يلاحظ كذلك أن الشيوخ علموا الشباب وغيرهم من القادمين عليهم والطلالين الرهبانية عندهم طريقة العمل اليدوى (٤٥) ؛ . فالقديس مكاريوس الكبير علم تلاميذه طريقة صفر السعف



الباب المعروف باب النبوءات في دير السوريات  
لاحظ ما عليه من نقوش مطعمة  
وهي من صنم الرهبان

والليف لعمل الحبال . وعندما ازداد عدد الرهبان في كل جماعة وخاصة في نتريا ، وازدادت تبعاً لذلك مطالبهم ، كما تحملوا مطالب المنفردين في سليا ، عمل الرهبان في الأفران كما قاموا بغزل ونسيج الكتان اللازم لصنع ملابسهم . ثم أن بعضهم اشتغل إسكافياً أو في المطعم لخدمة الرهبان في الأكله العامة ، كما أن الحاجة إلى الخضر والفاكهة دعت إلى قيام الرهبان بالزراعة بين صوامعهم أو في الحديقة التي توسطت قلالى الرهبان . وقام بعض الرهبان بتنظيف الكنيسة أو بخدمة الرئيس في أثناء مرضه ؛ ومثل هؤلاء يوحنا القصير ويشوى . وتخصص بعض الرهبان كذلك في بناء الصوامع الكبيرة في نتريا التي استقبلت وفود الرهبان الجدد . وساعدهم في هذا رهبان قاموا بجمع سعف وجريد النخيل والاختشاب والاحجار اللازمة للبناء (٤٦) .

ووضحت أهمية العمل اليدوى في قول أحد آباء وادى النطرون ينصح أحد الرهبان « اهتم بعمل يديك ، مارسه ان أمكنك ليلا ونهاراً لكي لا تثقل على أحد ، حتى يكون لك ماتعطى المسكين حسب ما أمر به الرسول ، ولكي تصرع شيطان الضجر وتزيل عن نفسك بقية الشهوات ، لان شيطان الضجر منكب على البطالة وهو في الشهوات كامن ،

وقال آخر « ان البطالة هي مصدر رداءة الاعمال لاسيما من أولئك الذين قد عديموا الأدب ، لان اليهود لما لم يكن لهم في البرية عمل يشتغلون به ، خرجوا من البطالة الى عبادة الاوثان ، فعلينا ألا نفارق عمل اليمين لانه نافع جداً ومهذب ، (٤٧) .

و ذات مرة سأل راهب الاب يمين قائلاً : « قل لى كلمة ،  
فأجابه قائلاً : « واطب على عمل يديك ما استطعت وذلك لتعمل  
منه صدقة لأنه مكتوب أن الرحمة تطهر الخطايا ، .

وفى الإسقيط أصبح العمل اليدوى إجبارياً واعدد أكبر من  
الساعات وذلك ، بالنسبة لشباب الرهبان ؛ على أنهم لم يعفوا من  
العمل فى بعض أعياد القديسين التى كان يمكن إعفاء بعض  
الرهبان من العمل فيها ، ولعل هذا بسبب ضرورة شغل أوقاتهم  
حتى لا يفكر الواحد منهم فى إشباع غرائزه الشباوية (٤٨) .

ثم أنه مما يوجب الالتفات كذلك أن العمل لم يكن إجبارياً  
فى بعض الحالات ، فأعفى منه بعض شيوخ المنفردين الذين  
عاشوا على ما أنتجته جماعات الرهبان ، غير أنه حرم على الرهبان  
العمل أيام السبوت والآحاد والأعياد ، وذلك حسب التعاليم  
المسيحية (٤٩) .

وأصبح لزماً على جميع الرهبان سواء عاشوا جماعات أو  
فرادى أن يحملوا عملهم اليدوى لتقديمه لرؤاستهم ، التى تولت  
بيعه والانفاق على سائر الرهبان الذين حملوا معهم مؤونة الاسبوع  
والخدمات اللازمة لعملهم اليدوى عند عودتهم إلى قلايهم بعد  
نهاية الكنيسة واجتماع الاحد (٥٠) .

### المنابع الاقتصادية ووجوه الصرف :

وإذ كسب الرهبان عيشهم عن طريق عملهم اليدوى فإن ثمة  
مورداً آخر أضيف إلى موارد عيشهم السابقة ، وأصبح أكبر





منارتان عند مدخل الكنيسة القديمة  
في دير الأنبا يشوعى يوداى النطرون

مورد لهم وهو ما كسبوه في فترة الحصاد ؛ إذ عرف عن خروج الراهب هور وتلاميذه والقديس مكاريوس الكبير وثلاثمائة من الرهبان للحصاد في الضياع القريبة من هذه الجماعات (٥١) . وواضح أن الأنبا هور أقام في نتريا القريبة من إقليم هرموبوليس بارفا ، والقديس مكاريوس الكبير عاش في الاسقيط وهي قرية من غرب الدلتا ، على حين أن رهبان سليا لم يفكروا في هذا العمل ، لبعدهم عن الأراضي الزراعية نسبياً . وعاد الرهبان بعد الحصاد حاملين أجورهم ؛ وقيل أن أغلب الرهبان عملوا بنشاط في فترة الحصاد حتى بلغ ما حصله الواحد منهم حوالى ثمانين مكيالا من القمح ، وأودعت كميات القمح التي جمعت في مخازن الجماعة الرهبانية (٥٢) . وفي هذا دليل على أن الرهبان تقاضوا أجورهم من عين المحصول .

ثم أن ما حمله نصارى مصر من جلائل النذور والقرايين ومحاسن التحف (٥٣) ، وما قدمه أغنياء الدولة الرومانية - الذين نظروا للرهبان في إجلال - ، وغيرهم من المسيحيين الذين حضروا للزيارة أو طلباً للشفاء ، أصبح مورداً هاماً من موارد الرهبان ؛ فهذه عذراء مريضة من تسالونيكي تركت للقديس مكاريوس الاسكندري كيساً كبيراً ملأته بالقطع الذهبية (٥٤) . ثم أن أحد أغنياء القسطنطينية وضع مبلغاً عظيماً من المال عند قدمي القديس مكاريوس الكبير (٥٥) .

ومن الموارد الهامة التي أصبحت ذات أثر كبير في إنعاش اقتصاديات الرهبان ما قدمه إليهم بعض أباطرة الدولة البيزنطية

من كانوا على المذهب الاثناسيوسى ؛ فإن الإمبراطور أركاديوس أرسل مكتوباً إلى واليه في مدينة الاسكندرية ، أمره فيه أن يدفع للقديس أرسانيوس ، الذى كان معلماً للإمبراطور قبل ترهبه فى وادى النطرون ، ضريبة سنة ليصرفها كيف شاء فشكره القديس أرسانيوس وأردف بقوله : ما كتبتم به إلى من المال فليأمر جلالتم أن يقسم على ذوى الحاجة وأبناء الديارات ، ورب المجد يحازيكم عن ذلك ، (٥٦) . وتوالت بعد هذا أعطيات الاباطرة المسيحيين للرهبان المصريين حتى أننا نجد فى القرن الخامس الميلادى أمراً من الإمبراطور زينون سنة ٤٧١ - ٤٩١ م بأن ينقل إلى دير أبى مقار جميع ما يحتاجه الرهبان من قمح وزيت ونبيذ وغيره مما يلزم لإصلاح القلالى (٥٧) .

وثمة منبع اقتصادى آخر ، وهو ما أحضره الراغبون فى الرهبانية من مال باعوا به أملاكهم ، وقدموه إلى شيوخ الجماعة ليصبح تحت تصرف الجماعة ، تقليداً لما فعله المسيحيون الأوائل فى العهد الرسولى ، الذين باعوا أملاكهم وقدموا أثمانها للرسول ، ليصبح كل شىء فى حياتهم مشتركاً بينهم ؛ ولذلك فإن الراهب أبولونيوس الذى اشتغل بالتجارة فى المدينة أثناء شبابه ، وربح منها أموالاً طائلة ، عندما فضل الحياة الرهبانية باع كل تجارته واشترى بماله بعض حاجات أخذها معه إلى الخمسة آلاف راهب فى تتريا وعاش هناك راهباً مدة عشرين سنة (٥٨) .

وذكر الرحالون الذين زاروا وادى النطرون أن رهبان تتريا صنعوا الكعك وباعوه للزائرين ، ولم يكن الكعك سوى

قطع صغيرة من الخبز الذى يخبز بعد تعريضه للشمس (٥٩) .  
وهو ما نسميه فى بلادنا الآن « العيش الشمسى » . ومن كل  
هذه الموارد أنفق الرهبان على أنفسهم ، وقدموا لزائريهم الطعام  
عملاً بتعاليم الإنجيل الداعية إلى إضافة الغرباء ، كما أنهم لم ينسوا  
تعاليم الإنجيل الخاصة بإعطاء صدقات إلى الفقراء ؛ فلم يقدموا  
كميات كبيرة من غذائهم ومن الأقمشة التى نسجوها إلى فقراء  
المنطقة المحيطة بهم فحسب ؛ بل أنهم أرسلوا سنوياً سفناً إلى  
الاسكندرية مشحونة بالقمح ، لتوزع على المسيحيين المسجونين  
فى سجونها ، والغرباء ، والمحتاجين فى عاصمة البلاد (٦٠) . وإلى  
جانب هذه المعلومات التى أوقفنا عليها الرحالة روفينوس ، الذى زار  
تربيا حوالى سنة ٣٧٣ م فإنه يذكر أن حالة الجماعات الرهبانية  
الاقتصادية فى وادى النطرون تقدمت فى النصف الثانى من القرن  
الرابع تقدماً واسعاً لا سيما عن طريق إضافة المنح والهبات السابق  
ذكرها إلى الموارد الناتجة عن عمل الرهبان أنفسهم ، حتى أصبحت  
الجماعات الرهبانية تعطى للكنيسة بسخاء .

غير أنه مما يوجب الالتفات هنا أن موارد رهبان الأديرة  
عند الأنبا باخوميوس ومصرفاتهم (٦١) ، شابهت موارد  
ومصرفات الرهبان هنا فى وادى النطرون . بيد أن ثمة اختلافات  
فى نظام العمل اليدوى بين هؤلاء وأولئك ؛ وأول هذه الاختلافات  
أن العمل فى الدير الباخومى حددت له أوقات خاصة ، وصار  
لا يجوز للديرى أن يتعداها ، ولا أن يقوم بعمل أكثر مما  
هو مطلوب منه ، والحكمة فى هذا أن يصبح القانون الذى

وضعه الأنبا باخوميوس ممكن النفاذ بواسطة أى دبرى ، شيخ أو شاب ، حتى لا يتعرض المخالفون إلى العقاب . ومن هذا ما حدث عندما قام أحد الديرين بعمل عدد كبير من الحصر أكثر مما طلب منه ، رغبة في كسب رضى الأنبا باخوميوس ونتيجة هذا أهمل رعاية الديرين وتقديم الطعام لهم وهو الأمر الذى أنيط به . وعند رجوع الأنبا باخوميوس بعد غيبته عن الدير ، تقدم هذا الديرى ( الراهب ) مسروراً يعرض عليه عمله الكثير ؛ غير أن الأنبا باخوميوس كدره أن يرى مخالفة واضحة لأوامره ، وأصر على الرغم من هذا الانتاج الكبير أن تلقى كل الحصر فى النار ، حتى أتت عليها جميعاً على مرأى من كل رهبان الدير ، وأوضح لديره أنه كان ينبغى على هذا الديرى أن يطيع الأوامر . وألا ينصرف إلى العمل اليدوى ويهمل الصلاة ورعاية إخوانه (٦٣) . والملاحظ أنه لم تكن مثل هذه الرقابة مفروضة على رهبان وادى النطرون ، بل تركت لهم حرية أكثر . وعلى الرغم من أن العمل قانوناً حدد له فى وادى النطرون من « الساعة السادسة » أى منتصف النهار ، إلى « الساعة التاسعة » أى عصر اليوم ، فإن الرهبان دفعوا عن أنفسهم الملل فى كثير من أوقات صباحهم بالعمل اليدوى . وثمة اختلاف آخر هو أن العمل فى الدير الباخومى قام به رهبان الدير فى غالب الأحيان جماعة (٦٣) ، بعكس وادى النطرون حيث قام الرهبان بعملهم فرادى . ولم يفعل شيوخ الرهبان فى وادى النطرون مثل ما فعل الأنبا باخوميوس ، الذى فرض على كل

قلاية نشيطة أن تعاون القلاية الأخرى الضعيفة لتمكنها من إنتاج المقدار المطلوب منها ، وتقف على قدم المساواة مع غيرها ، وبينما أخذ رهبان وادى النطرون الأشياء اللازمة لعملهم الأسبوعي يوم الأحد من كل أسبوع إذ بالأنبا باخوميوس يشرف على توزيع العمل على ديريه يوما بيوم<sup>(٦٤)</sup> .

وقد حدث تطوير للعمل اليدوى على أيدي القديس باخوميوس والقديس شنوده ؛ فلم يقتصر العمل على ضفر الخوص ، وإنما تعداه إلى تحسين الخطوط ، التى أنشأ لها القديس شنوده مدرسة خاصة ملاحقة بالدير ، وذلك خدمة لمسألة نسخ الكتب المقدسة والكتب الدينية ، وكذلك رعى الماشية والرى والزرع والحصاد وأعمال المخازن ؛ مما يبين أن الأديرة أكدت ضرورة اعتمادها على نفسها فى كل مواردها ، كما وضع أيضاً أنها استغلت كثيراً من الأراضى الصحراوية ، واستفادت بها فى الزراعة .

وإذ زاد العبء على رئيس الجماعة الرهبانية فى وادى النطرون بازدياد عدد الرهبان ظهرت الحاجة ماسة إلى وجود مشرف اقتصادى ، ليتولى تنمية إيرادات الجماعة وتدير الصرف عليها . ومن تولى هذه الوظيفة فى نترى الراهب أوريجن فى عهد رئاسة بامو ، والراهب يوحنا فى جماعة مكاريوس الكبير فى عهد رئاسة بافتوتيس تلميذ مكاريوس الكبير ، والذى تولى رئاستها من بعده<sup>(٦٥)</sup> .

أما السياسة الإقتصادية العامة فى الجماعة الرهبانية فهى الإكتفاء الذاتى ، أى ألا تزيد المصروفات على الإيرادات ، مع الحرص التام



عل تخصيص جزء من هذه الايرادات للتصدق على الفقراء والمساكين .

وتولى المشرف الاقتصادى الاشراف على مخازن الجماعة حيث أودعت كميات الحبوب التى حملها الرهبان بعد عودتهم من الحصاد ، وكذلك كميات الزيت اللازمة للرهبان . وعاون المشرف فى أعماله عدد كبير من الرهبان . ويتضح هذا من أنه عهد إليه كذلك إدارة مطابخ وأفران الجماعة الرهبانية . وقامت الأفران السبعة فى نتريا بعمل الخبز اللازم لهذا العدد الضخم من رهبانها (٦٦) ، كما قدمت الخبز للنفردىن الأوائل فى سليا . واستمر هذا الامر مدة طويلة ويبدو أنه توقف بعد رئاسة الأنبا مكاريوس الاسكندرى للجماعة الأخيرة بفترة وجيزة (٦٧) .

### تقاليد الضيافة والزيارة عند الرهبان :

ومن الأعمال الهامة التى عهد بها رئيس الجماعة الرهبانية إلى هذا المشرف الاقتصادى ، إستقبال الغرباء والراغبين فى الشفاء ولإيوائهم بيت الضيافة الواقع إلى جوار الكنيسة (٦٨) ، وإرشادهم إلى التعليمات الواجب اتباعها فى سلوكهم إزاء الرهبان . وامتاز بيت الضيافة عن سائر القلالى بتجهيزه بوسائل الراحة الضرورية للمرضى خاصة وللزائرين عامة ، وتوفر عدد من الرهبان خصصهم شيخ الجماعة الرهبانية للقيام على الخدمة الطبية لزملائهم وزائريهم (٦٩) . ومن الرهبان الذين قاموا بهذه المهمة فى نتريا ، الراهب أبولونيوس ، الذى اتخذ من مهنة الطب خدمة . فرضها على نفسه نحو

الآخرين<sup>(٧٠)</sup> ، وإذا سمح للزائر أن يقيم في بيت الضيافة مدة لا تتعدى سنوات ثلاث ، فإن الرهبان عامة رحبوا بضيوفهم أيما ترحيب ، إلا أن العرف والتقاليد بين الرهبان قضت بأن يترك الزائر المقيم في بيت الضيافة في الأسبوع الأول دون عمل ، وبعد هذا يهدف إليه بالعمل في الحديقة ، أو في الفرن ، أو في المطبخ . أما إذا أدرك الرهبان علو كعب الزائر ، فإنهم يعطونه كتاباً يقرأه . والظاهر أن فرصة الأسبوع الأول أعطيت ليستريح الزائر من مشاق السفر ؛ غير أن شرطاً هاماً فرض على مثل هذا الزائر حتى في هذا الأسبوع ، وهو ألا يتحدث مع واحد من الرهبان من الصباح إلى وقت الظهيرة ، وذلك حتى لا يشغل الرهبان عن التفرغ لصلاتهم وعبادتهم<sup>(٧١)</sup> ، ويبدو أن مضيفة سليا لم تضع لزائريها كل تلك الشروط نظراً لأن أكثر الغرباء لم يفضلوا الإقامة بها مدة طويلة .

أما في قلالي الرهبان أنفسهم فإن أكثر الرهبان اهتموا بزائريهم ، وخاصة أولئك الذين جاءوا إليهم رغبة في الاستماع إلى تعاليمهم .

واتسعت بعض قلالي الرهبان في نتريا وشيهيت ، حتى أصبحت كافية لاستقبال عدد من الزائرين ، وأصبح تقليداً أنه إذا دخل الزائر قلالية الراهب قام لآخر بغسل رجل الزائر ، وقدم له الطعام في الساعة التاسعة من النهار ، أما إذا جاء الزائر من مسافة بعيدة فإن الراهب يضع له المائدة حالاً<sup>(٧٢)</sup> . وتحدث روفينوس عن استقبال رهبان نتريا له ولمن معه في قوله

« عندما كنا نقرب من المكان ، وعندما علم الرهبان أن أخوة غرباء يقتربون ، خرجوا حالا مثل النحل كل من قلايته ، وجروا لاستقبالنا مرحبين شغوفين ، وحمل أكثرهم جراراً مملوءة بالماء ، كما حملوا الخبز ، وبعد أن استقبلونا أخذونا إلى الكنيسة بالتراتيل ، وغسلوا أرجلنا وجففوها بالكتمان ، لكي يخففوا عنا متاعب الطريق ، أما عن تقوam وتواضعهم ومحبتهم ، فإذا أقول ؟ إذ عندما أخذنا كل منهم إلى قلايته لم يقيم بواجب الضيافة فحسب ، بل قام به في تواضع جم ، فهم أكثر الناس تواضعاً وأرفعهم خلقاً (٧٣) .

ومن عادات الرهبان ؛ احتفاظهم بجزء من طعامهم لأى زائر يطرق بابهم ، فالقديس موسى الأسود أوصى رهبانه بضرورة الاحتفاظ بنصف تعيين الخبز المعطى لهم إلى ما بعد الساعة التاسعة (العصر) ، خشية حضور أحد الزائرين ، كما أوصى بأن يجهز الراهب للزائر حساء من الفول ، ويقدم بعض الخضر ، وخاصة أوراق الكرنب (٧٤) .

وهكذا قدم للضيوف طعام بسيط ، مكون فى أغلب الأحيان من خبز جاف ولكنه بقدر محدود ، وحساء ، وبعض الخضر ولم تقدم الفاكهة إلا نادراً ، إذ أن أكثر الرهبان لم يحتفظوا بالفاكهة لأنهم لم يذوقوها إلا مرات قليلة فى السنة ، أما فى نترىا على وجه الخصوص ، فإن الرهبان قدموا النيذ بقدر معين تحية للزائرين (٧٥) .

غير أن بعض الرهبان وخاصة من الساكنين فى سليا رفضوا

مقابلة الناس لاعتقادهم ، أن الراهب الذى يزوره البشر القانون لا تزوره الملائكة (٧٦) . ولذلك عملوا فى قلايتهم سراديب طويلة ، حتى إذا ضايقتهم الفضوليون ، استطاع الواحد منهم أن يسير فى السرداب مسافة طويلة ليخرج من نهايته ، فلا يراه الزائر . ومن هؤلاء القديس مكاريوس الاسكندري ، الذى قضى مدة الصوم فى قلاية من هذا النوع (٧٧) ، أما زيارات الرهبان لآخوانهم ، فلم تكن شيئاً مستحباً لدى الكثيرين منهم ؛ فالقديسان مكسيموس ودوماديوس قبا فى قلايتهما ، ولم يحاولا الاتصال بالرهبان أو مقابلة واحد منهم ، كما أنهما لم يزورا القديس مكاريوس نفسه كثيراً ، ولهذا بقيا مجهولين لدى كثير من الرهبان . غير أن مرض بعض الرهبان استدعى عيادة المريض وتقديم اللازم له ، وخصص شيخ الجماعة الرهبانية من الرهبان النشيطين من يرعى المرضى ، ويقوم بخدمة المتوحدين ، وأصبح هذا أمراً هاماً لازماً ، للاطمئنان على حياة المرضى ، الذين استثنوا من النظام الرهبانى ، وأعطى لهم كل ما طلبوه من مأكـل ومشرب ، ومن هذا ما حدث عندما زار القديس مكاريوس الكبير أحد الرهبان المرضى ، وطلب منه الأخير أن يرسل له بعض الكعك والعسل فسافر القديس مكاريوس ، غير عابئ بما فى الطريق من تعب ومشقة ، وأحضر للراهب ما طلبه (٧٨) .

وتعود رهبان سليا أنه إذا تخلف راهب عن تعودوا الحضور إلى الكنيسة لصلاة الأحد ، وأدركوا أنه لا بد مريض ، فيتوجهون إليه على دفعات ويأخذ كل منهم معه ما يظن أنه يدخل عليه

السرور أو ما يظهر نافعاً للمريض<sup>(٧٩)</sup> . وهكذا حمل الرهبان  
لزملائهم المرضى هدايا من الفاكهة وأخصها التمر والعنب ، كما  
حملوا اليهم الزيت<sup>(٨٠)</sup> .

وانحصرت أغلب زيارات الرهبان إلى شيوخهم من أجل طلب  
الارشاد والنصح والمناقشة في الامور الروحية ، ودراسة الانجيل<sup>(٨١)</sup> .  
كما حرص الشيوخ أنفسهم على زيارة القديس أنطونيوس  
للتزود من تعاليمه ، حتى إذا ما عادوا إلى وادى النطرون ،  
تحدثوا عن أعماله وأقواله<sup>(٨٢)</sup> . ولم ينس بعض الشيوخ افتقاد  
الرهبان الجدد للاطمئنان على حياتهم الروحية ومدى تنفيذهم  
الصلوات المفروضة في مواعيدها ، وهكذا تبادل الرهبان الزيارة ؛  
غير أن التقاليد الرهبانية قضت ألا يقوم الراهب بهذه الزيارة  
قبل الساعة التاسعة من النهار ( العصر ) ، وتستمر الزيارة لمدة  
أقصاها نصف الليل ؛ وأنداك يجتمع الرهبان لصلاة نصف  
الليل . وإذا أتى الراهب إلى صومعة راهب آخر يخلع عنه  
رداءه الخارجى ، وإذا كان حضوره لسبب طارئ قبل الساعة  
التاسعة اشترك مع زميله في الصلاة ، وبعد انتهائها يجلس كل  
منهما على الأرض فوق حصير<sup>(٨٣)</sup> ، ويقدم له الطعام عند الساعة  
التاسعة ، وعلى الراهب أن يراعى حدود اللياقة في تناول الطعام  
فلا يمس الطعام قبل أن يرجو زميله الضيف في البدء في  
تناوله<sup>(٨٤)</sup> ، ثم يقضى الراهب فترة مع زميله يتحدثان فيها عن  
حياتهما وتدابيريهما ، حتى إذا ما انتهت الزيارة ، ودع الراهب  
زميله بعد أن يطلب منه الصلاة من أجله ، ثم يعود إلى صومعته<sup>(٨٥)</sup> .

ويتضح مما ذكر عن زيارة القديس مكاريوس الكبير لتلميذه مكسيموس ودوماديوس أن زيارة شيخ الرهبان لتلاميذه لم يكن بها شذوذ عن العرف المتبع في زيارة الرهبان لزملائهم، إذ أن مكسيموس ودوماديوس بعد انتهاء صلاة الساعة التاسعة قدما له الطعام ، ثم شربا الماء بعده من الجرة ، ونام مكاريوس عندهم جزءا من الليل فوق حصير على الأرض ، حتى إذا ما حلت صلاة نصف الليل قاموا جميعاً لادائها ، ثم غادرهما القديس مكاريوس راجعاً إلى صومعته بعد أن طلب منها الصلاة من أجله (١٦١) .

من كل هذا يتضح أن الرهبة لم تكن حركة غير منظمة ، أو استجابة لبعض الميول البشرية في العزلة ، وإنما كانت حركة منظمة ، وضع كل قانون فيها بلياقة وحسب ترتيب معين يتفق والاتجاه الكنسى وتعاليم الكتاب المقدس في شيء من التدقيق حتى يكون سلوك الرهبان مثلاً أعلى للسلوك المسيحى الذى دعى المسيحيين ليسلكوا به بالتدقيق لا كجهلاء بل كحكام مفتدين الوقت لأن الأيام شريرة ، فنظمت ساعات النهار والليل في احكام تام ودقة بالغة ، وجرت تعاليم الرهبان النسكية بعضهم لبعض في تدرج في سلم الفضائل الروحية ، مع المحافظة على التقاليد الكنسية بشكل واضح ، ومن أجل هذا كله أصبحت هذه الجماعات الرهبانية مكان الأمان لكل طالب للأمان والسلم في نواحي البلاد التى قاست من الرومان ، بل أضحت أيضاً مكان الأمان والسلام الروحى من خارج البلاد ، فلا عجب أن هرع إليها أفواج من أوروبا وآسيا من مختلف بلدانها ومن مستويات الناس الرفيعة والمتواضعة على السواء .



وتلاحظ قباب المكنيسة القديمة  
وبر البراموس من الداخل



## مراجع وشواهد الفصل الثالث

- Worrell : A Short Account Of The Copts, P. 12. ( ١ )  
أنظر كذلك القوصي ، عبدالعزيز : أسس الصحة النفسية ص ٦٤ .
- White : The Monastries Of Nitria V II. P. 171 ( ٢ )
- Mackean : Christian Monasticism P. 83. ( ٣ )
- O'Leary De Lacy : The Saints Of Egypt P. 72. ( ٤ )
- Besse : Les Moines D'Orient. P. 412. ( ٥ )
- Migne : Patrologia Latina XXII C 352-353. ( ٦ )
- Besse : OP. Cit. P. 413. ( ٧ )
- Fowler : Christian Egypt ,p.p. 32. & 52. ( ٨ )
- Workman . The Evolution Of Monastic Ideal. ( ٩ )  
P.P. 19-20.
- White : OP. Cit. V II P.P. 171-172. ( ١٠ )
- ( ١١ ) من اسباب العقاب أن راهباً عوقب لأنه استخدم ثلاثة  
مكايل من الزيت في اعداد الحساء ( الشوربة ) بدلا من  
مكيال واحد أنظر
- Palladius : The Paradise V I. P. 99.
- ( ١٢ ) راجع بستان الرهبان ج ٢ ورقة ١٢٧ .
- 'White : OP. Cit V II P. 175. ( ١٣ )
- Butler : Lausiack History Of Pa'ladius V I P. 234 ( ١٤ )
- White : OP. Cit V II P. 177. ( ١٥ )

(١٦) نخبة من آباء الكنيسة : الصادق الامين في تاريخ القديسين

ج ١ ص ١٠٠ .

(١٧) راجع ما ذكر عن يوحنا القصير بالفصل السابق .

(١٨) White : OP. Cit. VII P.P. 180-181.

(١٩) بلاديوس بستان الرهبان ج ٢ ص ١٢٣ - ١٢٤ .

Annan Isha : Wit & Wisdom Of Christian fathers. P. 141.

(٢٠) بلاديوس المرجع السابق ج ٢ ص ١٣٧ .

(٢١) Palladius : The Paradise VI P. 130.

(٢٢) Ladeuze : Cenobitisme Pakhomien P.P. 288-288.

(٢٣) نخبة من آباء الكنيسة : الصادق الامين في تاريخ

القديسين ج ١ ص ٩٤ .

(٢٤) Cassien : Institutiones TV P.P. 299-303.

(٢٥) Mackean : Christian Monasticism P. 79.

(٢٦) الرسالة الاولى الى كورنثوس : الاصحاح السابع : ع ٣٣، ٣٤ .

(٢٧) Cassien : Institutiones TIV P. 21 .

(٢٨) حبشي ، بانوب : شنوده مقال في صور من تاريخ القبط

رسالة ماري مينا الرابعة ص ١٢١ .

(٢٩) أنظر الفصل السابق عن مكسيموس ودوماديوس .

(٣٠) بلاديوس : بستان الرهبان ج ١ ص ٦ .

(٣١) Workman : Evolution Of Monastic Ideal P.P. 47-48

(٣٢) Palladius : The Paradise VII P.P. 51-55.

(٣٣) راجع ما سبق بالفصل الثاني عن يوحنا القصير

(٣٤) Ladeuze : OP. Cit. P.P. 279-281.

- ( ٣٥ ) A. M.G : T XXV - P. 330
- ( ٣٦ ) بلاديوس : بستان الرهبان ج ١ ص ١٠ .
- ( ٣٧ ) Annan Isho : OP. Cit. P 47.
- ( ٣٨ ) رسالة بولس الرسول الثانية إلى تسالونيكي : أصحاح ٣ : ٧-٨ .
- ( ٣٩ ) أعمال الرسل أصحاح ٢٠ : ٢٤ .
- ( ٤٠ ) نفس المرجع : أصحاح ١٨ : ١-٣ .
- ( ٤١ ) Annan Isho : OP. Cit. P.P 38-39.
- راجع كذلك ، القديس فيلوكسينوس المتبجى : أخبار الرهبان المصريين - مخطوط ورقة ٢٦ أ .
- ( ٤٢ ) Mackean : Christian Monasticism P. 38.
- ( ٤٣ ) Palladius : The Paradise VII P. 104.
- ( ٤٤ ) Besse : Les Moines D'Orient P. 372 .
- ( ٤٥ ) فيلوكسينوس المتبجى : أخبار الرهبان المصريين - مخطوط ورقة ١٨٨ .
- ( ٤٦ ) Besse : OP. Cit. PP.365-371.
- ( ٤٧ ) كتاب بستان الرهبان مخطوط ج ٢ ورقة ٦٧ .
- ( ٤٨ ) نفس المرجع والجزء ص ١٠٠ .
- ( ٤٩ ) نفس المرجع والجزء ص ١٠١ .
- ( ٥٠ ) Cheneau : Les Saints D'Egypte VI P. 119.
- ( ٥١ ) سراييون « الاسقف » ، ميمر مكاريوس الكبير ورقة ١٩ ب .
- Palladius : OP. Cit VII P. 43 .
- ( ٥٢ ) Waddell H : The Desert Fathers P 73.
- ( ٥٣ ) العمرى ، ابن فضل الله : مسالك الابصار في ممالك الامصار ص ٣٧٤ .

- Butler : Lausiaca History V I P. 150. ( ٥٤ )
- ( ٥٥ ) طوسون : وادى النطرون ورهبانه ص ١٦٥ .
- ( ٥٦ ) المسعودى ، القمص عبد المسيح : تحفة السائلين ص ٤٨ .
- Cauwnberg : Etude Sur Les Moines D'Egypte ( ٥٧ )  
P.P. 82-83 .
- Palladius : The Paradise V I P.P. 30-31 ( ٥٨ )
- Annan Isho : Wit & Wisdom P. 18. ( ٥٩ )
- Waddell H : The Desert Fathers : P. 74. ( ٦٠ )
- ( ٦١ ) يذكر فى سيرة باخوميوس أن الديرين كانوا يربون  
خنازير على ما يخرج من غربلة الحنطة ، وعلى فضلات  
الطعام ، وكانوا يبيعون لحومها ، وتنفق أثمانها فى مصالح  
الدير ، ولم يكن هذا الأمر معروفاً فى وادى النطرون -  
راجع سيرة باخوميوس ص ٢٣ .
- ( ٦٢ ) أصبح فى دير باخوميوس فى تابنيسى خمسة عشر حائكا ،  
وسبعة حدادين ، وأربعة نجارين ، وخمسة عشر صباغاً ،  
وعشرون دباغاً ، وخمسة عشر إسكافياً ، وعشرون  
بستانياً وعشرة نساخ - سيرة باخوميوس ص ٢٢-٢٣ .
- Ladeuze : Cenobitisme Pakhomien P. 294. ( ٦٣ )
- Ibid : P.P. 295-296. ( ٦٤ )
- White : The Monastries Of Nitria V II P. 174. ( ٦٥ )
- Camb. Med. Hist. V I P.P. 522-523. ( ٦٦ )
- White : OP. Cit. V II P.P. 177-178. & P. 187. ( ٦٧ )
- Cabrol : Dict. D'Arch. Chret. T II P. 3126. ( ٦٨ )

- ( ٦٩ ) فيلوكسينوس المنبجي : أخبار الرهبان المصريين ورقة ٦٨ ا.  
Camb. Med. Hist. V I P. 523. ( ٧٠ )
- Palladius : The Paradise V I P. 99. ( ٧١ )
- Mackean : Christian Monasticism P. 84. ( ٧٢ )
- Waddell, H : Desert Fathers P.P. 74-75. ( ٧٣ )
- White : OP. Cit. V II P.P. 206 — 207. ( ٧٤ )
- Makean : OP. Cit. P. 83. ( ٧٥ )
- Workman : Evolution Of Monastic Ideal. P. 35. ( ٧٦ )
- Cheneau : Les Saints D'Egypte V I P P. 16 — 19. ( ٧٧ )
- Ibid : P. 126. ( ٧٨ )
- Annan Isho : Wit & Wisdom P. 121
- Waddell : Desert Fathers P.P. 66-67. ( ٧٩ )
- Mackean : Christian Monasticism P. 90. ( ٨٠ )
- Butler : Lausiac History. V I P. 234. ( ٨١ )
- Annan Isho : Wit & Wisdom P.P. 6-7. ( ٨٢ )
- White : OP. Cit. V II P. 205. ( ٨٣ )
- Besse : Les Moines D'Orient. P. 317. ( ٨٤ )
- White : OP. Cit V II P. P. 206-207. ( ٨٥ )
- Ibid, P.P. 206-207. ( ٨٦ )



## الفصل الرابع

### الحياة العامة وأنماط السلوك عند رهبان وادى النطرون

أثر النظام الرهباني الانطوني في رهبانية  
وادى النطرون - الحياة العامة في الجماعات -  
القلاية ، بناؤها ومحتوياتها ، الحياة الرهبانية  
الانفرادية - أركان الحياة الرهبانية : الفقر  
الاختياري ، الانعزال ، من م الذين اختاروا  
حياة الرهبانية - الحياة اليومية للرهبان -  
الصمت - الصلاة - النوم - الصوم - الطعام -  
الغراب .

### أثر النظام الرهباني الانطوني في رهبانية وادى النطرون :

ظهر أثر النظام الانطوني واضحاً في الحياة الرهبانية التي  
تكونت بفضل إرشادات الأنبا أنطونيوس ، وبخاصة جماعات  
وادى النطرون <sup>(١)</sup> ؛ فإن الأنبا أنطونيوس على الرغم من بعد  
المسافة بينه وبين وادى النطرون ، أصبح المرشد الأول لهذه  
الجماعات في كل أحوال حياتهم . وفضلاً عن تلميذ مؤسس هذه  
الجماعات على يديه ، سعى أنطونيوس كذلك لاقتصاد هؤلاء  
الرهبان ، وأصبح المرجع الأول في كل صغيرة وكبيرة حتى في  
اختيار أماكن إقامة الرهبان ، ويتضح هذا من استشارة الأنبا  
آمون للقديس أنطونيوس ، حين زاره في نتريا عن مدى صلاحية  
سلياً لحياة رهبانية انفرادية <sup>(٢)</sup> .

وما يوجب الالتفات أنه لم تكن لدى القديس أنطونيوس

في بداية حياته الرهبانية فكرة إيجاد نظام رهباني ، يخرج به على الناس ويدعوهم له ، إلا أن الظروف التي مر بها باعتبارها زعيم روحى للجماعات التي التفت حوله هي التي أجبرته على أن يضع نظاما للرهبان ، حرص على أن يوجههم ، حسب ما ورد فيه ، للسير على نهجه . غير أن النظام الذي وضعه القديس أنطونيوس لم يكن نظاما مكتوباً وقتذاك على الرغم مما أشار إليه بعض المحدثين عن عثورهم على نظم أو قوانين القديس أنطونيوس المكتوبة في عهده<sup>(٣)</sup> . ويبدو أن هذه القوانين دونت في عصر متأخر ، إذ أن ما ذكر عن هذه القوانين يخالف الواحد منها الآخر في عدد مواده ، كما أنه لو كانت لأنطونيوس قوانين مكتوبة ، لأشار إليها القديس أثناسيوس في كتابه عن « سيرة أنطونيوس » ، ثم أن جيروم ، وبلاديوس ، وروفيوس ، ويوحنا كاسيان لم يشيروا إليها في كتاباتهم .

وكيفما كان الأمر فإن النظام الأنطوني أضحي تقليداً تناقله الرهبان عن القديس أنطونيوس نفسه ، وما لبث هذا التقليد أن صب في قالب محكم من التعاليم والنظم المتوارثة ، فأغنى الرهبان عن القانون المكتوب ، وبمضى الوقت أخذ بعض الرهبان في تسجيله حتى لا يصيبه التغير . ولعل السبب في هذا أن هذا التنظيم بسيط بعيد عن التعقيد وكله يتصل بالتعاليم المسيحية الأصيلة . ثم أن الرهبان خاصة ، والمسيحيين ، عامة حرصوا على الاحتفاظ بالتعاليم « بالتقاليد » المسيحية ، التي نص الرسل على ضرورة التمسك بها ؛ ومن هذا قول بولس الرسول « فاثبتوا إذن أيها

الأخوة ، وتمسكوا بالتعائم التي تعلتموها ، سواء كان بالكلام أم برسالتنا ، (٤) .

وأساس نظم القديس أنطونيوس عزلة الانسان التامة عن الحياة المدنية ، والحياة في وحدة تامة أيضاً ، تحت إرشاد شيخ من الرهبان في حياة الفقر الاختياري .

غير أن هذا الأساس لم يوافق أكثر الرهبان في وادي النطرون لسبيين : أولها كثرة عدد الرهبان ، وثانيهما ، ميل الإنسان بطبيعته إلى الحياة الإجتماعية ، فاضطر الراهب إلى نوع من الإختلاط بزملائه ، فتج عن هذا تقارب قلالي الرهبان وتكوين الجماعات الرهبانية ، مع ما في هذا التقارب من اختلاف عن النظام الأنطوني الاصيل في مظهره لا في جوهره .

ولذلك فإن وادي النطرون شهد في القرن الرابع الميلادي ثلاثة أنواع من الحياة النسكية ، وأولها حياة السواح الذين هاموا على وجوههم في بعض جهات الصحراء ، ينتقلون من بقعة إلى أخرى ، ويسيرون في كهوف يحفرونها في الصخر لأنفسهم . ولم يخضع أولئك الرهبان لنظام رهباني خاص ؛ بل عاش الواحد منهم حياة نسكية قاسية ، حسب ظروف البيئة التي وجدها ؛ فلم يرتبط الراهب السائح بالصلاة في كنيسة معينة أو أوقات معينة . ولذا اعتبر بعض المؤرخين القديس بولا أول السواح الذين عاشوا في الصحراء الشرقية ، فأول السواح المعروفين الذين عاشوا في وادي النطرون هو بطليموس المصري بالإضافة إلى اثنين لم تذكر المراجع اسميهما ، وإنما ذكرت أن القديس

مكارىوس الكبير وآهما فى إحدى جولاته فى صحراء شيهيت ،  
فوجدهما شبه عاريين <sup>(٥)</sup> . أى أنهما اكتفيا من الملابس بما  
ستر العورة .

وأما النوع الثانى فهو الجماعات الرهبانية ، التى التفت كل  
منها حول أحد شيوخ الرهبان ، ومن هذه جماعة نترىا التى  
ذكرها روفينوس الذى زار نترىا حوالى سنة ٣٧٣ م ، وذكر  
أن عدتها حوالى خمسين وحدة رهبانية ، جماعة رهبانية ، <sup>(٦)</sup>  
وقدر المجموع الكلى لها كلها بثلاثة آلاف راهب <sup>(٧)</sup> . وزاد  
بلادىوس على هذا العدد ، فأصبح على تقديره بعد زيارته لهذه  
البقعة سنة ٣٩٠ م خمسة آلاف راهب ، وأطلق روفينوس على  
مواضع هذه الوحدات كلمة أديرة ، مع أنها لم تكن كذلك ،  
إذ أن كل وحدة رهبانية تكونت من عدد من القلاى يلاحق  
بعضها البعض وأحيطت كل واحدة بسياج غير مرتفع من اللبن ،  
وسكن الوحدة الأولى من هذه الوحدات الراهب آمون وجماعته .  
وأخذت هذه الوحدات أو الجماعات فى النمو إذ كلها ازدحمت  
وحدة من هذه الوحدات بالرهبان تأسست إلى جوارها وحدة  
أخرى من القلاى ، وهكذا حتى أصبحت خمسين ، تختلف كل  
منها عن الأخرى فى عدد قلايا ورهبانها . غير أنه يبدو أن  
الوحدات الكبيرة فى هذه الجماعة بلغت سبعا وأشرف على تدبير  
رهبان كل وحدة منها قسيس <sup>(٨)</sup> . وخضع القسيس لرئاسة واحد  
منهم ، وهو فى الأغلب أكبرهم سناً أو أقدمهم فى الرهبانية <sup>(٩)</sup> .  
وتوسطت وحدات القلاى مساحة واسعة من الأرض ، زرع

الرهبان جزءاً منها ، وجعلوا منه حديقة ، تروى بماء من بئر ،  
وفي جانب من الحديقة بنيت كنيسة واسعة تكفى لهذا العدد  
الكبير من الرهبان . وليس هناك ما يشير إلى نفاختها (١٠) ،  
بل يبدو أنها كانت غاية في البساطة على نحو ما ألف الرهبان .  
ولم يكن هناك قانون واضح لاختيار أماكن إقامة هذه  
الصوامع أو القلالي ، بل أن ظروف البيئة ورغبات شيوخ  
الرهبان هي التي حددت المكان (١١) . أما بناء القلاية في هذه  
الجماعة فقام على مبدأ التعاون . وبني أغلب الرهبان قلايهم  
بمساعدة إخوانهم السابقين ، فإذا حضر راهب جديد ، دعى  
رئيس الجماعة رهبانه لمساعدته في بناء القلاية ؛ فالبعض يحمل  
الآجر ، والآخر المـلـاط وآخرون المياه ، وغيرهم يسعون  
لإحضار الأخشاب اللازمة ، وفي نهاية اليوم ينتهي الرهبان من  
بناء القلاية على هذا النحو البسيط . أما إذا حضرت أعداد  
كبيرة من الرهبان أصبحت الحاجة ماسة إلى بناء قلالي كبيرة  
تشتمل كل منها على عدد من الحجرات يجاور بعضها البعض  
الآخر ، لتكون مخصصة لسكن القادمين ، كل في حجرة خاصة ، ومن  
أجل هذا اتخذ بعض الرهبان بناء القلالي وظيفته لهم يؤدونها  
دون غيرها من الأعمال (١٢) .

ومهما يكن من أمر فإن هذه القلالي لم تختلف كثيراً عن  
منازل الفلاحين في مصر ؛ فلم تكن مرتفعة عن الأرض ، كما  
بنيت من طوب خشن وسقفت بأغصان النخيل ، التي احتفظ  
بها الرهبان أحياناً لهذا الغرض (١٣) . وأضاف الرهبان إلى قلايهم

عدة قلالي مستقلة لاستقبال الزائرين ، أقيمت إلى جوار الكنيسة وسميت بيت الضيافة<sup>(١٤)</sup> .

أما في الإسقيط فإنه تكونت أربع جماعات رهبانية ، كل قائمة بذاتها منفصلة بكنيستها — التي سميت باسم رئيس الجماعة<sup>(١٥)</sup> وإدارتها المستقلة بحكم المسافة بين الواحدة والأخرى ، وقدر عدد رهبان الإسقيط في أواخر القرن الرابع حوالى ألفين وأربعمائة راهب<sup>(١٦)</sup> . وبدأت هذه القلالي مغاوراً وكهوفاً حفرها الرهبان في الصخر . ويلاحظ أن الحياة الرهبانية في الإسقيط بدأت انفرادية ، ولذلك فإن شيوخ الرهبان علموا تلاميذهم حفر القلالي في الصخر وتسقيفها بأغصان النخيل وفروع الأشجار ، أما الكهوف ، فلم يصل وصف عن شكلها ؛ غير أنه يبدو أنها لم تختلف كثيراً عن كهف القديس بولا بالصحراء الشرقية ، والذي امتاز بنظافته الفائقة وانبساط أرضه وندومة التراب المنشور على أرضه ، كما أنه أغلق بحجر كبير<sup>(١٧)</sup> . ويبدو أن تحويل القلالي هنا في الإسقيط إلى النحو الذى رأيناه في تريا استحدثه الرهبان عندما تطورت الحياة الانفرادية في الإسقيط إلى حياة الجماعات ، وأصبح حفر المغارة أمراً صعباً . واحتوت كل جماعة كذلك على حديقة ومخزن لإيداع مؤونة الرهبان ومضيئة لإيواء الغرباء<sup>(١٨)</sup> . ولعل في المقارنة بين قلالي الجماعة الرهبانية في تريا أو الاسقيط ، وبين الدير الباخوى ما يبين أوجه الخلاف ، فالدير الباخوى بنيت قلاله في شكل متقارب وسكن كل قلاية ثلاثة رهبان<sup>(١٩)</sup> . وكانت كل أربعين قلاية تكون



منزلاً . واختلف عدد المنازل بحسب عدد الرهبان . وأحاط  
الدير كله حائط ضخيم مرتفع يعزل الديرين عن العالم . ويمكن  
القول بأن الدير أصبح مثل المدينة المسورة المعروفة في العصور  
القديمة وفي الدولة الرومانية<sup>(٢٠)</sup> . وبجانب باب الدير أقيم منزل  
للرهبان المنوط بهم شؤون باب الدير ، كما أقيم إلى جوار الباب  
بيت للضيافة أثث بالفراش اللازم . وفي الدير كذلك ، وعلى  
مقربة من بابه مكان آخر لاستقبال الحريم الوافدين على الدير  
للزيارة السريعة . أما الكنيسة مكان اجتماع الديرين والمطعم  
والمطبخ والمخازن والمكتبة وغيرها من المباني اللازمة لأعمال الديرين  
فكانت في الداخل ، وفي وسط الدير فناء متسع وحديقة<sup>(٢١)</sup> .  
ولما أصبح الدير الباخومي في مأمن من الغارات الخارجية  
بسبب هذه الأسوار الضخمة التي أحاطت الأديرة ، وبسبب  
موقع هذه الأديرة بعيداً عن طرق البرابرة ، فإن جماعات نزيها  
والإسقيط ظلت عرضة لغارات البرابرة وتخريبهم بسبب عدم  
وجود تلك الأسوار ، وعدم وجود حصون يلجأ إليها الرهبان  
للحماية<sup>(٢٢)</sup> .

وأول غارة لهؤلاء البرابرة على رهبان شيهيت يمكن تحديدها من  
دراسة سيرة القديس أرسانيوس<sup>(٢٣)</sup> ، الذي تنسك بها ، إذ  
ذكر أنه توفي عام ٤٤٥ م ، وقضى قبل وفاته عامين في دير  
تروجا - وهي طرا الحالية - وقضى قبلها ثلاثة في جزيرة  
كانوب وعشرة أخرى في دير تروجا نفسه ، وأنه قضى هذه  
الأعوام كلها بعد الغارة الثانية للبربر ، التي وقعت بعد غارتهم الأولى



حصن في أحد الاديرة  
وتلاحظ القنطرة التي كانت تشد فتغلق باب الحصن  
تماماً والباب مرتفع عن الأرض ولا يمكن للمهاجم الدخول

بعشرين عاماً ، فتكون أول غارة لهم حدثت قبل وفاة أرسانيوس  
بخمسة وثلاثين عاماً ، أى سنة ٤١٠ م ، أى فى أواخر عهد الأنبا  
ثاوفيلس البطريك الثالث والعشرين (٣٨٥ - ٤١٢ م) . والظاهر  
أن أكثر الرهبان رحلوا عن هذه الصحراء عند ظهور البربر  
بها ، ولم يبق على الأرجح سوى القديس أرسانيوس ، الذى أقام  
مع قليل من الرهبان اختفوا فى سراديب أو آبار . وإذ عاد  
بعض الرهبان ممن فروا ، بعد مدة وجيزة فإن الغارة الثانية  
للبرابره حدثت حوالى سنة ٤٣٠ م ، ويظهر أن أكثر الرهبان  
انزعجوا انزعاجاً شديداً فى هذه المرة التى قتل فيها البربر تسعة  
وأربعين شيخاً من الرهبان . وفر أرسانيوس نفسه ليقم فى دير  
طرا إلى نهاية حياته . وتوالت الغارات البربرية بعد هذا فى  
القرنين الخامس والسادس الميلاديين ، إذ حدثت الغارة الثالثة  
فى عهد البطريك ديسقورس الخامس والعشرين (٤٤٢ - ٤٥٨ م)  
وغارة أخرى فى عهد البطريك دميان الخامس والثلاثين فى عداد  
البطاركة ، وذلك حوالى سنة ٥٢٥ م . وما يذكر عن هذا  
البطريك أنه أعاد فى أول عهده بناء قللى الرهبان التى أطلق  
عليها منذئذ الأديرة الأربعة . غير أن البرابرة انقضوا عليها مرة  
أخرى ، وأحلوا بها هذا الخراب بدرجة اطالت تأثير هذا  
الحادث فى النفوس ، وأحزن هذا البطريك كثيراً (٢٤) . وفى  
هذا ما يشير إلى أن الحصون بشكلها ، الذى يشاهد الآن فى الأديرة  
الحالية ، لم تكن أنشئت حتى القرن السادس الميلادى . ولو كانت  
هناك حصون فى القرن الرابع لذكرها الرحالون الذين زاروا



قللى الرهبان فى داخل الحصن

هذه المنطقة وقتذاك . ولعل السبب في تفكير جماعات الرهبان ،  
فيا بعد ، في بناء الحصون ، هو ضعف الحكومة الرومانية ،  
وعدم مقدرتها على حماية الرهبان <sup>(٢٥)</sup> ؛ مما حدا بهم إلى العمل  
على تأمين أنفسهم من هذه القبائل البربرية التي عرفت باسم  
قبائل المازاكي والمريوطيين <sup>(٢٦)</sup> . ومن الطريف أن تذكر المراجع  
أن مجيء تلك القبائل ودخولها إلى قلالي الرهبان في بادئ  
الأمر لم يكن يقابل باكتراث كثير ، إذ تركهم الرهبان يحملون  
ما يريدون حمله من متاعهم الفقير وغذائهم القليل <sup>(٢٧)</sup> .

أما النوع الثالث من الحياة الرهبانية الذي شهده وادى  
النظرون فهو في سلبا ، التي عاش بها الرهبان المنفردون في قلاليهم  
المبعثرة المتباعدة . وفي تلك الحياة القاسية بلغ عدد الرهبان  
أواخر القرن الرابع حوالي ستائة راهب <sup>(٢٨)</sup> ، لم يحاول واحد  
منهم أن يعكر صنو وحدة الراهب المجاور ، اللهم إلا إذا أراد  
واحد أن يستشير الآخر في أمر من الأمور الروحية ، غير أن  
كثيرين من هؤلاء الرهبان تكبدوا عناء السير مسافة ثلاثة أو  
أربعة أميال لحضور الكنيسة الوحيدة ، التي بنيت في أوائل القرن  
الرابع في وسط القلالي <sup>(٢٩)</sup> . ومع بعد الكنيسة الوحيدة التي تبعد  
عن أكثر القلالي المحيطة بها فإن أكثر الرهبان أسرعوا يوم  
السبت إليها للاشتراك في صلاة القداس . ومع هذا وجد من  
الرهبان من بقى في قلايته مدداً طويلة ، شعوراً منه بعدم  
استحقاقه للاشتراك مع الرهبان الآخرين في مثل هذه الصلاة  
الجامعة .



بعض مناخات الأديرة والاملاك للديانة



ولم تكن الانفرادية التي رغب فيها هؤلاء الرهبان عن غير قصد ، بل أن هذا الانفراد أضفى من أجل هدف خاص ؛ وهو أن يعرف الفرد نفسه ، وأن يصل إلى درجة التأمل العميق في الأمور السماوية<sup>(٣٠)</sup> . غير أنه اشترط ألا ينفرد الراهب إلا بعد أن يشعر أنه تخلص من أخطائه في الحياة مع الجماعة وهو نفس النظام الذي اتخذه الأنبا شنودة وحاول تطبيقه . وفي سلبا حتمت التقاليد الرهبانية أن يقوم الراهب الشاب مع الجماعة مدة ثلاث سنوات على الأقل ، ليتدرب على الأعمال الظاهرة تحت إرشاد الآباء والشيخوخ<sup>(٣١)</sup> . أما الذين هم في سن الصبا ، واحتاجوا إلى تدريبات أوسع في المعرفة والنشاط الروحي ؛ فإنه حتم عليهم البقاء مع الجماعة مدة تتراوح بين ثمانى وعشر سنوات ، وحينئذ على حد قول شيخوخهم « يستحسن الهدوء في القلاية »<sup>(٣٢)</sup> واستعان هؤلاء المنفردون بشيوخهم لإرشادهم في هذه الحياة القاسية ؛ فهذا أحد المنفردين يسأل شيخه « ما معنى اجلس في قلايتك ، وهى تعلمك كل شيء ؟ ، فيجيب بقوله : « فى أول مقامك فى القلاية ، ( قلاية الانفراد ) إعمل ما كنت تعمل فى تدبير الجماعة زماناً معروفًا فى الصوم والصلاة والقراءة وغير ذلك وبعد هذا يدفع لك الترتيب الذى يوافق مثلك من زيادة ونقص<sup>(٣٣)</sup> . ثم أنه حرم على هؤلاء المنفردين مغادرة قلايتهم طوال أيام الأسبوع وذلك بعد أن انتشرت تعاليم القديس أنطونيوس ، التى شتهت موت الراهب الذى يغادر قلايته بموت السمك الخارج من الماء<sup>(٣٤)</sup> .



بيت الـمـنـاـسـكـة في دير السوريات

القلاية ، شكلها ومحتوياتها :

وامتازت قلالي سليبا بصغر حجمها ؛ فلم تعد القلاية أصلاً إلا ليسكنها راهب واحد ؛ فكانت بسيطة وغير مرتفعة . وقام الرهبان أنفسهم بحفر القلاية في الصخر أو بنائها من الطوب ، وأحيطت من الخارج بحائط صغير . وسد القلاية باب من الخشب أغلق بمفتاح من الداخل ، وصار معروفاً أن الزائر لا بد أن يطرق الباب عدة طرقات حتى يؤذن له بالدخول (٣٥) .

وأصبح من عادة رهبان سليبا أنه إذا وفد راهب جديد من الراغبين في الانفراد على شيخ جماعتهم ، فإنه يترك للراهب الجديد قلايته ، ويذهب الشيخ بعيداً ويبنى قلاية أخرى لنفسه . غير أنه عندما بدأت سليبا تزدهم بالرهبان ، وحضر عدد كبير منهم إليها ، فإن هذا الشيخ أصبح يجمع الرهبان ليتعاونوا جميعاً في بناء أو حفر عدد من القلالي في يوم واحد . وعندما يتم بناء القلالي يدعى من سيعيشون فيها إلى الكنيسة للاحتفال بهم ، ويحضر كل راهب من قلايته ما يستطيع إحضاره من لوازم الطعام ليقدمه للرهبان الجدد ، كما أن الرهبان يجهزون القلالي الجديدة بكل ما تحتاجه من أثاث بسيط ، بدون أن يعلم الرهبان الجدد عن أحضر لهم تلك الأشياء . وعند رجوعهم في مساء الأحد إلى قلايتهم ، يجدونها مهيأة مزودة بكل ما يحتاجونه (٣٦) .

وما هو جدير بالذكر أن بعض القلالي كان واسعاً فاشتمل على حجرتين (٣٧) ؛ على حين أن أكثرها عمل بدون نافذة ، كما

بنيت ضيقة بحيث تعذر على الراهب أن يمد رجله ، ومن هذا النوع قلالية القديس مكاريوس الاسكندري التي بناها لنفسه ليقضى بها بعض الأيام ، وخاصة صوم الأربعين المقدسة (٣٨) .

وفي أواخر القرن الرابع صار واضحاً أن مجموعة القلالي في سلها إزداد عددها بشكل ملحوظ ، فبنى الأنبا إسحق الذى دبر هذه المجموعة بعد مكاريوس الاسكندري - بيتاً ضخماً للضيوف ، وجهزه لاستقبال الغرباء وإقامة المرضى . ويمكن تحديد تاريخ بناء هذه المضيعة بين سنتي ٢٩٥ - ٤٠٠ م (٣٩) . غير أن بناء هذه المضيعة في وقت متأخر يبين بوضوح تأخر سلها في السير نحو حياة الرهبانية الجماعية . ولذا بنيت هذه المضيعة إلى جوار الكنيسة ، فإنه أضيف إلى جوارها مخزن لايداع مؤونة الرهبان .

واحتوت قلالية الراهب سواء عاش مع الجماعة أو منفرداً على حصر وغطاء من جلد الحيوان أو الصوف ، كما حفر صوان في الحائط ، احتفظ فيه الراهب ببيض الكتب الدينية ، وغيرها مما احتوى تعاليم الكنيسة ، وأخبار زعمائها من الآباء الأولين . وخزن الراهب الماء اللازم له طول الأسبوع في جرة من الفخار ، كما وجدت بالقلالية ، إبر ، وحبال ، وخيوط ، وسعف النخيل ، وغيرها من الأدوات اللازمة لعمل السلال . وفي بعض القلالي شوهدت أنوال يدوية للنسيج ، كما احتفظ الراهب بسلة للخبز وعلبة للملح وبعض زجاجات الزيت وبعض أواني الطعام من الفخار (٤٠) .

### أركان الحياة الرهبانية :

وإذا عاش الراهب حياة نسكية فإن الفقر الاختياري أصبح ركناً هاماً من أركان الحياة الرهبانية ؛ ذلك أن الرهبان طبقوا تعاليم السيد المسيح والرسل في حياتهم النسكية هذه ؛ فالسيد المسيح يعلم الناس ألا يهتموا بالحياة الدنيا في هذه الآية « أنظروا إلى طيور السماء فإنها لا تزرع ولا تحصد ولا تخزن في الآهراء وأنبؤكم السماوى يقوتها »<sup>(٤١)</sup> . وأظهر السيد المسيح موقف الأغنياء — الحاسبين أموالهم عن فعل الخير — من ملكوت السموات في قوله « دخول جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غنى إلى ملكوت السموات » وبولس الرسول كتب في رسالته إلى العبرانيين « لتكن سيرتكم خالية من محبة المال . كونوا مكتفين بما عندكم لأنه قال لا أهملك ولا أتركك »<sup>(٤٢)</sup> .

وسار القديس أنطونيوس على تعاليم السيد المسيح ، فباع ممتلكاته ووزعها على الفقراء ، وأبت نفسه إلا أن يحتفظ لأخته بشيء من ثروة أبيه ؛ غير أن دخوله الكنيسة مرة أخرى ، وسماعه الآية القائلة « لا تهتموا للغد ، جعله يتخلص من كل ما احتفظ به من مال . ثم أودع اخته في رعاية أحد بيوت العذارى آنذاك ، وخرج إلى الحياة الرهبانية خالى الوفاض ، مظهراً أن الفقر لم يصبح دليلاً للعبودية<sup>(٤٣)</sup> . ونهج على منواله رهبان وادى النطرون ، إذ احتوت أكثر تعاليمهم على الحث على كراهة المال . وهذا هو القديس مكاريوس الكبير يحث

تلاميذه على هذا في قوله : قولوا لي يا آباءى ، هل الملائكة فى السماء تجمع ذهباً وفضة وتسجد لله ؟ فنحن يا إخوتى عندما لبسنا هذا الزى ، أترى لنجمع مقتنيات وخطايا أم لنصير ملائكة ؟ فإذا كلنا يا إخوتى قد هجرنا العالم ورفضناه ، فلماذا نتراخى أيضاً ويردنا إبليس عن طريق المسكنة ؟ أما فهمتم أن الحمر ونظر النساء والذهب والفضة والنياح الجسدى وقربنا عن العلمانيين هذه كلها تبعدنا عن الله لأن أصل الشرور كلها محبة الفضة . . أما سمعتم قول يوحنا الرسول : لا تحبوا العالم ولا شيئاً مما فى العالم فمن أحب العالم فليست فيه محبة الله ، (٤٤) . إن الله لا يريدنا نحن الرهبان أن نقتنى ذهباً ، أو فضة ، أو ملابس أو أموراً هيولانية ، إن الراهب المقتنى ذهباً وفضة لا يثق بأن الله قادر على أن يعوله وإن كان لا يعوله فلن يعطيه ملكه ، إن الراهب الذى عنده حاجته وينتظر من يحضر له فهو شريك ليوداس ( يهوذا الاسخريوطى ) الذى ترك النعمة وسعى طالباً محبة الفضة (٤٥) . .

ولم يشمل الفقر الاختيارى ممتلكات الراهب فحسب ، وإنما ملابس أيضاً ، فلم يملك الراهب شيئاً حتى ملابس ، التى رأى الشيوخ أنها ينبغى أن تكون رثة قديمة إمعاناً فى مضايقة الجسد (٤٦) . ونصح الشيوخ شباب الرهبان فى هذا الصدد بقولهم : لا يكن لك فى قلايتك ثوب زائد عن حاجتك ، ولست فى إحتياج إليه لأن هذا هو موتك ، ولأن هناك قوماً آخرين غيرك يؤلمهم البرد وهم أبر منك وأحق ، وأنت الأثيم عندك ما يفضل عنك .



ثوباً جديداً لا تلبسوه ، لأن جميع هذه تمنع من النوح ، وبلا جمال ليكن جميع ما هو لك وما لا تتألم على فقدانه . ثيابك وحذاؤك لتكن هكذا ، حتى لو جاء قوم ليسرقوها لا يرغبون فيها ولا يعجبهم شيء منها (٤٧) ، وهكذا صار محرماً على الراهب العادى أن يتدثر بعباءة وسمح فقط لشيوخ الرهبان بعباءة قديمة بالية .

ثم أن الغرض من الدعوة إلى الفقر الاختيارى ، هو أن يتعلم الراهب كذلك حياة الاتضاع حيث أن القديس أنطونيوس نفسه غالى في مدح هذه الفضيلة في قوله : أنه المبعد والمخلص من فخاخ الشيطان (٤٨) ، بل أنه أكد أهمية الاتضاع كوسيلة للوصول إلى درجة القداسة في قوله : كما أن الكبرياء والعظمة أهبّتا إبليس من العلو إلى الثرى ، هكذا الاتضاع والهدوء يرفعان الإنسان من الأرض إلى السماء (٤٩) ، وأما الأنبا آمون فإنه سمى الاتضاع : عظمة الإنسان ، ، وعندما سئل القديس مكاريوس الكبير عن رأيه في الاتضاع قال : أنه ختم جنديه للمسيح (٥٠) ، فلا غرو أن تبارى الرهبان في وادى النظرون في نسكهم الزائد ، وزهدوا في امتلاك الأشياء وأمعنوا في حياة التقشف ، حتى أن بعضهم لم يستحم ، ومع هذا فإن واحداً من الرحالين لم يشر إلى أن واحداً من الرهبان كانت رائحة بدنه غير مقبولة (٥١) . ثم أن الرهبان تواضعوا في مسكنهم ومأكلكم وملابسهم ، ليصلوا إلى أعلى مراتب القداسة التى دعاهم إليها شيوخهم .

### ملابس الرهبان :

ثم أن الرهبان اتخذوا زياً خاصاً عن سائر الناس ، ولكنه ما لبث أن أصبح عاما بين الرهبان والديرين في مصر كلها . ولما كان الغرض من ملابس الراهب أن تكون كافية لتغطية جسده وستره من حرارة الشمس ووقايته برد الشتاء ، فإنها أصبحت بسيطة غير لامعة (٥٢) .

والملاحظ أن ملابس الرهبان تطورت تطوراً ظاهراً بعد أن تطورت الحركة النفسية إلى حركة رهبانية ثابتة الأركان ؛ فالقديس بولا باعتباره أحد النساك اكتفى من الدنيا برداء من ليف النخيل ، على حين أن الأنبا أنطونيوس باعتباره مؤسس الرهبنة هو أول من لبس أردية من جلد الغنم (٥٣) ، وجعل منها قميصاً له ، ثم لبس من فوقها مسحاً من الكتان (٥٤) . واتخذ من الوبر قلنسوة لغطاء رأسه . ولما أصبح هذا الزي عاماً ، فإن الأنبا أنطونيوس عندما حضرته الوفاة ، ولم يكن له من عتاد الدنيا سوى هذه الملابس ، فإنه أوصى بجلد الغنم ومسح الكتان إلى البطريك أثناسيوس ، وأوصى بغطاء الرأس إلى الأسقف سيرايون الذي تتلمذ على يديه ، وأوصى بعكازه إلى مكاريوس الكبير . وما يلقى الضوء على هذه الحقائق أيضاً أن الراهب هو الذي عاصر آمون في نتريا لبس ملابس من جلد الغنم محافظة على هذا التنظيم الرهباني (٥٥) .

غير أن الملابس الرهبانية التي لبسها الرهبان من تلاميذ الأنبا أنطونيوس وخلفائهم لاحقاً بشيء من التعديل ، ربما تحت ضغط الأحوال الاقتصادية . غير أنها لم تختلف كثيراً عن ملابس الأنبا

أنطونيوس ، إذ لبس الراهب قيصاً من الكتان بدون أكمام ، بحيث يصل إلى أسفل مرفقيه ، ثم غطى كتفه ورقبته بفروة مدبوغة من جلد الغنم أو الماعز ، وفوقها ما عرف باسم الرهبان وهو رداء قصير من الكتان تمر فوقه خيوط صوفية مجدولة ، تنزل من أعلى العنق ، وتتفرع على جانبي الرقبة وتحيط بأسفل الأبطين بحيث يعقد طرفاها وتترك الأيدي طليقة . ويتصل هذا الرداء الثاني بقلنسوه من الوبر تغطي الرأس ، رسمت عليها بعض الصليبان . ثم عمد الراهب إلى وسطه فشده بمنطقة من جلد (٥٧) . ومن المقطوع به أنه ليس هناك ما يشير إلى اتصال هذا الزي بزي الكهنة في مصر القديمة ؛ ففي عهد الدولة الحديثة نلاحظ أن كهنتها لم يلبسوا شيئاً على رؤوسهم ليحميهم من حرارة الشمس مثل ما فعل الرهبان ، ثم أنه ليس هناك كذلك علاقة بين جلد الغنم أو الماعز الذي وضعه الرهبان على أكتافهم وما عليه من صوف لم يسبق لكهنة مصر القديمة لبسه . ثم أنه ليس هناك علاقة بين هذا الجلد وبين جلد الفهد الذي وضعه بعض كبار كهنة هليوبوليس وغيرهم على أكتافهم في الاحتفالات الجنائزية (٥٨) ، إذ الواقع أن كل هذه الملابس لها أسانيدھا في الكتاب المقدس ، فلبس جلد الغنم أو الماعز إشارة إلى الآية القائلة عن المضطهدين في العهد القديم أنهم « طافوا في جلود غنم ومعزى ولم يكن العالم مستحقاً لهم » (٥٩) . ثم إذ ترك الرهبان أعمال العالم والاهتمام العالمى ، فانهم رمزوا لهذا بلبس القميص بدون أكمام (٦٠) . ورأى كاسيان أن القميص صنع من الكتان إشارة إلى موت

الرهبان عن العالم ، لأن الكتان كان هو القماش الذى تلف به أجسام الموتى ؛ أما لبس منطقة الجلد فإشارة إلى أن الرهبان اعتبروا أنفسهم جنود السيد المسيح فى الجهاد الروحى ولذلك فعلوا كإيليا ويوحنا المعمدان ، اللذين لبسا منطقة من جلد على حقوبهما (٦١) . ثم أن الرسل أشاروا إلى ضرورة لبس هذه المنطقة حيث يشير الكتاب المقدس إلى أن الرسول بطرس لبسها . وفى هذه المنطقة كذلك ما يشير إلى موت أعضاء الراهب الذى لبسها لأنها من جلد ميت (٦٢) . على أن أكثر الرهبان لم يلبسوا كل هذه الملابس داخل قلايتهم ، بل راعوا أن تكون ملابس القلاية مختصرة فاكثفوا بالقميص بدون أكمام ، كما ساروا حفاة الأقدام ، غير أن شدة الحرارة فى الصيف دعت إلى أن يحتذى الراهب صندلا ، إذا ما أزمع السير خارج القلاية ، أو السفر إلى مكان آخر (٦٣) .

وعلى أى الأحوال أصبح الغرض من ملابس الرهبان على حد قول أحد شيوخهم « ثوب بقدر الجسد لأن الغرض شىء واحد هو ستر الجسد من الحر ، والبرد ولا تطلب ازدهار الصبغ وحسنه ولا نعومه الثوب ولا ليوته ، لأن الميل إلى ذلك من صفات النساء . كما يجب أن يكون الثوب سميكاً حتى لا يحتاج الأمر إلى وشاح ليدفىء لابسها ، وليكن الحذاء بسيطاً يتم الحاجة الداعية إليه فقط (٦٤) » .

ومما يوجب الالتفات أن الرهبان حرم عليهم كذلك تغطية رؤوسهم أو لبس الصنادل أو السراويل التى تغطي القميص فتصل إلى الأرض وذلك حين حضورهم القداس فى الكنيسة أو التقدم

للتناول من الأسرار الربانية (٦٥) .

ومما يكن من أمر فإن هذه الملابس أثارت اهتمام يوحنا كاسيان ووجه إليها نقده في قوله « واضح لنا لا نستطيع أن نلبس مثلهم هذه التونية ( الرداء الخارجى ) أو تلك الصنادل لأن الجو عندنا لا يسمح بذلك ، أما القرو أو الصوف الذى يوضع على الرقبة فهذا ربما يثير الضحك عندنا ، ولذلك فإننا بطبيعة الحال اتخذنا زياً يلائم طبيعة مناخنا ، (٦٦) .

وتوكأ الراهب على عكاز اعتقد أنه رمز لسلاحه الروحى واعتبره تقليداً لا غنى عنه ، كما فعل أنبياء العهد القديم ؛ إذ ورد أن الإشع النبى أوصى تلميذه جيحزى أن يأخذ عكازه ويذهب سريعاً ليضعه على ابن المرأة الشونمية ، الذى مات لبيعته حياً . ولم يكن الإشع هو الوحيد الذى مسك فى يديه عصا ؛ بل أن موسى النبى توكأ على عصا كذلك واستخدمها فيما أمره الله به فى مسألة تحويلها إلى ثعبان ، وفى موضوع شق البحر الأحمر (٦٧) . وهكذا اعتقد الراهب فى عصاه كرمز للسلاح الروحى الذى يتغلب به على قوة الشيطان كما يرتكز عليها وقت وقوفه فى الصلاة فلا يتغلب عليه « شيطان النوم » .

وإذ أصبحت هذه هى الملابس العادية للراهب ، فإن بعض المنفردين والسواح قلدوا الأنبا بولا ، فلبسوا ملابس من سعف النخيل وأليافه وبعضهم هاموا فى الصحراء شبه عرايا (٦٨) . ومما هو ملحوظ كذلك أن الرهبان لم يعيروا ملابسهم الاهتمام الكافى ، فإلى جانب رخص ثمنها وبساطتها فإنها حيكت بغير

عناية (٦٩) . ثم أنه لم يكن للراهب سوى حلة واحدة ، فإذا غسلها بقي في قلايته حتى تجف (٧٠) ، كما أن هذه الملابس بقيت لديه فترة طويلة وربما توارثها البعض تبركاً ، ولذا أصلحت الملابس عدة مرات ، وأضيف إليها من الرقع ما جعلها تبدو على هذا النحو المهلهل فتعافى النفس العادية (٧١) ؛ ولبسها الرهبان على هذا النحو إمعاناً في النسك والاتضاع ، ومحاربة شهوات الجسد ، وكره العالم وكل ما فيه .

### من هم الذين اختاروا حياة الرهبانية ؟ :

ولم يرغب في الرهبانية أناس من طبقة بعينها في مصر ؛ غير أنه يلاحظ أن عدداً كبيراً من طبقة العامة هرع إلى الصحارى والقفار تحت ضغط الظروف السياسية والاقتصادية ؛ ومن هؤلاء من ارتكب جرائم فظيعة في شبابه ، وهم قلة نادرة على أى الأحوال (٧٢) . وليس من شك في أن مثل هذه الجرائم حدثت بسبب ضغط الظروف الاقتصادية السيئة التى مرت بها مصر تحت الحكم الرومانى ، وخاصة في القرنين الثالث والرابع الميلاديين . ومع هذا فإن من العجيب أن هذه الحياة الدينية التى اعتبرت مثلاً أعلى للمسيحية جذبت أول ما جذبت أحد أغنياء مصر ، وهو أنطونيوس ، لتجعل منه زعيماً للرهبانية ، مما حدا بعدد من الأغنياء الزاهدين في الحياة الدنيا الى تقليده . وهذا وادى النطرون يمتلئ على سعته بكثير من الأغنياء ، لا من مصر فحسب وإنما من وراء البحر . ومن هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر



ايفاجريوس الكبادوكي ، ومكسيموس ودوماديوس اللذين تربيا في القصر الإمبراطوري ، وأرسانيوس معلها . ومنهم من احتقر منصب الامبراطورية وغيرها من مناصب الدولة العليا ومنهم من زاول أكبر مناصب الدولة في بلاط الامبراطورية الرومانية ثم تركها ليحضر إلى وادي النظرون فيلبس المسوح ويعيش هذه الحياة التي أرادها لنفسه طائعا مختاراً ١١ (٧٣) .

### الحياة اليومية عند الرهبان :

وقضى الرهبان حياتهم في نظام محكم إذ أنه في خمسة أيام من الأسبوع تبدأ من الاثنين حتى يوم الجمعة ، أمضاها الرهبان في قلايهم قائمين بالتدريبات التي فرضها عليهم شيوخهم من الرهبان في ترتيب خاص ؛ فسبحوا بعقولهم في الأمور الإلهية ، وحرصوا على أداء فروض الصلاة الانفرادية أو الاجتماعية في أوقاتها ، دون التحدث مع الآخرين . واقتصروا في اتصالاتهم على بعض الشيوخ المشهود لهم بالتقوى ، وقاموا بعملهم اليدوي مرتلين المزامير ، حتى إذا ما انتهت أصبح الصمت من أوجب الأمور لحياتهم الروحية . ووضع القديس مكاريوس الكبير نظاماً يومياً لتلاميذه في قوله : « وإذا بلغت الساعة الثالثة ( حوالى التاسعة صباحاً ) قف قدام الصليب واجمع أفكارك من فهم القراءة التي قرأت واسجد بتخشع لربنا بوجع ودموع ، ليعطيك فهم مزموور داود . وإذا ابتدأت بالقراءة فلا تستعجل ، بل اخص المعرفة المخفية في المزامير . وإذا أكملت صلاة الساعة السادسة كالعادة والقانون

الموضوع عن الآباء ، اقرأ في كتاب الآباء إلى الساعة السادسة  
( منتصف الزبار ) ، وافهم ما تقرأه ، ثم ضع الكتاب وقدم  
التسبيح واسجد قدام الصليب وانظر بعقلك إلى يسوع المسيح .  
ومن الساعة السادسة إلى الساعة التاسعة ( الثالثة بعد الظهر ) ،  
إن كان لك عمل يد فاصنع ما تريد ولا تترك قانون المطانية  
( السجود ) ، من أجل عمل يديك لأن الآباء عملوا في القلاية  
بمخافة الله من غير شره (٧٤) . .

وفي فترة العمل اليدوى حرص الراهب على أن يقاوم الأفكار  
العالمية وألا يفقد نشاطه الروحى ، أو الجسدى ؛ فسيح كذلك  
بعقله في السماء وتأمل في أعمال الملائكة ، حتى أن يوحنا كاسيان  
علق على هذا النشاط الرهبانى الفائق الحدود بقوله « أرى عيني  
مفتوحتين أمام محيط ليس له نهاية . وأريد أن أكتب عن  
حياة وسياسة هؤلاء الرجال العظام ، فان الوحدة المهيمنة عليهم ،  
والحياة النشيطة في الجماعة ، والتأمل في الله ، قام به هؤلاء الناس  
الممتازون بدون انقطاع (٧٥) . .

الصمت :

وحرصاً على السلام الدائم بين هذه الجماعات ، أو بين الرهبان  
المنفردين قرر الرهبان ضرورة الصمت الدائم . ومن التناليم التى  
القيت على الرهبان في هذا الصدد ، أنه « يجب على الراهب أن  
يكون في سكون في كل حين ولا يسمح لأفكاره التى توغز اليه  
بكثرة الكلام ، الذى يضعف النفس ، بل ليمسك عن الكلام

حتى ولو نظر أناساً يضحكون أو يتحدثون بكلام لا منفعة له ،  
وذلك لجهلهم ؛ لأن الراهب الحقيقي يجب أن يتحفظ من لسانه ،  
كما هو مكتوب في المزمور ( اللهم اجعل لقمي حافظاً وعلى شفتي  
سترأ حصيناً ) . فالراهب الذي يسلك هكذا لا يعثر أبداً  
بلسانه (٧٦) .

واعتبر الراهب الصامت حائزاً على أعظم الفضائل التي إذا  
اضيف إليها الصيام الدائم ، برتبة واتضاع ومحبة ، (٧٧) ، ولم  
يجتمع بآخرين سوى من يأخذ مشورتهم ، أصبح قريباً من عداد  
القديسين . ومن أجل هذا قسى الرهبان على أنفسهم لحفظ صمتهم ؛  
فالراهب أغاثو وضع حجراً تحت لسانه ، حتى لا ينسى ويتحدث  
مع آخرين (٧٨) ؛ والقديس مكاريوس الكبير قال لتلاميذه  
عقب الصلاة بالكنيسة : اهربوا أيها الأخوة ! ، فتعجبوا من  
هذا القول مستفسرين عن معنى هذا الهروب . فأشار إلى فيه  
قائلاً : اهربوا من هذا III ، ثم ذهب سريعاً إلى قلايته وأغلق  
بابها (٧٩) .

#### الصلاة :

وإذ استقرت الرهبانية بعد انقضاء فترة الاضطهاد  
الأولى ، وبعد أن اعترفت الدولة بالديانة المسيحية ، فإن الكنيسة  
رفعت شهادتها إلى مرتبة القديسين ؛ ولذلك بدأ الرهبان يسعون إلى  
تحقيق المثل العليا التي سادت العصر السابق فكانت الوسيلة إلى  
هذا هي التضحية ، لا عن طريق الاستشهاد ولكن عن طريق  
إماتة الشهوات ، بالصلاة والصوم (٨٠) .

وهكذا وجه الرهبان عنايتهم الفائقة إلى الصلاة ، واعتبروها

كذلك وسيلة من وسائل « محاربة الشيطان ودفع المال » (٨١) وكذلك من أجل الوصول إلى هذه الغاية التي شرحها أحد شيوخ الرهبان ليوحنا كاسيان في قوله « إن كل فن وكل مهنة لها غايتها ونهايتها الخاصة بها ، التي تسعى إلى تحقيقها بجدارة ، وبدون توقف . وفي هذه الحياة نقاسى كل الجهود ، وتعرض للأخطار والخسائر بروح ثابتة فرحة . وإن مثل الراهب كالعامل الذي يفلح الأرض ويقلبها فإنه يزرع على رجاء ، مخلصاً لغايته ، فيسعى لتقوية الأرض من الحشائش الضارة بالنبات من أجل إنماء رزقه وتوسيع دخله ، ومثل ذلك أيضاً التاجر الذي لا يخشى مخاطر البحر ويسعى لزيادة ثروته » (٨٢) ، وأضاف إلى ذلك قوله « فنحن نقاسى كأي مهنة أخرى بدون مجافاة عملنا ؛ وأكثر من هذا فالأصوام لا يهملها فيها الجوع ، ونجد سروراً في تعب السهر والمداومة على الصلاة والتأمل في المكتوب بدون ملل ، والعمل لا ينقطع ، ولا يهملنا أن نحرم من كل شيء ؛ علماً بأننا سوف لا نكون بعيدين عن النهاية المطلوبة ، إذ أن نهاية العمل هي الحياة الهادئة ، والغاية من الرهبانية هي ملكوت السموات الذي لن يصل إليه المرء إلا بنقاء القلب » (٨٣) .

ومن أجل هذا خصص الرهبان أكثر ساعات النهار والليل للصلاة وامتزجت هذه الصلوات أحياناً بالبكاء ، أملاً في غفران خطاياهم (٨٤) . فالقديس مكاريوس الكبير عندما زار رهباناً قريبا ليصلي معهم لم ينس أن يذكرهم بالتعاليم المسيحية الخاصة بكيفية



رابع يحمل وينزاً على ضوء الشموع

الصلاة ، ثم أنه أجهش بالبكاء ، وقال لهم : أيها الاخوة لنبكي ولتذرف عيوننا الدموع قبل أن نذهب إلى المكان حيث تحرق دموعنا أجسادنا ، فبكوا جميعاً وسقطوا على وجوههم وطلبوا منه الصلاة من أجلهم<sup>(٨٥)</sup> .

وإذ وضع الرسل أساس عدد صلوات المسيحيين ، وهي ثلاث صلوات بالنهار وأربعة بالليل ، فإن لهذه الصلوات سند تاريخي قديم ، إذ المعروف أن داود النبي ذكر في المزامير التي رتلها لله سبع مرات في النهار سبحتك على أحكام عدلك ،<sup>(٨٦)</sup> ثم أن المسيح كثيراً ما أمضى أوقاته مصلياً منفرداً ، أو مع تلاميذه ، باكراً جداً ، وبعد العشاء ، وفي الليل على الجبل ، وفي البراري ، وفي بستان جثاني ، ولذلك فإن الرهبان حرصوا على أن يكملوا هذه الصلوات السبع .

أما الصلوات الليلية فشملت صلاة الغروب والنوم ونصف الليل وباكراً . وأدى الرهبان صلاة الغروب وقت المغرب ، كما أدوا صلاة النوم قبل أن يركنوا إلى فترة قليلة من النعاس في النصف الأول من الليل ، حتى إذا ما انتصف الليل ، استيقظ من نام من الرهبان ، لتأدية صلاة نصف الليل . وكانت صلاة نصف الليل ذات أهمية خاصة ، لاستنادها على قول داود النبي : في نصف الليل أقوم لاشكرك على أحكام برك ،<sup>(٨٨)</sup> وكان لهذه الآية أثر كبير في نفس كل راهب إذ اعتبر المتخلف منهم عنها نفسه مقصراً في شكر الله .

ثم أن هذه الصلوات الليلية جميعها قصد بها من وراء



هذا كله أن يسهر الراهب على حياته منفذاً بهذا أمر السيد المسيح حين قال : فاسهروا إذاً لانكم لا تعرفون اليوم ولا الساعة التي يأتي فيها ابن الانسان ، (٨٩) ، وعند الفجر قام الرهبان لاداء صلاة باكر ، التي ذكر يوحنا كاسيان أنهم أدوها في الصيف قبل صياح الديك الاول ؛ كما ذكر أن هذه الصلاة تأخر الرهبان فيها حتى صياح الديك الرابع بسبب برودة الجو في الشتاء (٩٠) . وحرّم على الراهب النوم بعد صلاة باكر ، بل رجع الراهب إلى قلايته ليرتل بعض المزامير ويكمل صلواته النهارية الانفرادية (٩١) .

أما هذه الصلوات النهارية ، فأولها صلاة الساعة الثالثة ؛ وقام بها الراهب بعد مرور ثلاث ساعات من النهار ، ووضع الراهب أمامه أن يتأمل في كيفية تألم المسيح قبل صدور حكم بيلاطس عليه بالموت في هذه الساعة ؛ فكان عليه أن يشعر بالألم ويكي على خطيئته . ثم أدى الراهب صلاة الساعة السادسة في منتصف النهار باعتبار أن هذه الساعة شرب فيها السيد المسيح كأس الخل ؛ وتألم لمرارته (٩٢) . وختم الراهب صلواته النهارية في الساعة التاسعة أي الثالثة بعد الظهر ، والملاحظ أن الكنيسة نفسها رتبت هذه الصلوات لكل المسيحيين منذ العصر الرسولي تذكاراً لما حدث فيها للسيد المسيح من مراحل الآلام . وهذه الصلاة الاخيرة رتبت بسبب ما حدث عندما صرخ المسيح بصوت عظيم قائلاً : يا أبتاه في يديك أستودع روحي ، ولما قال هذا أسلم الروح وانشق حجاب الهيكل إلى اثنين من فوق إلى أسفل

والأرض تزلزلت والصخور تشققت والقبور تفتحت ، (٩٣) .  
ولإذ رتب الرسل صلوات الليل والنهار على هذا النحو ،  
فإنه مما يوجب الالتفات حقاً أن هذه الصلوات شملت مزامير  
داود النبي ، ولكن عدد المزامير الواجب ترديدها في كل صلاة  
اختلف في بادئ الأمر بين مكان وآخر . ثم أصبح ترديد  
لأثنى عشر مزموراً في كل صلاة ، في كل الجماعات الرهبانية ، أمراً  
مقررأ (٩٤) . غير أن هذا العدد ارتفع حتى بلغ حوالى ستين  
مزموراً في كل صلاة عند النساك المنفردين وخاصة المقيمين  
في سليا (٩٥) .

وتبدأ الصلاة حينما يتقدم رئيس الجماعة الرهبانية في الصلوات  
الاجتماعية ، وهى الصلوات الليلية ، فيوزع هذه المزامير على  
الرهبان ليقرأ كل راهب جزءاً منها ترتيلاً - بعكس ما يحدث  
الآن - أما باقى الرهبان فصامتون حريصون ألا يبصقوا أو  
ينعسوا وإنما ينصتون متأملين فى ترتيل زميلهم . وهكذا لا  
يسمع سوى صوت الراهب المرتل للزمور ، وهو واقف ويدها  
مبسوطتان (٩٦) ، حتى إذا ما انتهى من هذا الجزء ردد عبارة  
« المجد للآب والابن والروح القدس » ، ثم يسجد معه باقى  
أفراد الجماعة سجوداً ، لا يجوز للرهبان القيام به ليلة الأحد لأنها  
ليلة فرح وبمنابة عيد ، بسبب قيامة المسيح من الأموات (٩٧) .  
ويلاحظ أن الصلوات الليلية أداها رهبان قثراً وشهيدت كل فى  
كنيسة جماعته ؛ أما رهبان سليا فإنهم لم يؤدوها فى كنيستهم لبدوها  
نسياً عن قلالهم . وقد بالغ بلاديوس فى وصف صلوات

الرهبان التي أدوها في صوامعهم ؛ فذكر أنه في أثناء تجواله بين هذه الصوامع أحس وهو يسمع ترتيلهم كأنه في الفردوس (١٩٨) . ولما كانت صلوات المزامير تصلى في المساء على أضواء خافتة من فتائل الزيت ، فإن أكثر الرهبان حفظوا المزامير عن ظهر قلب ، بل حفظوا كذلك من أسفار الإنجيل بعضاً ، وذلك لأنهم تعودوا أن يختتموا صلواتهم بقراءة أصحابين ، واحد من العهد الجديد ، والآخر من العهد القديم . أما ليلة الأحد ويومه فلم يقرأ الرهبان إلا من العهد الجديد ، إشارة إلى أن المسيح حرر المسيحيين من عبودية التاموس القديم . وأصبح مفروضاً كذلك على الرهبان فهم معنى المزامير التي يحفظونها ، ويرتلونها (٩٩) . أما ترتيل المزامير فقصد به أيضاً ألا يداعب النوم أجفان الرهبان (١٠٠) . ولما أن أصبحت الصلاة الاجتماعية مرتبطة بحضور الرهبان جميعاً في كنيسة الجماعة الرهبانية فإنه عهد إلى أحد الرهبان بإيقاظ إخوانه ، ونبه عليه بعدم التأخير عن الساعة المحددة (١٠١) . ولذلك فإن في الجماعات الرهبانية ، إذا تأخر راهب عن الصلاة الاجتماعية — وخاصة صلاة الأحد — التي احتلت مركزاً هاماً في حياة الرهبان (١٠٢) ، عرض الراهب نفسه لتأنيب الرئيس أو المدير ، ولا يسمح له الرهبان بأن يصلى معهم مرة أخرى قبل أن يندم على تأخيره ويقدم عذره ، الذي ينبغي أن يكون مقبولا ، ولم يكن هذا العذر المقبول سوى مرض شديد (١٠٣) ، ولذا فإن بعض رؤساء الجماعات الرهبانية اضطروا إلى توقيع

عقوبات شديدة على شباب الرهبان إذا تكرر تأخيرهم عن الصلاة ، وذلك بفرض تدريبات خاصة من شأنها إعطاء فرص للرهبان المقصرين لإذلال أجسادهم . فإذا تمالى هؤلاء في التأخير ضربوا بالسياط<sup>(١٠٤)</sup> . أما ليلة الأحد فإن الرهبان المنفردين أو الساكنين جماعات أسرعوا إلى كنائسهم استعداداً لصلاة القداس . وأمضى بعض الرهبان هذه الليلة واقفين يصلون من غروب شمس السبت حتى شروق شمس الأحد ؛ ومن هؤلاء القديس أرسانيوس<sup>(١٠٥)</sup> ، وحرصاً على أن يكون فكر الراهب بعيداً عن الأمور العالمية ، نصح الشيوخ رهبانهم بأن يحرصوا فكرهم في الصلاة ، ومن قول القديس مكاريوس الكبير في هذا الصدد : « إذا أقدمت على الصلاة فأحرص أن تكون ثابتاً لئلا تسلم إناءك بيد أعدائك ، لأنهم يشتهون اختطاف آيتك ، التي هي أشواق نفسك ، وهي الأشواق الصالحة ، التي يجب أن تخدم بها الله نهائراً وليلاً ، لأن الله لا يطلب أن تمجده بشفتيك فقط بينما تطيش أفكارك بأباطيل العالم ، »<sup>(١٠٦)</sup> .

وبلاحظ أن الديرين ( رهبان الأديرة ) اختلفوا عن الرهبان في صلوات الجماعة ؛ إذ صاروا يجتمعون بالكنيسة في الصلوات النهارية ، التي أداها رهبان وادي النطرون منفردين . والشئ الثاني ، هو أن صلاة القداس وخاصة يوم الأحد أداها في دير الأنبا باخوميوس كاهن من المتزوجين من إحدى القرى المجاورة<sup>(١٠٧)</sup> ، حيث أن الأنبا باخوميوس حرص على أن يبعد الديرين عن الوظائف الكهنوتية ، على حين أن هذه الصلاة في وادي النطرون

أداها قسيسون من الرهبان أنفسهم ، ولعل هذا بسبب قرب الأديرة الباخومية من الأماكن العامرة بالسكان ، مما جعل أمر حضور كاهن متزوج إلى الدير سهلا .

### النوم :

وسمح للرهبان أن يناموا بعد الانتهاء من صلاة نصف الليل ، لساعات قليلة حتى بداية صلاة الفجر ، بمعنى أنهم ناموا فترة قصيرة قبل الفجر (١٠٨) ؛ غير أن هذه الفترة لم ينمها كل الرهبان في صحراء شيهيت ، إذ لم يذهب واحد منهم إلى مخدعه قبل أن يكون له دوره في الحراسة ، أو القيام ببعض التسريحات الخاصة ، التي تتلى عقب صلاة نصف الليل ؛ وجرت العادة على أن يوزع هذا العمل على رهبان كل جماعة (١٠٩) . والمتبع لأخبار رهبان وادي النظرون في نسكهم وإضعاف جسدهم وإماتة شهواتهم يلبس كيف تهادوا في هذا الشأن بالنوم على الأرض على حصر من البردى ، أو سعف النخيل . وتوسد الراهب حزمة من البردى أو قطعة من الصخر (١١٠) . وينماحتم على رهبان أديرة باخوميوس أن يناموا على مقاعد منخفضة قصيرة بحيث لا تسمح لهم أن يمدوا أجسامهم (١١١) ، فإن هذه القاعدة لم تكن مرعية بين الرهبان السائرين على النظام الأنطوني ؛ إذ تركت للراهب حرية النوم بالوضع الذي أرادته ؛ فأمضى بعضهم ليالهم واقفين مقلدين القديس أنطونيوس الذي أمضى الليالي العديدة ، دون أن يرقد أو يغمض له جفن ، وكان الراهب أرسانيوس يقول : أن ساعة

من النوم كافية للراهب لتجعله نشيطاً واعياً ، (١١٢) .  
ونقلت إلينا المصادر المعاصرة كيف أمن الكثيرون في إرهاق  
أجسامهم وإبعاد النوم عن عيونهم ؛ فالقديس بيشوى ربط  
شعره في الصخرة ورائه حتى لا يداعب النعاس جفنيه (١١٣) .  
وبهذا أصبح شيوخ الرهبان مثلاً أعلى لتلاميذهم ؛ فعملوهم النشاط  
الروحي وعدم الاستسلام إلى النعاس . ثم ها هو القديس  
مكارىوس الكبير يتحدث لتلاميذه عن النوم في قوله : « وأما  
من جهة النوم فإنني كنت أستند إلى الحائط واختطف يسيراً  
منه » (١١٤) . هذا ويلاحظ أن الرهبان كالديرين ناموا لابسين قميصهم  
الذي خلا من الأكمام .

### الصوم والطعام والشراب :

ولما كانت الحياة الرهبانية تعمل على إماتة الشهوات الجسدية  
للوصول إلى الحياة الأبدية ، فإن الوسيلة الثانية إلى هذا هي  
الصوم . وغاية الصوم - كما حددت الكنيسة - هي التكفير عن الخطيئة  
وإماتة الشهوات الجسدية ليخضع الجسد للروح ؛ ذلك أن الرسل  
قرروا في اجتماعهم بأورشليم « أن الذين يخطئون فعلى راعيهم أن  
يعلمهم ويؤدبهم ويفرض عليهم صوماً » (١١٥) ، ثم أن الكنيسة  
منذ العصر الرسولي حددت أصواماً فرضتها على المسيحيين .  
وهذه الاصوام وإن تطورت تطوراً ضئيلاً بعد العصر الرسولي ،  
إلا أنها ما لبثت أن استقرت في الكنيسة الارثوذكسية . وأول  
هذه الاصوام هو صوم الأربعين يوماً المقدسة ، ويكون هذا



الصوم قبل الفصح وقد ورد في «الدسقولية»، وهي قوانين الرسل أن بدايته «من يوم الاثنين الثاني من السبت وكاله يوم الجمعة الذى قبل الفصح»، وأضيف إلى هذه الاربعين يوماً أسبوع آخر هو أسبوع فصح العبرانيين؛ إذ حتمت الكنيسة على المسيحيين أن يصوموا أسبوع الفصح «بفزع ورعده» (١١٦). بل أن الرسل تشددوا في صوم هذا الاسبوع حيث يتضح هذا مما ورد في الدسقولية «وأيام الفصح ستة أيام، تتناولون فيها الخبز والملح والماء فقط، وأما الخمر واللحم فانتهاوا عنها في هذه الايام لانها أيام حزن، وليست أعياداً، وأما يوم الجمعة والسبت فصومهما معاً لمن يقدر ألا يذوق شيئاً إلى وقت صياح الديك بالليل. وإذا لم يقدر الانسان أن يصوم اليومين معاً فليحفظ يوم السبت» (١١٧).

وأصبح هذا الاسبوع الذى أضيف إلى صوم الاربعين يعرف في الكنيسة بأسبوع الآلام حيث تتذكر الكنيسة مراحل المؤامرة اليهودية لصلب المسيح كما يطلق عليه «البصخة»، أى الفصح. وحرصت الكنيسة على أن يصوم المسيحيون هذا الاسبوع الزائد، ليكون عيد القيامة بعد الفصح اليهودى، الذى يقع في نهاية صوم الاربعين. وقد رتبت الكنيسة هذا الترتيب بحيث لا يحتفل المسيحيون بعيد القيامة مع اليهود في أى سنة من السنوات، بل يحتفلون بالعيد بعدهم (١١٨). أى بعد هذا الاسبوع، أسبوع فصح اليهود، الذى تمت فيه المؤامرة على صلب المسيح. وإذا فطر المسيحيون خمسين يوماً بعد هذا الصوم، يؤدون

صوماً آخر عرف بصوم الرسل . وأيامه غير محددة وتختلف من سنة إلى أخرى لارتباطه بموعد الصوم الكبير بحيث تقع نهايته في الخامس من أيب ، وهو عيد الرسولين بطرس وبولس . أما الصوم المعروف بصوم العذراء فمدته خمسة عشر يوماً تبتدىء من أول مسرى إلى الخامس عشر منه (١١٩) .

وهناك صوم الميلاد ويبتدىء في السادس عشر من هاتور وينتهى في الثامن والعشرين من شهر كيهك ، وأضافت الكنيسة إلى هذه الأصوام صوماً آخر مدته ثلاثة أيام تنهى يوم الاربعاء السابق للصوم الكبير بعشرة أيام ، وعرف هذا الصوم بصوم نينوى . وكذلك أمر الرسل أن يصوم المسيحيون يومى الاربعاء والجمعة من كل أسبوع على مدار السنة ، الاربعاء لذكرى التشاور على صلب المسيح ، والجمعة لذكرى الصلب (١٢٠) . ولا يصومهما المسيحيون أيام الخمسين ، وهى الخمسين يوماً التى تلى الصيام الكبير إذ اعتبرتها الكنيسة أيام فرح بقيامة المسيح ، لا يجوز فيها الصوم . وهناك كذلك يومان يصومهما المسيحيون أحدهما قبل عيد الغطاس ، والآخر قبل عيد الميلاد وذلك استعداداً لاستقبال العيد ويعرفان « بالبرامون » أى الاستعداد للعيد (١٢١) .

ولا يأكل المسيحيون فى كل هذه الأصوام السمك أو اللحم أو اللبن ومشتقاته بل يأكلون فيها البقول والخضر والفاكهة والخبز . وقررت الكنيسة أن يكون الصوم فى هذه الايام امتناعاً عن الطعام حتى الساعة التاسعة من النهار (العصر) حيث

يفطر المسيحي على طعام من هذه الاطعمة (١٢٢) . وصام الرهبان هذه الاصوام جميعها ، غير أن أكثر الرهبان اتبعوا في صومهم نظماً خاصة ، اختلفت من راهب إلى آخر حسب النظام النسكي الذي أراده لنفسه ، فبعضهم تناول طعامه في المساء ، على حين أن البعض الآخر ظل صائماً عن الطعام حتى مساء اليوم الثاني أو الثالث (١٢٣) ، وجرت بين بعض الرهبان ما يشبه المنافسة على الحياة النسكية في الصوم ، فالقديس يشوى أكل مرة واحدة كل لاثني عشر يوماً ، ولم تزد هذه الأكلة عن خبز وملح . ومع الاصوام لم يركن إلى الكسل بل لازم عمله اليدوي (١٢٤) . وأحرز القديس مكاريوس الاسكندري قصب السبق في هذا الشأن ، حتى وهن عظمه وقيل أن لحيته سقطت ، ولم يبق سوى شعر قليل على شفته العليا ، لانه أمضى أربعين يوماً صائماً (١٢٥) . والملاحظ أن أكثر الرهبان بشييت درجوا على الامتناع عن الطعام مدة أسبوع متصل ، أما بعض الرهبان من الطاعنين في السن فإنهم أعفوا من الصوم لمدة طويلة بعد أن ظهر عدم إمكانهم تحمل متاعب الصوم (١٢٦) . وقد لوحظ وقتذاك زيادة قدرة الرهبان على الصوم في فصل الشتاء ، على حين ضعفت قدرتهم في فصل الصيف ، وذلك لأن حرارة الصيف أثرت تأثيراً كبيراً على أبدانهم (١٢٧) .

واتفق الديريون مع الرهبان في هذه الاصوام إلا أن الانقطاع عن الطعام لمدة طويلة لم يكن معروفاً بينهم فلم يزد انقطاع أكثرهم عن خمسة أيام . والمعروف أنهم خضعوا لقانون

الأنبا باخوميوس دون زيادة أو نقص، إلا أن الأنبا باخوميوس ترك الحرية لمن أراد الانقطاع عن الطعام لفترة أطول بشرط أن يعتزل عن إخوانه<sup>(١٢٨)</sup>. ويبدو أن الأنبا باخوميوس سن هذه القاعدة حتى لا يؤثر هذا الفسك الزائد في نفوس الديرين غير القادرين عليه؛ ثم أنه في الأيام العادية التي حرم على الرهبان في وادي النطرون أن يأكلوا فيها سوى في عصر كل يوم، إذ يباخوميوس يقدم الطعام لديرية مرتين، مرة بعد منتصف النهار والثانية في المساء.

وأوضح القديس أنطونيوس نوع وكمية الأكل الذي ينبغي على الراهب تناوله. وكانت كمية الخبز القانونية التي تعطى للراهب عبارة عن قطعتين من الخبز الجاف وزن كل منهما حوالى ثلاثين درهما تعود الراهب أن يأكل قطعة منهما، ويحتفظ بالآخرى حتى المساء، إذ ربما يطرق بابه زائر قضت التقاليد الرهبانية أن يشاركه طعامه، أما إذا لم يحضر أحد أكلها الراهب في المساء<sup>(١٢٩)</sup> وأضاف الراهب إلى هذا الخبز بعض الخضر وأحياناً أكل الخبز الجاف بقليل من الملح.

ورأى الرهبان أن هذه الكمية من الطعام كافية لوقاية قواهم وصالحه لنشاطهم البدني كما أنها أفادتهم في إقلال نومهم ولم تؤثر في أعمارهم، بل أن أكثرهم عمر إلى أقصى الشيخوخة<sup>(١٣٠)</sup>، ومع أن الخبز أصبح الطعام العادي إلا أن بعض الرهبان لم يكثرُوا من أكله، بل أن بعضهم امتنعوا عنه معتقدين أن في

هذا الامتناع ما يهدى جسد الراهب من الانفعالات العصبية كما لا يدع مجالا لإثارة الغريزة الجنسية (١٣١) .

وعاش هؤلاء المشتعون عن الخبز على الخضر والحشائش الجافة وبعض الفواكه والعسل البرى ومن هؤلاء ايفاجريوس الكبادوكى الذى سكن صحراء القلاى ، ويبدو أن أكثر المنفردين كانوا أكثر تقشفاً عن عاشوا فى جماعات (١٣٢) .

وبما أن نظام القديس أنطونيوس قضى أن يطهى الطعام للربان المرضى فقط ، صار هذا الأمر مرعياً فى برية شهيت . وفى نترى لم يؤكل الطعام المطهى مدة الخمسة أيام التى قضاه الراهب فى قلايته ، اللهم إلا إذا حضر اليه أحد الضيوف ، أما فى يوم السبت والأحد فإن الطعام المطهى لم يكن ممنوعاً ، إذ جهزت الأكلة العامة المطهية ليتناولها الربان جميعاً . وحاول بلاديوس أن يصف الطعام الذى تناوله الربان فى الإسقيط فى حرص عن أن يغالى وذلك فى قوله : « أما عن الطعام والشراب عند هؤلاء الرجال الأتقياء فإننا إذا حاولنا أن نصفه فربما نكون مغالين ، لأنه حتى بين من لا نعرفهم من المتوحدين لم يوجد ما يشير إلى زيادته عن الحدود ؛ أولاً بسبب فقر هذه البقعة ، وثانياً ، بسبب التنافس النفسى بينهم (١٣٣) . ومن هذا التنافس النفسى فى الطعام ما ذكره القديس مكاريوس الكبير عن نفسه إذ قال أنه « مدة عشرين سنة لا خبز ، ولا ماء ، ولا نوم شبت منه ، خبزى كنت آكله بالميزان ، ومائى كنت أشربه بالكيل » (١٣٤) . وهذا قسى الربان على أنفسهم فأكل بعضهم



الخضر طازجة ، أو جافة دون أن يطهوها .

أما طهى الطعام الخاص بالراهب المريض فى قلايته أو من سمح لهم بطهى الطعام فإنه فى غالب الأحيان تم بواسطة الماء . ومع أنه كان لكل راهب كمية خاصة من الزيت حددت بمكيال واحد كل سنة ، فإن بعض الرهبان لم يطهوا طعامهم به ، والبعض الآخر استخدموه بكمية قليلة ، لأنهم اعتبروا أكل الزيت من الأشياء البعيدة عن التقشف ، حتى أن إيفاجريوس لم يمس كمية الزيت المعطاه له وبقيت فى صومعته مدة ثلاث سنوات (١٣٥) . كما أن القديس مكاريوس الاسكندرى لم يصف الزيت إلى طعامه سوى أيام الأعياد وبعد تناول من الأسرار الربانية فى بعض آحاد الأربعين المقدسة (١٣٦) . على أنه بتوالى الزمن بدأ الرهبان يستخدمون الزيت ، ويطهون به طعامهم ، كما أنهم بدأوا يأكلون الجبن (١٣٧) . وتعود الرهبان أن يتسلوا كمية الطعام كل أسبوع عند عودتهم بعد صلاة الأحد ؛ على أنه تركت الحرية للراهب أن يترك كميته من اللحم إذا لم يكن له حاجة فيها (١٣٨) .

وحيث أن النظام الرهبانى منع الرهبان عن تناول اللحوم ، فإن هذا الأمر لم يكن طيلة أيام السنة إذ أن بعض الرحالين شهد أن بعض الرهبان تناولوها مرات قليلة فى السنة ؛ وسبب هذا أن البطريك تيموثاؤس (حوالى سنة ٢٩٧ م) وهو الثانى والعشرين فى عداد بطاركة الاسكندرية أطلق للأساقفة والرهبان أكل اللحم فى الأعياد السيدية من أجل المائة (١٣٩) ، المعروفين أيضاً بالصدوقيين ، ليعرف من كان من الأساقفة مانياً ليبطل عليهم



من أجل أكل اللحم دينهم لان المانية لا يرون الذبيحة ولا  
ياكلون اللحم ولا شيئاً من الحيوانات البتة .  
وكان كثير من مطارنة مصر وأساقفتها مانيه فأكل بطاركة  
الارثوذكسية وأساقفتهم ورهبانهم ( في مصر وغيرها ) اللحم في  
الاعياد السيدية ، أما مطارنة المانية وأساقفتهم ورهبانهم فلم  
ياكلوا اللحم وأكلوا بدلا منه السمك وأقاموه مقام اللحم إذ كان  
السمك حيواناً ، وهذا الشيء كان في زمان ماني المخالف الكافر ،  
فلما هلك ماني وشيعته ، رجع بطاركة الارثوذكسية وأساقفتهم  
ورهبانهم إلى مذهبيهم الاول وامتنعوا عن أكل اللحم في الأعياد  
السيدية . ( ١٤٠ )

وأوضح البطريك تيموثاؤس سبب أمره بضرورة أكل اللحم  
في الأديرة وعند الرهبان بأن السيد المسيح لم يحرمه ، فيجب  
على من دان بالنصرانية الاقتداء به ولو يوماً واحداً في السنة ،  
ليزيلوا عن أنفسهم الشك ويثبتوا عند جميع الناس خطأ المذهب  
الماني ، ( ١٤١ ) .

والشراب الوحيد العام في وادي النطرون هو الماء . غير  
أن بعض الرهبان قسوا على أنفسهم فلم يتناولوا إلا القليل منه ،  
فهذا هو القديس مكاريوس الكبير يقول : « وماني كنت أشربه  
بالكيل ، ( ١٤٢ ) . ثم إذ ذهب إليه أحد الرهبان وكان ظمأنا لدرجة  
كبيرة وطلب منه قليلا من الماء لكي يشرب ، أجابه القديس  
مكاريوس الكبير بقوله « يكفيك ذلك الظل الذي أنت واقف  
فيه لان كثيرين الآن يسلكون في المسالك والوهاد في العراء ،  
ولا يجدون ظلا مثل هذا ، ( ١٤٣ ) .

وهكذا شرب الرهبان الماء بعد الأكل في غالب الأحيان ،  
وذكر هذا عن القديس مكاريوس الكبير ، بعد أن تناول  
الطعام مع مكسيموس ودوماديوس . وإذا كانت بعض المراجع  
ذكرت عن شرب رهبان أنطونيوس بعض النبيذ الذي حفظوه  
في أوعية من جلد الحيوان وذلك في ظروف خاصة ، فإن النبيذ  
في نتريا قدم للضيوف ولشباب الرهبان في حالة المرض ، ربما  
جرباً مع الآية القائلة : « خذ قليلاً من الخمر لإصلاح معدتك  
واسقامك الكثيرة » .

وسمح بالنبيذ لشيخو الرهبان في بعض الأحيان ، على حين  
أن النبيذ لم يكن عاماً في صحراء سليا . وكان النبيذ أساساً يجهز  
ويتمتع في أوعية معينة من أجل الكنيسة ، وتعود المشرف  
على اقتصاديات الرهبان أن يوزعه على من يطلبه من الرهبان في  
الأكلة الجامعة ومعنى هذا أن الرهبان لم يحتفظوا به في صوامعهم .  
ومع أن شرب النبيذ لم يمنع في الإسقيط ، فإن أكثر الرهبان  
نصحوا زملاءهم بالامتناع عنه باعتباره « ممتاً للروح » (١٤٤) ،  
فالقديس بافنوتيوس خليفة مكاريوس الكبير لم يشرب النبيذ  
إلا عندما اضطره لذلك اللصوص الذين هاجموا قلايته ، فشرب  
فنجائاً لهرب من الموت الذي هدده به رئيس عصابة اللصوص .  
ثم أن القديس مكاريوس الكبير لم يفضل شرب الخمر ولأنه إذا  
أكل مع الرهبان فرض على نفسه إذا شرب كأساً من النبيذ  
تحت ضغط وإلحاح بعض تلاميذه أن يتمتع عن شرب الماء طيلة  
اليوم ، وكان تلاميذه يفعلون هذا رغبة منهم في إنعاشه . غير

أنهم عندما لاحظوا أنه طالما عذب نفسه بعد شرب النبيذ ،  
لممتنعوا عن إعطائه إياه (١٤٥) .

وتناول الرهبان طعامهم اليومي على انفراد ؛ كل في قلايته  
ما عدا يومى السبت والاحد بعد خروج الرهبان من كنائسهم  
حيث تناولوا طعامهم مجتمعين ، وساد هذه الوجبة فرح شامل ،  
إذ يجتمع الرهبان بشيوخهم ، ومع أن الحديث والقاش لم ينضلا  
في أثناء هذا الاجتماع ، فإن إباحتهما لم تجعل الرهبان يخرجون  
عن صمتهم المعهود أو يضحكون (١٤٦) . وتكونت هذه الوجبة  
— التي ذكر كاسيان أنها طهيت بكمية كبيرة من الزيت بخلاف  
ما هو معهود لدى الرهبان في صوامعهم — من الزيتون والخبز  
والبقول والخضر ، وأخصها الكرنب ، والفاكهة وأهمها التين ، كما قدم  
السماك المملح (١٤٧) . وعهد إلى بعض الرهبان الموثوق بهم القيام  
بتجهيز الطعام قبل حلول ليلة الاحد . وأنفق المشرف على  
اقتصاديات الرهبان على تجهيز هذه الاكلة العامة من موارد  
الجماعة (١٤٨) .

أما في أديرة باخوميوس فإن نظام طعامهم اختلف عما هو  
عند رهبان وادى النطرون ؛ إذ صار الديرىون يتناولون طعامهم  
بصفة مستمرة على مائدة واحدة وفي مكان واحد (١٤٩) . ولم  
يفعل رهبان وادى النطرون هذا الامر سوى يومى السبت  
والاحد . على أن باخوميوس رغم هذا النظام ، ترك الحرية  
لبعض الديرىين أن يتناول كل منهم طعامه على انفراد في قلايته ،  
كما أنه حرص في نفس الوقت ألا يثقل على بعض الرهبان في

مأكلم . فقدم لهم الخبز والبقول وبعض الحبوب المطهية والزيتون والخضر وبعض الفواكه ولكنه قدم اليهم اللحم في مرات قليلة . وترك الديرين أحراراً يتناولون ما يطيب لهم من هذه الأنواع (١٥٠) .

ولإذا كانت هذه هي ألوان الطعام التي قدمها الأنبا باخوميوس لديرية يومياً فإن رهبان وادي النطرون لم يروها سوى في الأكلة العامة ، وأحياناً حرموا من أكثرها فائدة ، وعاشوا باقى أيامهم على الكفاف . ويبدو أن الديرين لم يألفوا ألوان النسك الزائد الذى ألفه رهبان وادي النطرون ، حتى أنهم طلبوا من باخوميوس أن يأمر الأنبا مكاريوس الاسكندري الذى زارهم فى ديرهم ، ليرحل عنهم ، حيث أنه عاش بينهم على تناول بعض الخضر فى أوقات متباعدة (١٥١) . والشئ الذى ينبغى أن يكون ملحوظاً هو أن الديرين اختلفوا عن رهبان وادي النطرون كذلك فى أن الأولين عندما اجتمعوا فى قاعة الطعام غطوا وجوههم بملاحهم (١٥٢) ، حرصاً على عدم حديث بعضهم مع البعض الآخر ، ولكى لا ينظر شاب إلى شيخ فيضحك على طريقه تناوله الطعام ، أو ربما يريد واحد من الديرين أن يكتفى بالقليل من الطعام فيحسده الآخر على نسكه الظاهر ، أما الرهبان هنا ، فإنهم لم يغطوا وجوههم لأنهم كانوا على درجة عالية من النسك وثمة ناحية أخرى فى حياة الديرين ، أنهم لم يشربوا النبيذ إذ أن الأنبا باخوميوس قرر ألا يعطى النبيذ إلا للمرضى الذين روعى كذلك أن ينقل اليهم طعامهم ، ليتناولوه فى قلايهم (١٥٣) .

وعما ميز نظام الطعام في الأكلّة العامة عند رهبان وادى  
النظرون أن الرهبان صلوا بعض المزامير قبل البدء في تناول  
الطعام ثم أكلوا في صمت . على حين أن الديرين أخذوا - فيما  
بعد - عن رهبان كبادوكيه عادة قراءة فصول الإنجيل أو سير  
القديسين على المائدة العامة ، فاستمعوا إلى واحد منهم يقرأ  
لهم أثناء تناول الطعام (١٥٤) .



## مراجع وشواهد الفصل الرابع

- Besse : Les Moines D'Orient P. 67. ( ١ )
- White : The Monasteries Of Nitria V II P. P. 49-50 ( ٢ )
- ( ٣ ) من هؤلاء أشيل أحد الرهبان الموارنة - راجع :
- Besse : OP. Cit. P.P. 77-78.
- ( ٤ ) راجع رسالة بولس الرسول الثانية إلى تسالونيكي ٢ : ١٥
- ( ٥ ) راجع ما سبق بالفصل الثاني .
- ( ٦ ) مرقس سميكة : دليل المتحف القبطي وأهم الكنائس والأديرة  
الآثرية ج ٢ ص ٦٦ .
- Butler : Lausiac Hist. Of Palladius V II P. 189. ( ٧ )
- Palladius : The Paradise V I. PP. 99—100. ( ٨ )
- Besse : Les Moines D'Orient. P. 282. ( ٩ )
- White : OP. Cit, V II. P. 174. ( ١٠ )
- Besse : Les Moines D'Orient, P. 266. ( ١١ )
- Ibid : PP. 277—278. ( ١٢ )
- Waddell H : The Desert Fathers PP. 78-79. ( ١٣ )
- Mackean : Christian Monasticism P. 84 ( ١٤ )
- ( ١٥ ) يوحنا الصغير : ميمر أنبا يشوى ورقة ٣٣ ب ، القديس  
فيلوكسينوس ، أخبار الرهبان المصريين ورقة ١٠٤ ب .
- ( ١٦ ) طوسون : وادي النظرون رهبانه وأديرته ص ١٦٥ .
- Palladius : OP. Cit. V I P.P. 198-200. ( ١٧ )



- (١٨) سراييون : ميمر مكاريوس الكبير ورقة ١٤ ب .
- (١٩) Fltche & Martin : Hist. De L' Egypte, V III P.341.
- (٢٠) Ladeuze : Cenobitisme Pakhomien P. 275.
- (٢١) Besse : OP.Cit P. 284.
- (٢٢) Palladius : Paradise V II P. 17.
- (٢٣) كان أرسانيوس فيلسوفاً بارعاً اتخذ الامبراطور تاودسيوس الكبير معلماً لأولاده غير أنه اشتاق إلى الحياة الرهبانية فترك عاصمة البلاد إلى الإسقيط - راجع
- Workman : OP. Cit P. 47-48.
- (٢٤) طوسون : وادى النظرون رهبانه وأديرته ص ٢٩ — ٣٠ .
- (٢٥) Milne : Hist. Of Egypt Under Roman Rule P.P. 157-158.
- (٢٦) Zoega G, : Catalogus Codicum Copticorum P. 352.
- (٢٧) Annan Isho : Wit & Wisdom P. 55.
- (٢٨) Palladius : Paradise V I P. 99.
- (٢٩) Waddell, H, The Desert Fathers P. 60
- (٣٠) Harnack : Hist Of Dogma (Eng. Trans.) V II P. 336.
- (٣١) Workman : Evolution Of The Monastic Ideal P. 33.
- (٣٢) القديس فيلوكسينوس : أخبار الرهبان المصريين ورقة ١٦٦ ب.
- (٣٣) نفس المرجع ورقة ٧٦ ب .
- (٣٤) البستان الكامل ( مخطوط ) ص ٢١ .
- (٣٥) Besse : OP. Cit. P. 279.
- (٣٦) Waddell H : Desert Fathers P P. 79 80.

- Besse : OP. Cit P. 279. (٣٧)
- A. M. G : T XXV P. 289. (٣٨)
- White : The Monasteries Of Nitria V II P.178. (٣٩)
- Besse : OP. Cit : P. 281. (٤٠)
- (٤١) إنجيل متى ٦ : ١٢ .
- (٤٢) عب ٢٣ : ٥ .
- Worrell : A Short Account Of The Copts. راجع (٤٣)
- P.P. 10-12.
- (٤٤) راجع رسالة يوحنا الأولى أصحاح ٢ : ١٥ .
- (٤٥) بستان الرهبان ج ٢ ص ١٠٦ .
- Palladius : Paradise, V II P.P. 36-37. (٤٦)
- (٤٧) المرجع السابق والجزء ص ١١٧ .
- (٤٨) القديس فيلوكسينوس المنبجى : أخبار الرهبان المصريين
- « مخطوط ، ورقة ١٤ ا .
- (٤٩) البستان الكامل ( مخطوط بدير السوربان ) ص ٢٤ .
- (٥٠) القديس فيلوكسينوس المنبجى : أخبار الرهبان المصريين
- ورقة ١٤ ا .
- Palladius : OP. Cit V I P. 89. (٥١)
- Cassien : Institutiones T I P.P. 128-129. (٥٢)
- (٥٣) أبو صالح الارمنى : كنائس وأديرة مصر ص ٦٩ .
- Duchesne : Hist. Ancienne De L'Eglise V II P. 49 .
- (٥٤) المسح بالكسر : الكساء من شعر كثوب الرهبان ومنه
- يقال لما يلبس من نسيج الشعر على البدن تقشفاً وقهراً
- للجسد - راجع البستاني البستاني : ج ٢ ص ٢٢٦٧ .

- A. M.G : XXV intro. P. XXIII. (٥٥)
- (٥٦) القديس فيلوكسينوس المنبجى : أخبار الرهبان المصريين  
ورقة ٨٣ ا .
- Cassien : Institutiones, L I P.P. 133-134. (٥٧)
- (٥٨) إرمان ، رانكه : مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة  
ترجمة أبو بكر ومحرم كمال ص ٣١٨ = ٣١٩ .
- Cassien : OP. Cit L I P.P. 135-136. (٥٩)
- ، راجع كذلك عب ١١ : ٣٧ — ٣٨ .
- Ibid : P. 133. (٦٠)
- Ibid : P. 123. (٦١)
- ibid : P. 140. (٦٢)
- ، راجع كذلك أعمال الرسل ١٢ : ٨ .
- Cassien : Ibid P. 131. (٦٣)
- ، بستان الرهبان ج ٢ ص ١٧ — ١٨ . (٦٤)
- .. M. G : T XXV : intro (٦٥)
- Cassien : OP. Cit. L I P. 140. (٦٦)
- bid : P. 136: (٦٧)
- ، راجع كذلك سفر الملوك الثانى .
- (٦٨) سراييون : سيرة القديس مكاريوس الكبير ( مخطوط )  
ورقة ١٧ ب .
- Cassien : OP. Cit L I P. 129. (٦٩)
- Palladius : OP. Cit V II P. 25. (٧٠)
- Annan I sho : OP. Cit. P. 50. (٧١)

Palladius : OP. Cit P.P. 109-110. (٧٢)

ومن هؤلاء ذكر موسى السارق .

(٧٣) المسعودي ، القمص عبد المسيح : تحفة السائلين ص ٢٥-٢٧ .

(٧٤) القديس فيلوكسينوس : أخبار الرهبان المصريين ورقة

٢٥ ب ، ٢٦ ا .

Cassien : Les Conferences : P.P. 20-21. (٧٥)

(٧٦) بستان الرهبان ج ١ ص ٧٢ .

Fliche & Martin : OP. Cit VIII P. 241. (٧٧)

، القديس فيلوكسينوس : أخبار الرهبان المصريين ورقة ١٣٥ .

(٧٨) نفس المرجع ورقة ٧٦ ب .

Annan Isho : Wit & Wisdom P. 14. (٧٩)

Wokman : Evolution Of Monastic Ideal P. 325. (٨٠)

(٨١) القديس فيلوكسينوس : أخبار الرهبان المصريين ورقة ١٢٨ .

Cassien : Conferences P. 28. (٨٢)

Ibid : P.P. 30-32. (٨٣)

Palladius : The Paradise VII P.P. 27-33-34. (٨٤)

، راجع كذلك هوشع ١٣ : ٤ .

Annan Isho : Wit & Wisdom : P.P. 42-43. (٨٥)

(٨٦) سفر المزامير : ١١٩ : ٦٤ ، الدسقولية ( القاهرة ١٩٤٠ )

ص ٩٥ ، ١٩٥ .

(٨٧) راجع مت ٢٦ : ٢٦ - ٣٨ ، مر ١٤ : ٢٣ ، لو ١٦ : ٥ .

(٨٨) مزامير : ١١٨ : ٦٢ .

(٨٩) مت ٢٥ : ١٣ .

- Cassien : Institutiones : L II P.P. 191-193. (٩٠)
- Ibid : P. 189. (٩١)
- (٩٢) ابن العسال : المجموع الصفوى باب ١٤ ص ٣٣ (القاهرة ١٩٢٧).
- (٩٣) كتاب السبع صلوات (الاجبية) طبع المحبة القاهرة ١٩٥٠  
ص ٢١ — ٢٢ .
- Cassien : Institutiones. L II P. 151. (٩٤)
- Besse : Les Moines D'Orient P. 69. (٩٥)
- Cassien : Institutiones L II P. 160-163. (٩٦)
- راجع كذلك أش ١ : ١٥ ، اتي ٢ : ٨ .
- Ibid : P. 173. (٩٧)
- Palladius : The Paradise V I P.P. 99-100. (٩٨)
- Cassien : Institutiones L II P. 151 & 155. (٩٩)
- Workman : Evolution Of Monastic Ideal (١٠٠)  
P.P. 131-132
- Cassien : Institutiones L II P. 173. (١٠١)
- (١٠٢) عن أهمية الصلاة الاجتماعية راجع مت ١٨ : ١٩ - ٢٠ ،  
أش ٥٦ : ٧ .
- (١٠٣) القديس فيلوكسينوس المنبجى : أخبار الرهبان المصريين  
ورقة ٢٨ ١ .
- Cassien : O. P. Cit P. 170. (١٠٤)
- Palladius : OP. Cit. P. 24. (١٠٥)
- (١٠٦) بستان الرهبان ج ١ ص ٧٠ .
- Ladeuze : Cenobitisme Pakhomien P.P. 289-290. (١٠٧)

- Mackean : Christian Monasticism P. 90. (١٠٨)
- Besse : Les Moines D'Orient P.P. 282-283. (١٠٩)
- Mackean : OP. Cit. P. 88. (١١٠)
- Cassien : Conf. VII P. 23. (١١١)
- Budge : Wit & Wisdom P. 39. (١١٢)
- White : OP. Cit. P. 113. (١١٣)
- (١١٤) بستان الرهبان ج ١ ص ١ .
- (١١٥) الدسقولية : ص ٤٦ .
- (١١٦) نفس المرجع ص ١٣٠ .
- (١١٧) نفس المرجع ص ١٦٥ ( لا تجيز الكنيسة صيام السبت  
انقطاعاً إلا السبت الكبير المشار اليه ) .
- Kraux : Histoire De L'Eglise T I P.P. 203-204. (١١٨)
- جرت الكنيسة القبطية الارثوذكسية بمصر على تبادل  
الخطابات مع كنيسة روما فترة طويلة لتحديد التاريخ  
الصحيح لعيد القيامة حتى استقر الامر على اتباع التاريخ  
المنصوص عليه في الحساب الابقطي .
- (١١٩) سعيد بن بطريق : التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ص ١٤٨ .
- Besse : Les Moines D'Orient P. 303. (١٢٠)
- Kraux : Histoire De L'Eglise T I P. 220.
- (١٢١) ابن العسال : المجموع الصفوى باب ٥ ص ١٣٧ .
- (١٢٢) نفس المرجع باب ٥ ص ١٤٠ .
- Workman : OP. Cit. P 48. (١٢٣)
- (١٢٤) يوحنا الصغير : ميمر أنبا يشوى (مخطوط) ورقة ١٢٤ ، ١٤ .



- (١٢٥) راجع الفصل الثاني .
- Annan Isho : Wit & Wisdom P. 20. (١٢٦)
- A. M. G : XV II P.P. 12-13. (١٢٧)
- Ladeuze : OP. Cit. P. 29) (١٢٨)
- Cassien : Conferences : T II PP. 19-26 (١٢٩)
- Mackean : Christian Monasticism P. 90.
- (١٣٠) لومند : خلاصة تاريخ الكنيسة (مغرب) ص ١٧٢ .
- Palladius : Paradise V II intro. P 12 (١٣١)
- Besse : OP. Cit. PP. 308-309. (١٣٢)
- Palladius : OP. Cit V I P. 114 (٢٣)
- (١٣٤) القديس فيلوكسينوس : أخبار الرهبان المصريين ورقة ١١٢ .
- Palladius : OP. Cit. VII P 22 (١٣٥)
- Ibid V I P 118. (١٣٦)
- Besse : OP. Cit P.P. 308-309. (١٣٧)
- Ibid : P 312. (١٣٨)
- (١٣٩) اتباع دمانى ، وهو رجل ظهر فى بلاد فارس ونشر بعض آرائه الغريبة حتى اعتبرت الكنيسة خارجاً ومهرطقاً ومن تعائنه رفض الإنجيل والمناداة بإنجيل جديد من عنده وقد نادى أتباعه بالامتناع عن اللحم والبيض والزواج- راجع الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة ج ١ ص ٢٢٦-٢٢٧ .
- (١٤٠) سعيد بن بطريق : التاريخ المجموع على التحقيق ص ١٤٦-١٤٧ .
- (١٤١) ابن المقفع : تاريخ البطارقة ص ١٦٠ - ٦١ .
- (١٤٢) فيلوكسينوس : أخبار الرهبان ورقة ١ ، ٢ .

- (١٤٣) بستان الرهبان ج ١ ص ١١١ .
- Palladius : Paradise V II P.P. 18-19. (١٤٤)
- Ibid V II P. 17. (١٤٥)
- Annan Isho : D P. Cit P. 33. (١٤٦)
- Cassien : Instit. L IV P.231. (١٤٧)
- Besse : OP. Cit P. 231. (١٤٨)
- Palladius : OP. Cit. VI P 121. (١٤٩)
- Ladeuze : Cenobitisme Pakhomien P. 299. (١٥٠)
- Palladius : OP. Cit P. 121. (١٥١)
- Ibid P. 130. (١٥٢)
- Ladeuze : OP. Cit P.P. 299-300. (١٥٣)
- Palladius : OP. Cit P 130. (١٥٤)
- Cassien : Instit : L IV P.P. 223-224



## الفصل الخامس

### أثر رهبانية وادى النطرون في المسيحية الاولى

#### اقرأ في هذا الفصل :

أثر رهبانية وادى النطرون في التربية الدينية  
- رهبانية وادى النطرون وكرسى الاسكندرية  
- رهبانية وادى النطرون وأثرها في العالم  
الخارجي .

#### أثر رهبانية وادى النطرون في التربية الدينية :

أدرك زعماء الرهبانية وقادتها أهمية التعليم في حياة الراهب  
الروحية ولذلك حثوا على الراهب أن يتعلم تعليماً دينياً<sup>(١)</sup> ،  
ولعلمهم في هذا الصدد كانوا يحققون ، قول السيد المسيح « فثبوا  
الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية »<sup>(٢)</sup> . ولهذا غدا  
القديس أنطونيوس المعلم الأول لرهبانه الذين أرشدهم وعلمهم  
تارة على انفراد وأخرى مجتمعين<sup>(٣)</sup> ، وذلك حتى يحسنوا التصرف  
والسلوك ، وبهذا يصبحون على بينة من أمر حياتهم الحاضرة ،  
وحياتهم الأبدية .

ولما أصبح للتعليم الديني هذه الأهمية في حياة الراهب في  
وادى النطرون ، فإن أولئك الذين اشتغلوا بأيديهم في النصف  
الأول من النهار ، قضوا بقية يومهم في القراءة . غير أن بعض  
الرهبان من الشيوخ خصص وقتاً أكثر للقراءة ، وهؤلاء كانوا

في درجة رهبانية تميز لهم الإقلال من العمل اليدوى ، بل أن القراءة في ذاتها أصبحت وسيلة الشيوخ لتجنب العمل القاسى<sup>(٤)</sup>.  
وعما ينبغى أن يكون ملحوظاً أن الرحالين الذين زاروا مصر في القرن الرابع الميلادى ، جاموا ليتعلوا العلوم المعروفة في العاصمة المصرية ، وفي غيرها من المراكز العلية والثقافية ، التى أضحت وقتذاك منحصرة في الأديرة والقلالى ، وبين الجماعات الرهبانية ، قبل أن يحملوا على عاتقهم نشر رسالة المسيحية<sup>(٥)</sup> .

وفي هذه المراكز العلية ، عقدت مناقشات مختلفة حول بعض الموضوعات التى أرادت بها فلسفة المسيحية ، ولهذا اعتبر الرهبان بعضها خروجاً على الدين ، ونوعاً من الهرطقة التى لا يقرونها . غير أنه من المعروف أنه لم تكن هناك رغبة ملحة للحياة الفلسفية من وراء هذه المناقشات ، بقدر ما كانت تهدف إلى البحث عن أصول الحياة المسيحية الكاملة ، حيث لا تشوبها شوائب أو تدنسها هرطقات ، فكانت الدراسات العميقة من أجل هذا الغرض في القراءات والدراسات المتصلة بالدين المسيحى<sup>(٦)</sup> ، وأصبح محور الدراسة ، العهد الجديد ، والعهد القديم ، إلى جانب مؤلفات زعماء المسيحية الأولى ، أمثال كليمنت الاسكندرى وأوريجانوس ، حيث تناولت هذه المؤلفات اللاهوت ، والطقوس ، وتفسير الكتاب المقدس<sup>(٧)</sup> .

واهتم الرهبان بتعليم الأमीين منهم القراءة ، من أجل مواصلة الدراسة ، وخاصة دراسة الكتب المقدسة ، بل أن بعضهم عكف على حفظ أجزاء من الكتاب المقدس عن ظهر قلب<sup>(٨)</sup> ،

ورددوا ما حفظوه أثناء عملهم اليدوى ، ومن هؤلاء الراهب مرقس الذى سرد الأناجيل أمام بلاديوس ، وكان عمر هذا الراهب آنذاك ، مائة سنة ؛ كما أن بلاديوس طاف الصحراء بصحبة راهبين : الأول اسمه ألبن Albin والثانى اسمه إرون Eron ؛ وهذا الأخير حفظ خمسين مزموراً ورسالة بولس الرسول إلى العبرانيين ، وسفر أشعياء ، وجزءاً من سفر أرميا ، وإنجيل لوقا ، وسفر الأمثال .

وزادت قدرة بعض هؤلاء الرهبان على الحفظ ، حتى أن روفينوس أدمشه مدى قدرة الرهبان على حفظ التوراة ، وكذلك وضوح شرحهم لها ، كما أظهر إعجابه بقدرة رهبان الإسقيط على تفسير بعض العبارات الغامضة فى الإنجيل ، بمقابلتها بعضها ببعض<sup>(٩)</sup> .  
والخلاصة أن الجماعات الرهبانية أصبحت مراكز هامة للتربية الدينية حتى أن الأنبا ثيوفيلس — البطريك الثالث والعشرين فى عداد البطاركة — أنفذ ابن أخته كيرلس ، الذى أصبح بطريركا بعده إلى برية شيهيت ، بعد أن تلقى علومه بالاسكندرية . وفى برية شيهيت واصل كيرلس دراساته الدينية طيلة خمس سنوات ، قضاها يقرأ الكتب العتيقة والحديثة ، تحت إشراف سراييون ، أحد شيوخ الرهبان ، وهناك تعلم كيرلس علوم البيعة ، فحفظ جميع كتب الصلوات الدينية فى هذه المدة ، التى خضع فيها لمعلمه خضوعاً تاماً فى نشاط رهبانى ملحوظ .

غير أن علاقة المعلم بالتلميذ شابتها أحياناً صفة القسوة . ونستدل على هذا بما ذكر عن كيرلس المشار إليه ، إذ كان يقف



كتاب من نسخ الريحاني ( على رق خزال )  
بدير السوريات



أمام معلمه يقرأ فترة طويلة على حين قبض معلمه على قضيب من حديد، فإذا نكس كيرلس نخسه معلمه به فيستيقظ، كما بلغت مثابة بعض التلاميذ درجة فائقة؛ ومن حياة كيرلس هذا نعلم أنه في فترة دراسته بيرية شهيت قرأ كل ليلة الأربعة بشار، والكاثوليكون، والابركسيس\* ورسالة بولس الرسول إلى رومية<sup>(١٠)</sup>. ثم أنه بعد أن حفظ جميع الكتب الدينية المعروفة، عاد إلى الإسكندرية، حيث أبدى الكهنة والعلماء هناك إعجابهم بذكائه ودقة تفكيره<sup>(١١)</sup>.

ثم أن أكثر الرهبان شغلوا جانباً غير قليل من وقتهم في نسخ مواظ القديسين وتعاليم أساطين المسيحية، وأسفار الإنجيل، وشروحاته، والوثائق القديمة الخاصة بهذه التعاليم الدينية؛ وباعوا بعض نسخهم في السوق لينتفع بها الشعب، أو وهبوها للكنائس الفقيرة. ونشط رهبان الإسقيط وسليا أكثر من غيرهم في نسخ الكتب والمساهمة في الحركة العلمية الدينية فنسب إلى مكاريوس الاسكندري أنه كتب قانوناً رهبانياً من ثلاثين مادة، شملت الحديث عن القداسة<sup>(١٢)</sup>، والتواضع؛ وانسكاب الروح، والعمل، والصمت، والسر. ونذكر من بين الرهبان ذوى الثقافة العالية، ايفاجريوس الكبادوكي، الذى عاش في سليا، والذى ألف كثيراً من الكتب التى فقدت كلها — مع الأسف —

---

\* الكاثوليكيون هو قراءات من رسائل الرسل بطرس ويوحنا ويعقوب، أما الابركسيس فهو قراءات من سفر أعمال الرسل.

ومن هذه الكتب ، كتابه عن « الراهب » وآخر بعنوان « الغوسية » وثالث يتناول شرح بعض مقتطفات من الانجيل ، كما كتب رسائل بعنوان « إلى جماعات الرهبان » ، « إلى رهبان القلاى » ، « كهنه الله » ، « مقاومة الشياطين » ، وذكر عن هذا الأخير أنه خص فيه بأكثر الحديث عن شيطان الزنا ؛ ومن رسائله المشهورة كذلك رسالته « إلى العذراء » (١٣) .

### رهبانية وادى النطرون وكرسى الاسكندرية :

غير أن هذه الكتابات التى كتبها ايفاجريوس وغيره من الرهبان ، الذين مثلوا جماعة الرهبان المفكرين تفكيراً عقلياً روحياً فى أمور الدين ، كثيراً ما أثارت مشكلات عكرت صفو السلام الرهبانى فى هذه البقعة ، كما أدت إلى مشكلات فى داخل الكنيسة نفسها .

ذلك أنه لما أكدت بعض التعاليم المسيحية ، أكثر من مرة ضرورة تجنب المسيحي المحادثات مع من اعتبرتهم الكنيسة مهرطقين ، فإن أى تعليم فلسفى خالف تعليم بابا الاسكندرية الاثناسيوسى أو شرحه ، اعتبر هرطقة وجبت محاربتها أو منع انتشارها . واستند باباوات الاسكندرية فى نزاعهم وتخاصمهم مع هؤلاء المهرطقين على ما هو وارد فى قول بولس الرسول إلى تلميذه تيموثاؤس « إن كان أحد يعلم تعليماً آخر ، ولا يوافق كلمات ربنا يسوع المسيح الصحيحة ، والتعليم الذى هو حسب التقوى ، فقد تصلف ، وهو لا يفهم شيئاً ، بل هو يتعلل بمباحثات

ومما حكت الكلام التي منها يحصل الحسد ، والخصام ، والاقتراء ، والظنون الرديئة ، ومنازعات أناس فاسدى الذهن وعادى الحق ، يظنون أن التقوى تجارة . تجنب مثل هؤلاء ، <sup>(١٤)</sup> كما استندوا إلى ما جاء في رسالة يوحنا الرسول الثانية إلى كيريه المختارة وأولادها يأمرهم ألا يقبلوا الذين يعلمون تعاليماً غريبة وألا يسلبوا عليهم . <sup>(١٥)</sup> وكانت أحكام الباباوات السكندريين رادعة على هؤلاء المهرطقين ، فحرموهم استناداً إلى قول بولس الرسول في رسالته إلى غلاطيه : « كما سبقنا فقلنا ، أقول الآن إن كان أحد يبشركم بغير ما قبلتم فليكن أناثيما ( محروما ) » ، <sup>(١٦)</sup> .

على أنه مما هو جدير بالذكر ، إن من اعتبرتهم كنيسة الاسكندرية مهرطقين في وادى النظرون كانوا قلة بالنسبة لعدد الرهبان الكبير ، ولم تظهر الكنيسة هؤلاء كهراطقة إلا حينما جدت عوامل خارجية أدت إلى النزاع والتخاصم بين بابا الاسكندرية وبين هؤلاء النفر من الرهبان ، على حين أنه فيما سبق هذا الوقت من سنين ، اعتبر الرهبان سلاح البابوية الحاد الذى دافعت به عن نفسها ضد المهرطقين فى داخل الكنيسة نفسها .

ومن أجل هذا كله وتطبيقاً لتعاليم الكتاب المقدس اجتهد القديس أنطونيوس ألا يخالط الهراطقة ، أما إذا حدث أنه دخل فى محادثة مع أحدهم ، فإنه جعل هدفه هداية المهرطق أو نقض تعاليمه ؛ وفى إحدى عظاته ، نصح تلاميذه ألا يتفروا من الهراطقة بحسب بل من التعاليم الهرطوقية كذلك ، إذ أنه على حد قوله « لا توجد خطيئة أعظم من وجود المسيحى بين هراطقة » ، <sup>(١٧)</sup> .



صينه من الرخام عليها خطاب  
من مملكة النوبة المسيحية وهو مكتوب باللغة  
اليونانية ( دير السوربان )

ومعنى هذا أن القديس أنطونيوس دعا الرهبان إلى بذل الجهد  
لهداية الهراطقة فإذا لم يهتدوا صار تجنبهم من ألزم الأمور .  
ومن أخطر البدع التي ظهرت في داخل الكنيسة واستعان  
بابا الاسكندرية بالرهبان لمحاربتها ، بدعة آريوس ، الذي قال أن  
المسيح مخلوق ، وأنه ليس أزلي أزلية الله ، وعلى هذا لا يساوى  
الابن الآب في الجوهر ، بل أنه نال السلطان من أبيه الذي هو  
أعظم منه (١٨) ، وانبرى القديس أنطونيوس للاشتراك في الدفاع  
عن الأثناسيوسية — وهي المذهب الأرثوذكس \* — فسافر إلى  
الإسكندرية للدفاع عنها ، كما وإلى الكتابة مؤكداً وحدانية  
« الجوهر » أو « الكلمة » (١٩) .

ولما كان من المعروف أن القديس أنطونيوس بتعاليمه وسلوكه  
أثر في طريقة الحياة الرهبانية في وادي النطرون ، فإن أغلب  
رهبان نتريا اشتركوا مع الكنيسة ، في الدفاع عن هرطقة آريوس .  
ويظهر هذا واضحاً مما ورد في رسالة بعث بها رئيس أديرة  
باخوميوس إليهم جاء فيها « من تادرس في تابنا (تابنيسى) إلى الأخوة  
المجبوبين في جبل نتريا ، القسوس ، والشمامسة ، والرهبان . .  
أحييكم في الله وأعرفكم أن اضطهاد الأريوسية وصل إلى مسامع  
الله ، ونظر الله إلى شعبه ليرفع عنه الألم الذي تحمله . . وسيأتي  
الوقت الذي تتخلص فيه الكنيسة من هذا الاضطهاد » (٢٠) .

---

\* سميت كذلك نسبة إلى القديس أثناسيوس الذي دافع عن هذا المذهب  
في مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م .

وعندما وصلتهم هذه الرسالة ، فرح الرهبان بها أيما فرح واشتعلوا حماسة لتأييد الأثناسيوسية ، حاملين ذلك العبء الذى حمله من قبل القديس أنطونيوس . وظهر تأييدهم واضحاً حينما استدعى البابا اثناسيوس القديس بامو من نتريا للدفاع عن المذهب الأثناسيوسى ، كما أن القديس اثناسيوس صاحب راهبين من وادى النطرون معه إلى روما فى فترة إقصائه الثانية عن كرسيه ، بين سنتى ٣٤٥ ، ٣٤٩ م ، وهذان الراهبان هما أمونيوس تليز بامو وواحد من أربعة رهبان عرفوا بالأخوة الطوال القائمة (٢١) ، أما الثانى فهو إيسذور صاحب الضيافة ، الذى ترهب فى نتريا فى هذه الفترة .

ثم أنه أصبح للبابا اثناسيوس مكانة رفيعة بين الآباء الأول فى نتريا وذلك بعد أن اختفى هناك عدداً من السنين فى فترة إقصائه الثالثة بين سنتى ٣٥٦ م ، ٣٦٢ م ، وهى الفترة التى قضاها متنقلاً بين الجماعات الرهبانية هناك ، وأدار دفة الرعوية الكنسية من هناك (٢٢) . وأدى وجود القديس اثناسيوس بين رهبان نتريا والإسقيط إلى جهادهم جهاداً عنيفاً ضد الأريوسية فضلاً عما أفادوه من تعاليم القديس اثناسيوس ، ولهذا فلا عجب أن قاد رهبان وادى النطرون الشعب كله لمعارضة تعاليم آريوس ومحاربتها ، ولعل هذا هو السبب الذى دفع الآريوسيين إلى اضطهاد هؤلاء الرهبان ، عندما سنحت لهم الفرصة (٢٣) .

وجاءت هذه الفرصة فى عهد البابا بطرس الثانى ، البطريك الواحد والعشرين من بطاركة الكرسي السكندرى ، وهو الذى



خلف القديس أثناسيوس على الكرسي ؛ ذلك أن الامبراطور فالنس ، الذى كان آريوسيا ، والذى أحفظه انتخاب المسيحيين الأثناسيوسيين — أى الأرثوذكس — لهذا البطريرك دون الرجوع اليه ، فى إحدى اتجاهاتهم للتحرر من سلطان الإمبراطورية البيزنطية ، رأى الامبراطور فالنس أن يمكن أحد أتباع المذهب الأريوسى ، وهو لوكيوس الأسقف البيزنطى الأصل ، من الحصول على كرسي الاسكندرية وتدعيم المذهب الأريوسى فى مصر ، ليقضى بذلك على المسيحية الأصلية ، باعتبارها عاملاً من عوامل مقاومة الاستعمار البيزنطى لمصر . وعلى هذا أصدر هذا الامبراطور أمره إلى واليه بالاسكندرية بمهاجمة كنيسة مارخيوناس ( ربما تكون كنيسة مرقس ) التى تعود البطريرك — الأنبا بطرس الثانى — الصلاة بها . غير أن البطريرك عرف بهذا الأمر مقدماً ففر إلى روما ، وتمهد بذلك السبيل لتعيين لوكيوس الأسقف الأريوس بطريكا على كرسي الكرازة المرقسية ، ودخل هذا الأسقف الاسكندرية دخول الظافر يحيط به جمهرة من الأريوسيين ، وتأييده السلطة الزمنية ، ولم يكذب يجلس على الكرسي البطريركى حتى بدأ باضطهاد الأثناسيوسيين ، وساعده على ذلك ، التأييد الدائم من الامبراطور فالنس الذى أصدر منشوراً سنة ٣٧٤ م وقرر فيه ضرورة تقديم الرهبان أنفسهم للخدمة العسكرية ، كما قرر معاقبة الممتنعين منهم بأقسى أنواع العقوبات (٢٤) .

ولا يسع الباحث إلا النظر إلى هذا المنشور من ناحيتين ؛ الأولى أن مبعثه هو أن الامبراطور أصبح يخشى على سلطانه

من هذه القوة الضخمة المتحدة من الرهبان ، التي أصبحت تمثل  
عنصراً ثورياً قومياً ، ربما يؤدي إلى القضاء على نفوذه في مصر ؛  
أما السبب الثاني لاصدار هذا المنشور ، فإنه يرجع إلى تأثير  
الحالة الاقتصادية وخاصة الزراعة في مصر ، نظراً لازدياد عدد  
الرهبان في صحارى مصر وقفارها حتى أن مساحات كبيرة من  
الأرض تركت بغير زراعة ، في وقت اعتمدت الدولة البيزنطية  
فيه على محصول القمح ، الذى يرد إليها من مصر ، فأراد بذلك  
أن يعيد الرهبان للعمل المدني بعد نهاية الخدمة العسكرية ،  
ولا شك أن السبب الأول هو الأكثر وجاهة .

والخلاصة أن لوكيوس الآريوسى انتهر هذه الفرصة ليصب  
جام غضبه على الأديرة والرهبان ، فسار بنفسه الى وادى النطرون  
الذى كان يمثل معقلاً من معازل المسيحية الاثناسيوسية تؤيده  
فرقة من الجنود الامبراطورية ، الذين وضعهم الامبراطور تحت  
قيادته . وتذكر المصادر أن تعداد هذه الحملة بلغ نحو ثلاثة  
آلاف جندى ، وأعلن لوكيوس أن غرض هذه الحملة هو إجبار  
الرهبان الأقوياء من الرهبان على الخدمة العسكرية ، غير أنه كان  
يرمى في نفس الوقت إلى إدخال مبادئ آريوس بالقوة بين  
هؤلاء الرهبان ، ليصبح إذعانهم وإخلاصهم كله للدولة المستعمرة<sup>(٢٦)</sup>  
ولما رأى لوكيوس أن الرهبان يدافعون عن أنفسهم وأثناسيوسيتهم  
دفاعاً مستميتاً ، وأنه لا فائدة من إراقة الدماء ، أشار بالقبض  
على زعماء الرهبان ، ليسهل عليه الانتصار على جماعات الرهبان

بعد إبعاد قياداتهم عنهم ، فقبض على القديسين مكاريوس الاسكندري ومكاريوس المصرى (٢٧) .

وبسرعة تقرر نفي القديسين مكاريوس الاسكندري وسميه المصرى إلى جزيره فيله في الصعيد الأعلى ، وهى جزيرة ظلت وقتذاك على وثبيتها . وقد ذكرت المصادر قصة عن أثر وجود القديسين فى هذه الجزيرة فقالت أنه ماكاد القديسان يصلان إلى هذه الجزيرة حتى اندفعت ابنة كاهن الجزيرة الوثنى - ويبدو أنه كان بها روح نجس - نحو القديسين صارخة فى وجههما قائلة : لماذا أتيتما إلينا ؟ هل تودان اخراجنا من هنا ؟ ؟ اتنا ظننا أننا فى مأمن منكما فى هذا المكان الذى لا يعرفه أحد ، نعيش فيه آمنين باقى الأيام ، فلا نحن نؤذى أحداً ولا نود أن يؤذينا أحد ، فإذا كانت أنظاركما تطمع فى هذه الجزيرة فهنيئاً لكما بها ، اذ لا مقدرة لنا على مقاومتكما . وبعد أن فاهت الصبية بهذه العبارات سقطت على الأرض مغشىاً عليها ، فتقدم إليها أحد الرئيسين وعالجها بالصلاة . ولما شفيت الابنة - كما ورد فى الرواية نتيجة صلاة القديس - اعتنق سكان الجزيرة الديانة المسيحية (٢٨) . والخلاصة أن وجود القديسين فى هذه الجزيرة صار سبباً من أسباب انتشار المسيحية فى هذه البقعة البعيدة . وتشير نفس المصادر أن لوكيوس حين بلغه خبر نجاح هذين الرئيسين ، خشى على نفسه أن يودى هذا النجاح الى ثورة ضده فى هذا المكان البعيد ؛ فأصدر أمره بإعادتهما الى صوامعهما ، وتم هذا حوالى سنة ٣٧٧ م ، واحتفل رهبان وادى النطرون

بعودة زعيمهم احتفالاً رائعاً ، وذلك في ١٣ برمهات سنة ٥٣  
للسهداء (٢٩) .

غير أن هذا الاضطهاد الذي شنه لوكيوس الآريوسى على  
رهبان وادى النطرون ، أدى من ناحية أخرى ، إلى نتيجة هامة ،  
وهى ازدياد عدد المسيحيين الأثناسيوسيين في بلاد الشام ؛ ذلك  
أنه من بين من قبض عليهم في هذا الاضطهاد بعض الرحالين  
الغربيين الذين تصادف وجودهم في وادى النطرون ؛ ومن هؤلاء  
روفينوس والراهبة ميلانيا (٣٠) . وهؤلاء تقرر إبعادهم إلى فلسطين ،  
وتبعهم إلى هناك جمع غفير من الرهبان ، وهناك بنت ميلانيا أديرة  
وصوامع للرهبان ، وفتحت أبواب أديرتها للفارين من مصر  
والقادمين إليها في فلسطين (٣١) . وكانت إقامة هؤلاء الرهبان  
الأثناسيوسيين في بلاد الشام سبباً في كراهية غالبية الناس هناك  
للأريوسية وحقدهم على الأريوسيين ، ومدعاة لوقوفهم على  
الآيمان الأرثوذكسى .

ومهما يكن من أمر فإن الحال تغير بعد وفاة الإمبراطور  
فالنس ، حتى أن جماعات الرهبان في وادى النطرون عاشت في  
هدوء حتى سنة ٢٨٥ م وذلك لضعف شأن الأريوسيين بعد وفاة  
فالنس ومساعدة الأباطرة للأثناسيوسيين مساعدة فعالة أدت إلى  
توطيد دعائم الأثناسيوسية في مصر . غير أنه مما عكر صفو  
الحياة الرهبانية سنة ٢٨٥ م هو قيام أحد الرهبان المصريين في  
النطرون واسمه هيراقس Hierax (٣٢) ، ومناداته بآراء مخالفة  
للتعاليم المسيحية ، ومن هذه الآراء التى اعتبرت خطيرة ، مناداته

بأن الزواج خطيئة لا تغتفر وأنه ليس هناك قيامة للأجساد ،  
ولكن الأرواح هي التي تبعث فقط . واعتمد في رأيه هذا على  
ما ورد في رسالة بولس الرسول إلى العبرانيين عن ملاشصادق  
الكاهن في وقت سيدنا ابراهيم وأنه « بلا أب بلا أم بلا نسب  
بلا بداية أيام أو نهاية حياة » واعتبر ملاشصادق هذا روحاً  
رمزياً ونفى وجوده المادى .

وأثرت هذه التعاليم تأثيراً كبيراً على حياة بعض النساك  
البسطاء فانقادوا لها ، حتى خشى البابا ثيوفيلس البطريك الثالث  
والعشرون - حين بلغه الأمر - عاقبة انتشار هذه الآراء .  
فسارع بإصدار أمره إلى القديس مكاريوس الكبير ليعقد مجمعاً  
مكانياً لبحث هذه المشكلة . وشكل هذا المجمع من بعض شيوخ  
البرية الذين استعرضوا ما جاء في الإصحاح السابع من رسالة  
بولس الرسول إلى العبرانيين وهو قوله « لأن ملكى صادق  
هذا ملك ساليم كاهن الله العلى ، الذى استقبل ابراهيم راجعاً من  
كسرة الملوك وباركه ، الذى قسم له ابراهيم عشراً من كل شيء ،  
الترجم أولاً ملك البر ، ثم أيضاً ملك ساليم أى ملك السلام ،  
بلا أب بلا أم بلا نسب لابتداء أيام له ، ولا نهاية حياة بل  
هو مشبه بابن الله هذا يبقى كاهناً إلى الابد ، ثم أنظروا ما  
أعظم هذا الذى أعطاه ابراهيم رئيس الآباء عشراً أيضاً من رؤس  
الغنائم ، وأما الذين هم من بنى لاوى الذين يأخذون الكهنوت  
فلهم وصية أن يبشروا الشعب بمقتضى الناموس ، أى أخوتهم مع  
أنهم قد خرجوا من صلب ابراهيم ولكن الذى ليس له نسب منهم



قد عشر ابراهيم وبارك الذى له المواعيد وبدون كل مشاجرة الأصغر يبارك من الأكبر . . . . (٣٣) . واتفق الجمع إلى تفسير مشكلة ملاشيسادق بأن تاريخه معروف وأنه من أصل بشرى وأن والديه معروفان ، فأبوه هيراقلاس وأمه أستريا ، وكانا وثنيين ولكن ملاشيسادق تحول إلى عبادة الله الحقيقي ، ولما رأى أن والديه لم يمتنعوا عن تقديم الذبائح إلى الكواكب دعا الله أن يبيدهم ، ففتحت الأرض فاهما وابتلعت عائلته ، وتركته ، بلا أب بلا أم ، . وعاش ملاشيسادق سبع سنوات بعد هذه الحادثة في القفار ، حتى استدعاه سيدنا ابراهيم ليصبح كاهناً لله العلى (٣٤) . وهكذا استطاع البطريك ثيوفيلس أن يقضى على هذه الهرطقة ، وهو فى عاصمة البلاد . ولم تكلفه هذه المشكلة سوى إصدار أمره إلى زعيم من زعماء الرهبان لدحضها والقضاء عليها فى مهدها (٣٥) .

ومنذ ذلك الحين أصبح رهبان وادى النظرون فى نظر بطريك الاسكندرية جيشاً على أهبة الاستعداد للدفاع عن هذا البطريك أو عن مبادئه ، وأدى هذا إلى زيادة سلطة بابا الاسكندرية ، وخاصة بعد أن ارتقى العرش الإمبراطورى أباطرة على المذهب الاثناسيوسى أو الموالين له ، وظهر أثر هذا الجيش حينما حصل البابا ثيوفيلس من الإمبراطور تاودسيوس الأول على قرار بالاستيلاء على معبد باكوس Bacchus لبناء كنيسة فى مكانه (٣٦) .

واتخذ البطريك ثيوفيلس من هذا القرار وسيلة لمحاربة



الوثنية في مصر ، واستخدم في هذا الشأن جيش الرهبان ، الذى تكونت غالبيته من رهبان وادى التطرون . ويبدو أن الانبا ثيوفيلس وجد أن هذه فرصة ذهبية لنشر المسيحية فى كل أرجاء مصر ، والقضاء على آخر معاقل الوثنية ؛ فسارت عوامل الخراب فى هياكل الوثنية سير النار فى الهشيم ، فلم يبق حجر على حجر من معابد سيرايبس إلا ونقض (٢٧) ، وكانت هذه المعابد معدودة من أجل الأعمال الهندسية فى مدينة الاسكندرية وغيرها من المدن ، فلا عجب أن ثار الوثنيون للدفاع عن دينهم وراثهم .

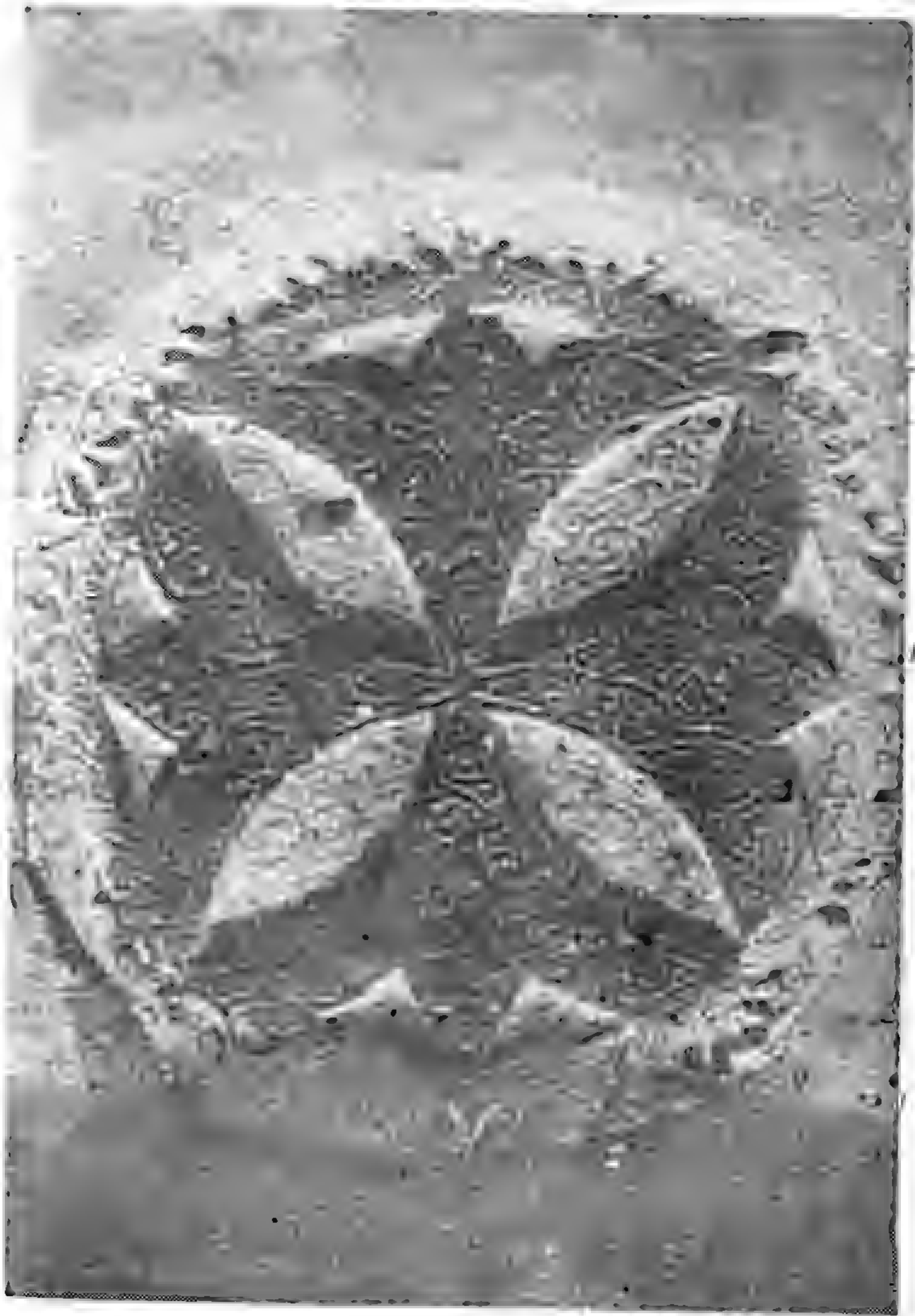
ذلك أن الوثنيين لم يقفوا مكتوفى الأيدي أمام هذا الاضطهاد الإمبراطورى والمسيحى ، فاختاروا أولمبيوس رئيس كهنة هيكل سيرايبس قائداً لهم ، واحتشد جمع غفير منهم فى ساحة معبد سيرايبس ، وأخذوا يدافعون عن أنفسهم ويصدون هجمات المسيحيين ، الذين انضموا لجيش الرهبان ، من هذا الهيكل الذى بنى على صعيد من الأرض على شكل بديع ، وفى وسطه ردهة واسعة ، وكانت جدرانه سميكه مبنية على شكل هندسى دقيق تعلوها طبقة من النحاس وتمر تحتها سراديب . وانقسم المعبد من الداخل إلى حجرات تحتس بعضها بالكهنة وبعضها بالمصلين وبعضها بالضيوف ، وفى إحدى جهاته مكان هائل أعد للمكتبه الكبرى ، وفى هذه المكتبه اختبأ وقتذاك عدد من الوثنيين ، وانتظروا حتى تجمع عدد كبير من المسيحيين ، وهنا خرجوا وهجموا عليهم وأدخلوهم إلى المعبد ، حيث اضطروهم لأن يذبحوا

للأوثان (٣٨) . ولما كان والى الاسكندرية الوثني لا يلم بأمر قرار الإمبراطور فانه حاول الهجوم على المسيحيين ، غير أنه أسقط في يده عندما عرض عليه قرار الإمبراطور . وازداد خوف الوثنيين ، حين قرأه الوالى على مسامعهم ، حتى أنهم تركوا هيكل سيرايس ، وفروا هاربين . فدخل البابا ثيوفيلس ومن ورائه جيش الرهبان والمسيحيين هيكل سيرايس . وتذكر قصة احتلال هيكل سيرايس ، أن المسيحيين حين دخلوا الهيكل هالهم تمثال الإله سيرايس وهو جالس القرفصاء ويداه ممدوتان في عرض المكان ؛ حتى أن ضخامته ومنظره وهو مرصع بالأحجار الكريمة أفزعا القوم الذين خشوا على أنفسهم من الاقدام على هدمه ، لولا أن البابا ثيوفيلس أسرع وأمر واحداً من الواقنين من حاملي المعاول والفؤوس أن يضرب التمثال الضربة القاضية (٣٩) ، فرفع الرجل يده وهوى بها على رأس التمثال ، وبعد أن ثنى الضرب ، هوت رأس التمثال ، ولشدة دهشه الجمهور الواقف عندما رأى رهطاً من الفيران والجردان تخرج من التمثال مذعورة ، ولم يك طويلاً حتى درست تلك المباني الشاهقة على حين بقيت أسوارها قائمة ليبنى داخلها بطريركية لإقامة البطريك الاتاسيوسى (٤٠) .

ولسقوط معبد سيرايس بالاسكندرية نتائج بعيدة الأثر ، فلم يبق بعده أثر لأكثر المعابد الوثنية بالاسكندرية والأقاليم ، حيث هاجمها جمهور المسيحيين ، وحطموا ما بها من تماثيل وصور قديمة ، وتبع هذا دخول الكثيرين من المصريين في

المسيحية . ويقف المؤرخون موقفين متناقضين من مسألة إسهام الرهبان في القضاء على معبد سيرايس ؛ فعلى حين يرى البعض أن هذه الحركة اتسمت بالقسوة من جانب الرهبان والمسيحيين في الوقت الذي كان ينتظر من الرهبان الابتعاد عن هذه المعاملة مع أعداء المسيحية ، نقول أنه على حين يرى البعض هذا ، يرى البعض الآخر أن هذه الحركة كانت من الزم الأمور بل كانت عملاً حاسماً اقتضته الظروف للقضاء على الوثنية في مصر بعد أن أصبحت آلهة الوثنية من صنع الدولة الرومانية ، وطالما اتخذها الرومان وسيلة للقضاء على الروح القومية في مصر . ونحن نرى أن الوثنية في مصر وقتذاك كانت تمثل مظهراً من مظاهر الاستعمار الروماني فعلاً ، فلا أقل من أن تسهم الكنيسة بهذا الجهد في إزالة آثار الاستعمار ورموزه ، لتبني على أنقاضها حياة جديدة ، قوامها الحرية وأساسها وحدة الشعب في دين واحد ، نقل الشعب كله - كما ترى الديانة المسيحية - من عبودية الشيطان إلى حرية مجد أولاد الله .

وبعد هذا الانتصار الساحق الذي أحرزه هذا البطريك بجيشه من الرهبان رأى البابا أن يكافئ بعض آباء رهبان وادى النطرون بترقيتهم إلى رتب إكليروسية فرفع ديسقورس أحد الأخوة الطويلي القامة إلى رتبة الأسقفية ، وأراد تعيين شقيقه يوزيب ويوثيموس ، قسيسين في كنيسة الاسكندرية ولكنهما اعتذرا . ولم تقف جهود الرهبان عند هذا الحد ، بل أنهم ساهموا بنشاط وافر في تحويل بعض الوثنيين إلى المسيحية ، لا عن



صليب مفتح يوجد على جدران معظم أديرة وادي النطرون

طريق القسوة أو العظات الكلامية ، وإنما بسلوكهم الذى أصبح عظة صامته لهؤلاء الوثنيين ، فهذا أحد الكهنة الوثنيين يعجب بسلوك القديس مكاريوس الكبير وتساعده ، فيطلب منه إرشاده لاعتناق المسيحية ؛ وهؤلاء اللصوص الذين هاجموا قلابة القديس مكاريوس الاسكندري ، فيعطيه كل ما أرادوه ، بما دفعهم إلى الإعجاب بتساعده الفائق حتى رغب بعضهم أن يصبحوا رهباناً (٤١).

غير أن ثمة مشكلة أخرى عاودت الظهور في عهد البطريك الأنبا ثيوفيلس نفسه ، وهى مشكلة الهرطقة بين الرهبان أنفسهم؛ وذلك أن رهبان وادى النظرون انقسموا فريقين حيال صفات الله ، أما الفريق الأول وهو من رهبان الإسقيط ، فانه اعتبر مؤلفات أوريجانوس أصلاً لكل هرطقة ، وساد بينهم الاعتقاد بأن الله على صورة البشر ومثالهم كما ورد في سفر التكوين وما ورد في الإنجيل عن عين وأذن ويد وأصبع الله (٤٢) . ( نقشتكم على كفة يدي ، من يمسكم يمس حدقة عيني ) .. وعلى نقيض هذا الفريق وجد فريق آخر من بعض رهبان نتريا وبعض رهبان سليا ، اعتنق آراء أوريجانوس ، واعتبر كل هذه التعبيرات رمزية ، وأن الله كائن روحى ليس له شكل الجسم البشرى ، وليس له أطراف ، أو عواطف بشرية ، أى أنه ليست له هذه الحدود البشرية ، وتزعم هذا الفريق الثانى ، على قلة عدد رهبانه ، الرهبان المعروفون بالاخوة الطوال (٤٣) ، وايفاجريوس الكبادوكى الذى عاش في سليا (٤٤) .

ويبدو أن البابا ثيوفيلس في بداية رئاسته لم يكن معارضاً

« للأورييجانوسية ، ( أى آراء أورييجانوس ) ، حتى أن كثيرين من الاغريق وغيرهم ممن تأثروا بالفلسفة اليونانية وفدوا على وادى النطرون طالبين الرهبانية »<sup>(٥)</sup> ، وبعد أن قرأوا كتب أورييجانوس اعتقوا أكثر آراءه ، ثم حملوا هذه الآراء معهم ، لينشروها فى فلسطين ، ومن هؤلاء روفينوس والراهبتان ميلانيا وبولا . غير أن بعضاً من هذه الآراء أثارت الانبا يوحنا أسقف أورشليم المصرى المولد ، فعارضها معارضة سافرة ، وانضم اليه جيروم . وحدث بين الفريقين نضال عنيف دعا الاسقف يوحنا إلى طلب تدخل البابا ثيوفيلس الذى أرسل اليه الراهب ايسذور ، صاحب الضيافة ، والذى كان أحد رهبان قريا ، ثم أصبح مديراً للمستشفى التابع للبطريركية ، مع عليه بأنه من المعروفين بمناصرتهم للآراء الاورييجانوسية ، فلم يفعل ايسذور شيئاً لايقاف تيار التعاليم الاورييجانوسية ، وعندما عاد الاسقف يوحنا استصراخ الانبا ثيوفيلس ، غض الأخير الطرف عنه ، فلم يفعل شيئاً .

غير أن عوامل مؤقتة جدت على موقف الانبا ثيوفيلس ، وجعلته ينقلب إلى مضطهد للأورييجانوسية ، ومن هذه العوامل تخصمه مع الراهب ايسذور صاحب الضيافة - وهو من المعروفين بمناصرتهم لآراء أورييجانوس كما سبق القول ؛ وذلك عندما حضرت إلى ايسذور إحدى الأرامل ، وقدمت اليه ألف قطعة من ذهب ليصرفها فى شراء ملابس للنساء الاسكندرية الفقراء ، واشترطت عليه ألا يعطى البطريك من هذا المبلغ شيئاً ، خشية



إنفاقه على البناء الذى أولع به البطريك ، ولكن الأنبا ثيوفيلس علم بالأمر وأرسل إلى إيسذور يطلب جزءاً من المبلغ ، فرفض إيسذور أن يحنث بعهده مع الأرملة ، مما أحفظ قلب البطريك عليه ، فهرب إلى وادى النطرون ليضمن لنفسه الأمان من عقاب البطريك . (٤٦)

ومن العوامل الأخرى التى أدت إلى انقلاب ثيوفيلس إلى معاد للاوريجانوسية أن أكثر رهبان وادى النطرون لم يميلوا إلى تفسير آيات الإنجيل حسب ما ارتآه أوريجانوس ، وذلك لانتشار آراء تقول أن آريوس المبتدع أخذ رأيه فى طبيعة المسيح عن أوريجانوس ، ومن ثم زادت الكراهية لتعاليم أوريجانوس فى القرن الرابع ، حتى أن الأنبا باخوميوس أصدر أمره بأن يلقى الديرىون جميع ما لديهم من كتب أوريجانوس فى النيل لتحميها المياه ، وقال : لولا أن بها اسم الله لاحترقها . (٤٧) ومن هنا بدأ ثيوفيلس يخشى على نفسه إن هو فقد صداقة هذا الجيش الداخر من رهبان وادى النطرون بل وغيرهم من رهبان مصر وديرىها .

غير أن الموقف تأزم فجأة أمام ثيوفيلس سنة ٢٩٩ م وذلك حينما أصدر رسالة عيد القيامة لهذه السنة ، وبعث بها إلى سائر الاسقفيات والرهبان والديرىين فى سائر الأقاليم بمصر . فلما وصلت هذه الرسالة إلى رهبان وادى النطرون ، سببت إحدى العبارات الواردة بها غيظ وحنق الجماعة الانثروبومورفيه Anthropomorphists المعادية لفلسفة أوريجانوس (٤٨) ، وهى

الجماعة التي اعتبرت الله على صورة البشر ومثله في هذا المعنى الحرفي ، ومثلت هذه الجماعة كما أشرنا أغلب رهبان رادى النطرون وخاصة رهبان الإسقيط . أما هذه العبارة فهي قول الأنبا ثيوفيلس : أن الله روح لا يدركه الفهم ، وهو أعلى من أن تكون أوصافه شبيهة بإنسان مهما عظم شأنه وأن الله لا يجزأ أو يحد أو يحصر كما هو شأن الأدبيين ، (٤٩) . ويبدو أن ثيوفيلس أراد بإيراد هذه العبارة أن يختبر مدى أثرها على هذه الجماعة . والخلاصة أن الرهبان من أعداء آراء أوريجانوس حين قرأوا هذه الرسالة ، خنقوا وقاموا على رأس جيش كبير منهم ترك وادى النطرون واجتاز الصحراء حتى وصل إلى البطركية بالاسكندرية ، وهناك احتشدوا ، وأخذوا يصيحون ويتوعدون البطريك بالويل والثبور وعظائم الأمور إن لم يعلن سحب كلامه والعدول عن آرائه الهرطوقية . (٥٠)

أما البطريك ، فإن الحيرة ملكت عليه ، واضطرب حين رأى نفسه وحيداً أمام هؤلاء الرهبان الناقمين ، ولم يجد الأنبا ثيوفيلس حيلة سوى أن يتملقهم (٥١) ، فناداهم من شرفة قصره قائلاً : إتنى إذ رأيت وجوهكم أشعر كأتنى نظرت الله وجهاً لوجه ، لأنكم على صورته ومثاله ، (٥٢) ، غير أن هذا التلق لم يكن ليسكتهم أو يوقنهم عند حدهم ، بل صاح بعضهم طالبين من البطريك ثيوفيلس أن يعلن صراحة حرمان أوريجانوس ، زاعمين أن البدعة التي ذكرها في رسالته إقتبسها من آراء أوريجانوس المحروم والمقطوع من فم البطريك ديمتريوس الكرام ،

ولم يرضوا العودة من أمام الدار البطيركية إلا بعد أن وعدهم البطيريك بإجابة ملتزم وحرمان أوريجانوس (٥٣) .

أما الأخوة الطويلو القامة ، المعروفون بمناصرتهم لنسفة أوريجانوس ، فانهم أنكروا من تصرفات هذا البطيريك ، وعادوا راجعين إلى وادى النطرون دون أن يحدثوا البطيريك في هذا الموقف . ووجد الانبا ثيوفيلس نفسه في موقف لا يحسد عليه ، إذ أنه بهذا أغضب الفريقين . وبدلاً من أن يحاول إصلاح الأمور بعقد مجمع ينتهى فيه الطرفان إلى قرار واضح مفهوم في هذا الأمر ، حاول أن يسترضى الجماعة الاوريجانوسية من رهبان وادى النطرون فعرض على أكبر زعمائها ، وهو الراهب امونيوس ، أن يرقيه إلى رتبة الاسقفية ؛ غير أن الراهب رفض عرض البطيريك . وحين حاول البطيريك تنفيذ رغبته بالقوة قطع امونيوس أذنه اليمنى ، وهدد بقطع لسانه ، إن أراد البطيريك نقله بالقوة من قلايته في وادى النطرون إلى وظيفة الاسقفية المزمع ترقيته لها . (٥٤)

ورأى ثيوفيلس أنه لا مندوحة من أن ينضم إلى رأى الجماعة الكبيرة في وادى النطرون ، وفي أوائل سنة ٤٠٠ م شكل مجعاً شجب فيه مبدأ أوريجانوس وسفه تعاليمه ، وذلك إتماماً لوعده السابق لهذه الجماعة الثائرة التى أتت اليه بالاسكندرية . ولم يكتف البطيريك بهذا بل أنه كتب فى رسالة عيد القيامة للسنة التالية ضد أوريجانوس وآرائه وفند أخطائه ، وفى نهاية الرسالة حكم عليه بأنه هرطوقى مبتدع .

ولاذ استفحل الخلاف في نفس السنة بين البطريرك ثيوفيلس وبين الراهب إيسذور ، صاحب الضيافة ، الذي هرب إلى وادي النطرون ، فان ثيوفيلس خشى أن يؤدي وجود إيسذور هناك إلى ثورة أنصار أوريجانوس ، ولذلك فانه أصدر منشوراً رعوياً إلى سائر أساقفة الابروشيات ورؤساء الأديرة وجماعات الرهبان بطرد وحرمان جميع الرهبان الذين يذهبون مذهب أوريجانوس ، أو بما يشبه قوله . (٥٥)

ولما لم يقف أمونيوس مكتوف اليدين أمام هذا البابا ، الذي جرفه تيار الرهبان الاثروبومورفين ، بل جاء إلى الاسكندرية على رأس وفد من الرهبان ليحتج على البطريرك على عمله هذا ، واعتبارهم متبدعين ، لا شيء ، إلا لأنهم رفضوا فهم الإنجيل فهماً حرفياً كما فهمه أغلب الرهبان .

وعاد القلق يساور ثيوفيلس حين حضر هؤلاء الرهبان إلى الاسكندرية ، غير أنه لما كان يهاب سطوة الجماعة الأخرى ، فانه قرر أن يضع حداً لهذه الاضطرابات واضطر أن يمسأ إلى الجماعة الكبيرة العدد ، فلطم أمونيوس على خده ، ودعاه مبتدعاً وحرمه ، فاضطر أمونيوس أن يعود قافلاً إلى وادي النطرون مع من جاء معه من رهبان قليلي العدد ، والحزن يملأ قلوبهم والحق يدفعهم إلى انتهاز الفرص ، للإيقاع بالبطريرك ، الذي عدوه من ذوي الرأيين (٥٦) .

أما ثيوفيلس فانه زيادة في الحيلة لنفسه مما عسى أن يحدث من أمور مخلة بسلطانه ، أسرع إلى قترية حيث عقد مجمعاً مكانياً

دعى اليه الكثيرين من أساقفته ، وفيه قرأت بعض كتب أوريجانوس ودارت بين الجميع مناقشة حول ما جاء فيها ثم انتهى المجمع إلى قراره الجديد بجرمان وطرده الرهبان الاوريجانوسيين من المجمع الرهبانية ، وعلى رأسهم الاخوة الطويلو القامة . (٥٧) غير أن هؤلاء رفضوا الاذعان لقرار المجمع فاستعان ثيوفيلس بالسلطة الزمنية لتنفيذ قراره . وبدأ ذلك بأن سعى لدى الامبراطور أركاديوس حتى استصدر منه منشوراً بطرده أتباع المذهب الاوريجانوسى من مصر . وما أن وصل هذا المنشور إلى الاسكندرية ، حتى قام الوالى على رأس قوة عسكرية لمهاجمة رهبان نتريا الذين عصوا أمر البطريك ، بل أن البابا ثيوفيلس حضر مع القوة المهاجمة ، ليوضح قوته ، ومدى تأثيره على الامبراطور . (٥٨) ومر الجيش الرومانى فى طريقه إلى نتريا على هرموبوليس بارفا ( دمنهور الحالية ) وطرده أسقفها ديسقورس المعتق لمبادئ أوريجانوس ، فهرب إلى نتريا . وسار الجيش حتى وصل إلى نتريا فى إحدى الليالى . وعندما سمع الرهبان سنابك الخيول ترن فى الفضاء ، هاجوا وذعروا ، وخاصة لما علموا أن ثيوفيلس جاء ومعه فرقة رومانية ، لتلقى القبض على أتباع أوريجانوس . وهرع ثلاثة من الاخوة الطوال إلى الاختباء فى بئر عميقة ، وعمد بعض الرهبان إلى الرابع نخبأوه فى أحد أركان الكنيسة ؛ غير أن بعض الأحباش المرافقين للبطريك أخرجوه بالقوة وأوسعوه ضرباً . وهجم الجنود على صوامع الرهبان الذين عرفوا بمعاداتهم للبطريك فنهبوا ، وأضرموا فيها النيران وأحرقوا كتب أوريجانوس

وتسبب هذا الحادث في موت بعض الرهبان حرقاً .  
غير أن مثل هذا الصراع يدفعنا إلى الاعتقاد بأن الناحية  
الشكلية في الخلاف المذهبي أو في الخلاف على بعض تفاسير  
الكتاب المقدس لم تعد أساساً لكل هذا الصراع ، بل أن  
جذوره أوضحت رغبة جامعة من جانب البطريرك ثيوفيلس في  
عقاب الرهبان المخالفين ، وإظهار قوته بعد انتصاره الساحق على  
الوثنية ، واعتراف الامبراطور بسلطة البابا الاثناسيوس وشرعيته  
مذهبيه . . وما يبين صحة هذا الاعتقاد أن البابا ثيوفيلس عاود  
التفكير في خطورة اتجاهه على الكنيسة نفسها ، بل أنه بدا كما  
لم يكن في مخيلته أن يتطور الأمر إلى هذا الحد ، ولذا أسرع  
فأمر الجند أن يكفوا عن استعمال القوة ، ويردوا سيوفهم  
إلى أغنادها . (٥٩)

ثم دعا ثيوفيلس إلى مجمع آخر ، لكي يبرر ما قام به  
من أعمال لم تكن تليق بمركز بابا الاسكندرية الاثناسيوس ،  
وخاصة في مسألة علاقته بالرهبان . وفي هذا المجمع أعاد سرد  
تفسيرات آيات الإنجيل التي سببت النزاع ، ثم قرأ عليهم بعض  
فقرات كتاب أوريجانوس ، واستنتج منها ما توهمه من البدع ،  
ثم رغب إلى الرهبان أن يقتنعوا بآرائه حسماً للنزاع ، ثم ختم  
المجمع بقوله : « فلهذا السبب حكم على أوريجانوس وأتباعه (الرهبان)  
بالحرمان فلم يرضخوا لهذا الحكم بل وضعوا يدهم عنوة على  
كنيسة نترية ، وقفلوها في وجوه الاساقفة ورؤساء الاديرة  
وصاروا يسكنون في أيديهم الهراوات مغطاة بسعف النخيل ،



لكي يفاجئوا كل من يقف في طريقهم ، فاضطر الرأي العام  
الارثوذكسى الى وضع حد لهذه القلائل ، وتم الامر على  
ما نريد ونشتهى . . (٦٠)

أما الاخوة الطوال الذين اختبأوا في البئر فلم يمسكتوا بنتريا  
طويلا بعد هذا المجمع ، الذى صادق على قراراته أغلب الرهبان  
بل ساروا الى فلسطين حيث قضوا بعض أيامهم ، ممارسين عمل  
السلال من سعف النخيل ، وهى صناعة تعلموها في مصر ،  
وتبعهم كثيرون من الرهبان الذين ساروا على مذهبهم ، ومن  
هؤلاء إيسذور صاحب الضيافة .

وتعقب ثيوفيلس هؤلاء الرهبان الخارجين عن طاعته بقرارات  
الحرمان ، التى بعث بها الى الاساقفة ورؤساء الأديرة وجماعات  
الرهبان في فلسطين ، حتى أن أكثر المسيحيين هناك نظروا  
اليهم بفتور واحتقار . غير أن هؤلاء الرهبان حين ضاقوا ذرعاً  
بظروفهم وأحوالهم رفعوا شكواهم الى الأنبا يوحنا فم الذهب  
( خريسوستم ) ، بطريرك القسطنطينية آنذاك . ولم يكتفوا  
بمراسلته بل ساروا اليه ، وبعد أن مثلوا بين يديه ، طلبوا منه  
أن يسترضى بطريركهم ليسمح لهم بالعودة الى صوامعهم ، حتى  
يمكنهم الحياة بقية عمرهم هناك في هدوء . (٦١)

غير أن التجاء هؤلاء الرهبان الى الأنبا يوحنا فم الذهب  
رغبة في وساطته لتسوية النزاع ، جاء بغير ما تمنوه من نتائج ،  
وأدى أكثر من هذا الى التخاصم والنزاع بين ثيوفيلس  
وبطريرك القسطنطينية .

ذلك أن يوحنا فم الذهب بعث برسالة إلى البطريرك ثيوفيلس رجاه فيها أن يصفح عن الرهبان بعد هذا التشريد . غير أن الأنبا ثيوفيلس أحفظه ترحيب البطريرك يوحنا بالرهبان ، الذين اعتبرهم الأنبا ثيوفيلس مهرطقين ، وزاد من غيظه ما نقل إليه من أن يوحنا فم الذهب ناولهم من الأسرار المقدسة ، مخالفاً بذلك تعليمات الكنيسة من مقاطعة المحروم . وثار في نفس الأنبا ثيوفيلس نوازع الكراهية القديمة للبطريرك يوحنا ، الذي عينه القصر الإمبراطوري لكرسى القسطنطينية ، بعد أن رفض تعيين إيسذور ، الذي رشحه ثيوفيلس لهذا المنصب ، ورد على يوحنا فم الذهب بخطاب شديد اللهجة عنفه فيه ، وزاد على هذا أنه اتهم الرهبان المذكورين بأنهم سحرة يخاطبون الجن ولهم توابع من العفاريت (١٦٢) .

ومما زاد الطين بلة أن خبر هذا الخطاب وغواه شاع بين عامة القسطنطينية فهاجوا ، وبدأوا يهزأون بهؤلاء الرهبان على قارعة الطريق . ورغم أن أكثر الرهبان استاءوا لهذه النتيجة ، فإن الأخوة الطويلي القائمة نظروا إليها بعين الازدراء وبدأوا يحاربون ثيوفيلس بنفس السلاح الذي حاربهم به . فأعدوا تهمة ضد ثيوفيلس ورفعوها إلى يوحنا فم الذهب ليعقد مجمعا ينظر فيها .

غير أن يوحنا فم الذهب سعى من جانبه مرة أخرى ليحل السلام والوثام محل النزاع والخصام ، رغم هذا الخطاب الشديد اللهجة من ثيوفيلس ، فعاد الكتابة إليه مظهراً أسفه الشديد

لأن خصومه جروا معه على الخطة التي سار عليها معهم ، وأضاف أنه طالما حاول إقناع الرهبان بترك القسطنطينية ، غير أنهم هددوه برفع ظلامتهم إلى الإمبراطور (٦٣) .

ويبدو أن الأنبا ثيوفيلس إزداد حنقاً ، لتدخل هذا البطريك في شؤونه ، لا سيما وأن النضال على أسبقية كرسي الاسكندرية على غيره من الكراسي البابوية كان لا يزال مصدراً لغضب بطريك الاسكندرية (٦٤) ، فكتب إلى يوحنا فم الذهب مرة أخرى خطاباً جاء فيه : « إذا كنت لم تقف على مضمون الدستور الذي وضعه مجمع نيقية القضاى بعدم تدخل أسقف أو بطريك في المسائل التي لا تحصر ضمن دائرة سلطته ، فأرجوك أن تطلع على هذا القانون وتدرسه حتى تريح نفسك من التعرض لى ، وتكف عن الصدام والجدال معى ، أما أنا إذا قضى الزمان على بالمحاكمة ، فسوف يحاكنى أساقفة مصريون ، لأنك أنت ولا غيرك ممن هم بعيدون عنا ، ويقتضى وصولنا إليهم ، أو وصولهم إلينا ، سفر خمسة وسبعين يوماً كاملة » (٦٥) .

وقرأ يوحنا فم الذهب هذا الخطاب بالرضى والإذعان ، وقابل ثورة ثيوفيلس بالسماح والغفران ، غير أنه من ناحية أخرى ، أخذ يسعى جهده لإقناع الرهبان المغضوب عليهم ، بفض مشكلاتهم بالطرق الودية ، وإبطال رفع الدعاوى أمام السلطات الزمنية ، ولكنهم تشددوا واستأنفوا قضيتهم أمام الإمبراطورة يودوكسيا التي كانت متفوقة على نفوذ زوجها الإمبراطور أركاديوس ، وتوسلوا إليها أن تسعى لدى الإمبراطور لسماع

دعواهم ، واستطاعت هذه الإمبراطورة أن تجعل زوجها يصدر أمره باستدعاء ثيوفيلس إلى القسطنطينية ليثقل أمام البطريرك يوحنا فم الذهب ، الذى سيتولى النظر فى القضية وإصدار حكمه فيها (٦٦) .

ولما أن اعتبر هذا الأمر إجحافاً بحقوق الأنبا ثيوفيلس وهضماً لسلطته ، إذ كانت سلطة بابا الإسكندرية فى نظر رعاياه مساوية تمام المساواة لسلطة الإمبراطور ، فإن ثيوفيلس اعتمد على تأييد شعبه ، ورفض أن يسافر إلى القسطنطينية .

والواقع أن الديوان الإمبراطورى لم يكن يهتم آنذاك بالنسبة لمصر ، أكثر من وصول الجزية السنوية من الخنطة (٦٧) ، فلم يعبأ الإمبراطور بمخالفة ثيوفيلس لأمره . ونظرت القضية غيائياً ضد ثيوفيلس وحكم الجمع الذى عرضت عليه القضية بعدم صحة الشكاوى التى وجهت ضد رهبان نتريا ، كما حكم بسجن الخمسة رهبان الذين بعث بهم ثيوفيلس إلى القسطنطينية حاملين ادعاءات البطريرك ثيوفيلس (٦٨) .

وعلى هذا النحو ، ازدادت المشكلة تعقيداً ، إذ ظهر مدى نفوذ كرسى القسطنطينية ، وتغلبه على صاحب كرسى الاسكندرية ، الذى لم يسع صاحبه سوى تحين الفرص للإيقاع بين يوحنا فم الذهب والإمبراطور .

ومن هذا كله يمكن القول أن البابا ثيوفيلس كاد يفقد مركزه بين الكراسى الكنسية نتيجة اصطدامه بيوحنا فم الذهب ، دون أن يقصد يوحنا فم الذهب الإساءة إلى البابا ثيوفيلس ؛

فالمعروف ، أن يوحنا فم الذهب كان على جانب كبير من التقوى وحب السلام ، في الوقت الذي سعى فيه البابا ثيوفيلس إلى إعلاء مركز الكرسي الاسكندري على غيره من الكراسي الكنسية — اعتماداً على ما تقرر في مجمع نيقية — غير أنه لم يلتجئ إلى السياسة والملاينة بل عمد إلى تنفيذ رأيه غير عابئ بما يحدث من نتائج . ولولا ما جد من ظروف لفقد ثيوفيلس شخصيته ولفقدت الكنيسة القبطية معه شخصيتها التي اكتسبتها وقتذاك . وخلاصة هذه الظروف أنه في سنة ٤٠٣ م . ساءت العلاقات بين الإمبراطورة يودكسيا وبين يوحنا فم الذهب ، الذي دأب على نقد الإمبراطورة في عظاته وتلقيه اياهـا بإيزابل الشريرة ، امرأة آخاب ملك اسرائيل . كما أكثر من وعظه على هيروديا المأجنة وقصتها مع يوحنا المعمدان . واعتبرت الإمبراطورة هذه العظات مهينة لشخصيتها ، وتلحق الأذى بكرامتها فاتصلت سرّاً بالأنبا ثيوفيلس ودعته للحضور للقسطنطينية لمحاكمة يوحنا فم الذهب ؛ ويرجع سبب اتصالها بثيوفيلس سرّاً خشيتها من مسيحي القسطنطينية ، الذين أحبوا بطريركهم حباً عميقاً (١٦٩) .

سافر البطريرك ثيوفيلس سنة ٤٠٣ م قاصداً القسطنطينية ، وأشاع قبل سفره اليها أنه ذاهب اليها لخلع يوحنا فم الذهب ، عقاباً له على تدخله . وما أن وصل البطريرك ثيوفيلس الى القسطنطينية حتى استقبله هناك حشد من الأساقفة والكهنة المصريين والأحباش ، غير أن عدم احتفاء كهنة القسطنطينية به ، جعله يتجه فوراً الى خلقيدونية حيث هناك سيرنيوس أسقفها

المصرى الجنس . ومن هناك أرسل يستدعى فم الذهب للشول أمام الجمع . وأحصيت التهم الموجهة ضده ، ومنها اتهامه بتحريض الرهبان على رؤسائهم الروحيين ، وهضم سلطة بعض الأساقفة (٧٠) . غير أنه عندما طلب بعض اليهود من الرهبان لم يكن هناك منهم سوى أمونيوس الذى جىء به الى خلقيدونية (٧١) ، وهو يحتضر بسبب العذاب الذى لاقاه وهو فى شيخوخته ، فلما رآه ثيوفيلس على هذه الحالة ذرفت عيناه بالدموع من شدة التأثر (٧٢) .

وعلى الرغم من أن الصلح تم بين الخصمين اللدودين (البطريك والراهب) . فإن الجمع أنهى جلساته بقرار خلع يوحنا فم الذهب من كرسيه ، ونفيه تحقيقاً لرغبة الإمبراطورة . غير أن الإمبراطور رغم مصادقته على الحكم ، لم يستطع المضى فى تنفيذه لسببين : أولهما ثورة الشعب وتدمير أغلب الجيش ومطالبته بالإبقاء على راعيه ، والثانى حدوث هزة أرضية ادخلت الرعب فى قلبى الإمبراطور اركاديوس وزوجته ، فاعتقدا ان فى هذا إنذاراً من السماء بالانتقام ، لما ارتكبا فى حق هذا البطريك ، فعاد الإمبراطور النظر فى قراره وعفى عن يوحنا وأرجعه إلى كرسيه ، وصار لهذا القرار أثره العميق فى نفس الشعب الذى استقبل بطريكة بالتهليل وساروا به إلى الكنيسة حاملين الشموع ، ومرنين ترانيم الإقتصار .

وهكذا خاب سعى البطريك ثيوفيلس ، واسقط فى يده ، وخشى على نفسه من هياج شعب القسطنطينية ، فعاد لتوجه إلى مقر كرسيه ، عاقداً العزم على انتهاز الفرص التى تجدد لخلع هذا



البطريك الذى ربح برهبان وادى التطرون المحرومين من قم  
رئيسهم الأعلى .

وجاءت الفرصة مرة أخرى حين عادت الإمبراطورة يودكسيا  
وأعلنت غضبها على يوحنا فم الذهب ، ورأت أن تطرد هذا  
البطريك ، الذى لم يكف عن مهاجمتها . وانفقت مع البطريك  
ثيوفيلس على خلعه ، وفى هذه المرة اكتفى ثيوفيلس بإرسال ثلاثة  
أساقفة مصريين لمباشرة رسالة خلف ليوحنا (٧٣) ، الذى نفى  
سنة ٤٠٤ م بإرادة الإمبراطورة إلى مدينة نيقية ثم إلى أرمينيا ،  
ومنها إلى جنوب غرب سيبيريا حيث تليح (٧٤) .

ولا شك أن هذه الحوادث تغرى المؤرخ بالتفكير فى مدى  
ما أدت إليه من نتائج ؛ وهى على كل حال ليست فى صالح  
الكنيسة القبطية ؛ فالذى حدث أن البطريك ثيوفيلس لم يكن موفقاً  
فى علاقته بالبطريك يوحنا فم الذهب ولعل اعتماده على جيش  
الرهبان هو الذى دفع به إلى الانسياق فى تيار الهجوم وهو تيار  
لا يتفق مع المبادئ المسيحية بل أدى إلى سوء العلاقات بين  
كنيسة الاسكندرية والقسطنطينية ، ثم أن البطريك ثيوفيلس اتخذ  
من السلطات الزمنية سنداً له فى تنفيذ مآربه وهو أمر لا تقره  
التعاليم المسيحية ، ولهذا لا عجب أن نرى البطريك كيرلس  
الرابع والعشرين — الذى خلف ثيوفيلس على كرسى الاسكندرية —  
يعدل عن هذا التيار ويخلص الكنيسة من هذا الإنشقاق ، فيسجل  
اسم البطريك يوحنا فم الذهب فى قائمة شهداء الكنيسة القبطية  
الذين تذكرهم فى صلواتها الرسمية .

غير أن النتيجة ذات الأهمية في تاريخ الكنيسة القبطية ، وهي التي نتجت عن تدعيم قوة الرهبان في وادى النطرون وفي غيره من الأماكن الرهبانية لبطريك الاسكندرية ؛ هذه النتيجة وضحت في ظهور سلطات زمنية للبطريك السكندري ، حتى صار يحكم في كثير من أمور الشعب الدنيوية ، إلى جانب رعايتهم الدينية . وبلغت سلطة البطريك درجة أن أصبحت شكوى ولاية الاسكندرية ضد تحدى باباوات الاسكندرية موضع إهمال البلاط الامبراطورى فى القسطنطينية . وظهر هذا واضحاً من تحدى البابا كيرلس الرابع والعشرين ( ٤١٢ — ٤٤٤ م ) لأورستس Oristis والى الاسكندرية ، واستخدمه جيش الرهبان فى طرد اليهود من الاسكندرية<sup>(٧٥)</sup> . غير أنه حين شاعت شائعات اتهم بعض الرهبان بمقتل الفيلسوفة هيباشيا ابنة الفيلسوف Theon التي أشرفت على إدارة المدرسة الأفلاطونية الحديثة ، لم يجد الإمبراطور بداً من الخروج عن صمته فأصدر أمراً إمبراطورياً قضى بعدم تدخل الاكليروس فى المسائل السياسية وتحديد عدد خدام الكنائس<sup>(٧٦)</sup> . على أن النزاع بين باباوات الاسكندرية والاباطرة لم ينته عند هذا الحد . بل ظل نزاعاً مستمراً حتى الفتح العربى لمصر ، وفى هذه المدة التي سبقت الفتح العربى أصبح وادى النطرون مقر الأمان الذى هرع اليه الباباوات السكندريون ، ومنه أداروا دفة كنيستهم ، واتجه المسيحيون اليعاقبة إلى بطريركهم الشرعى ، وخضعوا لأوامره وذانوا له بطاعتهم ، على الرغم من وجود بطاركة ملكانيين — أى بطاركة نصيبهم الاباطرة أنفسهم —

ووضعوا في أيديهم السلطتين الزمنية والدينية ، وكان هؤلاء على مذهب الطبيعتين المخالف لمذهب الكنيسة القبطية الأرثوذكسية (٧٧) على أنه مما يوجب الالتفات في كل هذه الحوادث ، هو إيقاظ الشعور القومي ، إذ أن الخلاص من معابد الوثنيين إلى جانب أنه مسألة دينية ، فهو أيضاً مسألة القضاء على رمز للعبادات البطلمية وعلى أكبر معقل من معقل الفكر الهليني الدخييل ، وما يقال عن فشل الوثنية في مصر يقال عن فشل المدرسة اليونانية القديمة ممثلة في شخص هيباشيا (٧٨) .

وثمة دليل آخر على مساهمة الرهبان في إيقاظ الشعور القومي ، وهو نشاطهم الدائب في القضاء على أصحاب التعاليم الغريبة والهرطقة الذين كان آريوس صنيعه الاستعمار أشدهم خطراً (٧٩) . وهكذا اعتمد الباباوات السكندريون على رهبان وادى النطرون في الجهاد المتواصل للتخلص من سلطان الأباطرة تحت ستار المناقشات البيزنطية في الأمور الدينية .

ولعل أبرز ما أسهم به الرهبان في هذا الصدد ، نسخهم الإنجيل باللغة القبطية بعد أن ترجموا ما لم يترجم منه إلى القبطية ترجمة دقيقة ، وكذلك محاولة نشره بين الناس بزيادة النسخ المكتوبة ، وفي هذا العمل وسيلة من وسائل التخلص من الآثار الغريبة في الكنيسة القبطية ومحاولة نشر آدابها ، وتدعيم القومية القبطية حتى أن القومية الرومانية أو الحضارة البيزنطية لم تستطع رغم تيارها الجارف وقوتها الساحقة ، لم تستطع أن تلحق بها

أدنى ضرر أو أقل تغيير مما جعل للرهبانية أثرها الكبير في هذا الاتجاه القومى .

### رهبانية وادى النطرون والعالم الخارجى :

ولم تقتصر آثار رهبانية وادى النطرون على المسيحية في مصر بل تعدتها الى خارجها ، حيث انتشرت رهبانية من هذا النوع في بعض بلاد الغرب والشرق ، وان اتخذت على أيدي مؤسسيها هناك أشكالاً خاصة حسب ظروف البيئة التي نشأت بها أو نقلت اليها ، وفي هذه الأماكن الجديدة ، أخذ الرهبان على عاتقهم نشر المسيحية ، وحماية مدنية وثقافة تلك العصور من أن تطمسها أيدي المتبربرين .

وأول أثر من آثار هذه الرهبانية في الغرب ، يرجع فيما يبدو الى البابا أثناسيوس ، البطريك العشرين في عداد بطاركة الاسكندرية ، حيث ذهب الى أوربا مرتين ؛ أولها في مدة اقصائه الأولى عن كرسيه بين سنتي ٣٣٥ م ، ٣٣٨ م حيث قضى هذه السنوات في تريف ( على شاطئ نهر الموزل بفرنسا ) وهناك سطر بعضاً من أخبار الرهبان المصريين وخاصة أخبار القديس أنطونيوس<sup>(٨٠)</sup> . ولذلك فإن قيام رهبانية غاليا ( فرنسا ) يرتبط بهذه الحادثة ، إذ أن القديس مارتن ، أسقف مدينة تور ، مارس الحياة الرهبانية على النحو الذي عرفه عن أثناسيوس ، ثم أنه أسس جماعة رهبانية حوالي سنة ٣٦٢ م على مقربة من بواتييه ، وأتبعها بأخرى على مقربة من مدينة تور ، بعد أن صار أسقفاً



واجهة كنيسة دير اليراموس

لها سنة ٣٧٢ م . ويقال أن عدد رهبان الجماعة الأخيرة بلغ نحو ثمانين راهباً ، قضوا حياتهم في صلوات طويلة ، وأصوام قاسية ، وعاشت هذه الجماعة في طراز رهباني جمع بين الانفراد والشركة ، إذ سكنوا كهوفاً وأكواخاً ، ولم يجتمعوا إلا للطعام والصلاة في الكنيسة (٨١) ، وهي صورة مما رأيناه في وادي النطرون وفي غيرها من الأماكن الرهبانية .

على أن رهبانية وادي النطرون والرهبنة الانطونية انعكست صورتها في إقليم بروفانس بجنوب غاليا ، وذلك بعد أن حمل نعلمها إلى هناك يوحنا كاسيان ، الذي زار صحراء نتريا والإسقيط حوالي سنة ٣٨٥ م ومكث في مصر سبع سنوات ، وتركها ليزور فلسطين ثم القسطنطينية حيث رسمه الأنبا يوحنا فم الذهب شماساً ، وأرسله للدفاع عنه أمام أعدائه في روما ، ثم عاد بعد وفاة يوحنا فم الذهب إلى مسقط رأسه حيث رسم قساً (٨٢) . ثم أسس ديرين على مقربة من مرسيليا ، وترك لنا يوحنا كاسيان ذخيرة طيبة سجل فيها مشاهداته وأحاديث من سمعهم من رهبان مصر . فكتب مجموعة « القوانين الديرية » ، De Institutis Coenobiorum في إثني عشر كتيلاً ، تحدث في الأربعة الأولى ؛ عن عادات ورهبان وديري سوريا ومصر ؛ ثم كتب كذلك « محادثات مع الآباء الرهبان » ، Conferences في أربعة وعشرين محادثة ، واختص العشرة الأولى بمحادثاته مع رهبان الإسقيط ، غير أنه مات قبل أن يكمل تسجيل محادثاته . وامتازت كتابات كاسيان بالتبويب والترتيب فكان لها أكبر الأثر في تقليد أهل



- غالباً حياة رهبان مصر ، مع اختلافات طفيفة في الملابس والنظام اليومي ، اقتضتها ظروف المناخ والبيئة التي عاشوا فيها (٨٣) .  
وذهب البابا أثناسيوس للمرة الثانية إلى أوروبا في فترة إقصائه عن كرسيه بين سنتي ٣٤٠ م ، ٣٤٩ م . وفي هذه المرة عمل على نشر النظام الرهباني (٨٤) ، إذ توجه إلى روما بصحبة راهبين من رهبان وادي النطرون ، هما أمونيوس أحد الاخوة الطويلي القامة ، وإيسذور الراهب المشرف على بيت الضيافة (٨٥) .  
وفي روما نشر ثلاثهم أخبار الانبا أنطونيوس وطريقة الحياة الرهبانية في مصر . وأقام اثناسيوس ومن معه من الرهبان في منزل أرملة مسيحية اسمها مارسلا حيث دعا ، في أحاديثه الكثيرة عن الارامل والعداري في مصر ، إلى حياة الرهبانية النسائية . ولهذا لا نعجب أن نرى بيوتاً للراهبات والعداري في روما . وكانت بداية لانتشار أديرة النساء ؛ حين وضعت مارسلا نواة هذه الحياة ، فاجتذبت إليها الكثيرات ومنهن بعض نساء الطبقة الراقية اللاتي بعن حليهن وأمتعتن ، وقدمن أثمنها لمؤسسي الرهبانية ثم انخرطن في هذه الحياة النسكية (٨٦) .

ومن أسس حياة رهبانية في إيطاليا ، الراهب أمبروز الذي أصبح أسقفاً لميلان وشخصية لها نفوذها الذي فاق نفوذ الاباطرة أنفسهم . ويبدو أن رسامة الراهب ايسذور قساً قبل رحيله مع أثناسيوس جعل الرهبانية التي كونها أمبروز تجمع بين الحياة الرهبانية والوظائف الكليروسية إذ جعل من قسيسيه جماعة تعيش حياة نسكية وفق تنظيم رهباني ، وسار على نهجه يوزيب

أسقف فرساي بفرنسا ، في النصف الثاني من القرن الرابع . ولم يكد القرن الرابع الميلادي يشرف على نهايته حتى امتلأت جهات كثيرة من إيطاليا وجزر البحر التيراني بالجماعات الرهبانية (٨٧) .

ومن آثار رهبانية وادي النظرون ، في تاريخ الرهبانية والمسيحية الاولى ، ما جاء على أيدي بعض الرحالين الغربيين الذين زاروا مصر في القرن الرابع الميلادي ليشهدوا عن كتب ، ما سمعوه في بلادهم عن هذه الحياة الرهبانية . ولعل أهم هؤلاء الرحالة المؤرخ بلاديوس Palladius ، الذي ولد في غلاطية حوالي سنة ٣٦٤ م وترهب في فلسطين ، ومكث هناك ثلاث سنوات زار بعدها الإسكندرية سنة ٣٨٧ م وهناك قابل إيسذور الراهب المشرف على بيت الضيافة بالبطريركية (٨٨) ، ويارشاده مارس الحياة الرهبانية المصرية مع راهب اسمه دوروثيوس ، عاش في كهف على مقربة من الإسكندرية . غير أن إعجاب بلاديوس بما سمعه عن رهبان نتريا والإسقيط ، دفعه إلى زيارة الاولى حوالي سنة ٣٦١ م ، ثم انتقل منها إلى سليا بعد قضائه سنة هناك ، وفي سليا عاش حوالي ثمانى سنوات ، نعم في واحدة منها — على حد قوله — بعشرة القديس مكاريوس الاسكندري . ثم زار الإسقيط ، وتحدث مع رهبانه ، ونقل عنهم أحاديثهم وعاداتهم ، ورجع إلى الاسكندرية سنة ٤٠٠ م بعد أن زار بعضاً من الجماعات الرهبانية والاديرة بالوجه القبلي ، ولم تطل إقامته بمصر ، إذ رحل إلى فلسطين ، حيث تعرف بالقديس جيروم ، وأقام معه في أحد الاديرة مدة رحل بعدها إلى القسطنطينية لزيارة يوحنا فم الذهب

ومن سوء حظّه أنه نفى فى فترة اضطهاد قم الذهب . غير أن نفى بلاديوس عاد بالخير على التاريخ ، إذ عكف على إخراج مؤلفه المعروف بالفردوس أو « بستان الرهبان » (٨٩) . وربما أتمه سنة ٤٢٠ م ، وحوى هذا الكتاب الذى تعددت نسخه ، تاريخاً هاماً للرهبانية والديرية فى مصر ، وشخصياتها ونظمها ، وقوانينها ، وأقوال الرهبان ، وأحاديثهم ، ولهذا المؤلف أكبر الأثر فى تعرف العالم المتمدنين آنذاك على ما كان بمصر من نظم وتعاليم رهبانية وديرية . ثم صار له أكبر الأثر على مر العصور فى الحياة الرهبانية السليمة ، حيث درج الرهبان على قراءته ، وفهم معانيه وعقد المناقشات حول ما جاء به من تعاليم .

ومن الرحالين الغربيين الذين أسهموا فى نشر رهبانية وادى النطرون بعد أن تأثروا بها ، روفينوس وجيروم ، والاول كان قسيساً فى أكوليا Aquilia — زار مصر حوالى سنة ٣٧٢ م ، وأمضى حوالى سنتين فى وادى النطرون وكتب تاريخه عن رهبان مصر وهو المعروف بـ *Historia Monachorum In Aegypti* ثم ترك وادى النطرون إلى فلسطين نتيجة إحدى موجات الاضطهاد الاريوسى (٩٠) . أما الثانى ، فاعتبر حلقة من حلقات الاتصال بين الشرق والغرب ، إذ قام بنقل ما عرفه عن نظم باخوميوس حوالى سنة ٤٠٤ م إلى اللاتينية واعتبرها آخر مرحلة منظمة للحياة الرهبانية . كما كتب قانوناً للراهبات ، بعث به إلى الراهبة مرسلاً فى قصرها بروما حيث امتلأ بالعدارى .

وكانت زيارة جيروم لمصر فى أواخر القرن الرابع الميلادى ،

بصحبة الراهبة الرومانية بولا ، ومكث الاثنان مدة في وادى  
النطرون ، ثم تركاه إلى فلسطين ، حيث أسست بولا ديراً من مالها  
الخاص (٩١) .

ونتيجة كل هذه الكتابات ، ظلت الرهبانية والديرية في أوروبا  
متخذة أشكالاً مختلفة ، ولم تستقر على حال حتى اتخذت طابعاً  
ديرية خاصة على يد القديس بندكت ، في القرن السادس الميلادي ،  
بعد أن عاش حياة رهبانية في كهف في Subiaco على بعد  
٤٠ ميلاً من روما ، واجتمع حوله بعض الرهبان ، ثم اعترضهم  
إلى مونت كاسينو سنة ٥٢٠ م ليضع قانونه الجديد ، الذي أصبح  
قانون الديرية في أوروبا كلها وميز فيه بين الديرين والرهبان  
المتوحدين .

ويبدو أن بندكت لم يعجب بما كان في النظم الرهبانية  
المصرية من تنافس بين الرهبان في الحياة النسكية ، فرأى أن ينظم  
جماعته تحت قانون عام مشترك ، قام على تنفيذه رئيس ، ولم يكن  
هذا القانون قاسياً بل كان قانوناً كما قال : « صغيراً للبادئين ،  
A Little Rule For Beginners وينبغي ألا يتبادر إلى الذهن أنه  
لم يكن قانوناً مشتملاً على شيء من الجفاف ، بل أنه أمر بعدم  
مغادرة راهب الدير ديره طيلة حياته إلا بإذن من رئيسه ، كما  
أنه لم يخرج على القواعد الرئيسية للحياة الرهبانية والديرية ، وهي  
الفقر الاختياري ، والتواضع ، والطاعة ثم أنه لم شعث الراهبات  
والعذارى في أديرة خاصة بهن ، نظمت حياتهن وفق قانون كذلك ،  
وأدارت أخته سكولستিকা Scholastica أول واحد منها (٩٢) .

وبلغ من تأثير هذا القانون في مدنية العصور الوسطى في أوروبا أنه أصبح عاملاً قوياً في نشر المسيحية بين المتبربرين في العصور الوسطى . فحيثما انتشر قانون بندكت تغير وجه المجتمع والإقليم تغيراً هاماً ، فاجتثت مساحات كبيرة من الغابات ، وجففت المستنقعات ، وبُنيت المدارس والمستشفيات والملاجيء في داخل الأديرة أو ألحقت بها (٩٣) . وأصبحت الأديرة فضلاً عن هذا مراكز لأعمال التبشير بالمسيحية في البلاد الوثنية ، كما أضحت مجمعات للفنون والعلوم والحرف والصناعات (٩٤) .

والواقع أن القديس بندكت جاء في وقت كانت الرهبانية في فرنسا وإيطاليا تحتضر ؛ بسبب منافسة الرهبان للوصول إلى المثل العليا ؛ وكان هو واحداً من هؤلاء الرهبان الذين نافسوا غيرهم في كهوفهم . غير أنه أنقذ هذه الحياة النسكية مما تهددها ؛ فأزال ذلك البناء المتداعى ؛ ليقيم على أنقاضه بناءً جديداً يلائم الظروف الغريبة ؛ ويتمشى مع القدرات الطبيعية للإنسان ؛ ولعل هذا هو سبب نجاحه ؛ إذ ظلت قوانين بندكت الحجر الأساسى ؛ الذى شيدت عليه النظم الديرية التى أعقبتها بأوروبا (٩٥) .

وثمة تأثير غير مباشر للرهبانية التى أوجدها فى روما البابا أثناسيوس ومن معه من رهبان وادى النطرون ؛ وهو انتقلها الى شمال افريقيا على يد القديس أوغسطين ؛ الذى ترك روما سنة ٣٨٨ م بعد أن عرف النظم الرهبانية هناك ؛ قاصداً Hippo بشمال أفريقيا حيث عين قساً لها . وعندما صار القديس أوغسطين أسقفاً لها سنة ٣٩٦ م أوجد نوعاً من الحياة الرهبانية



بين الإكليروس في أبروشيته ، ثم أوجدها بين النساء عندما جمع عدداً من العذارى ، اللاتي عشن وفق قانون خاص ، كتبه لهن وسماه قانون الرسالة رقم مائتين وإحدى عشر ، (٩٦) ؛ ولم يأت القرن الخامس الميلادي حتى كانت الرهبانية في شمال أفريقيا منتعشة انتعاشاً تاماً بين الجفسين .

وليس هذا هو كل ما أحدثه الرهبان المصريون في أوروبا ، بل تعدى الأمر إلى انتقال الرهبانية إلى كل من إيرلندا وأسبانيا . مع بقاء معلوماتنا عن مؤسسيها في كل منها غامضة ؛ إلا أن دليلاً في كل منها يشير إلى انتشار الرهبانية بها في القرن الرابع الميلادي . ففي الأولى يقوم هذا الدليل في وجود سبعة مقابر لرهبان مصريين ، وصلوا في رحلاتهم التبشيرية إلى هناك ، بالإضافة إلى ذكر القديس باتريك شفيع إيرلندا (٩٧) . وفي الثانية يقوم القانون الذي أصدره مجمع سرقسطة سنة ٣٨٠ م دليلاً على انتشار الرهبانية في أسبانيا ، وفي هذا القانون حرم على الإكليروس أن يصيروا رهباناً (٩٨) .

وانتقلت الرهبانية إلى فلسطين بانتقال بعض الرهبان الفارين من الاضطهاد الآريوسي إليها . غير أنهم عند وصولهم إليها وجدوا من سبقهم إلى نشرها هناك على النمط الأنطوني . ومن أول المؤسسين للرهبانية في فلسطين الراهب هيلاريون الغزي ، المولود بغزة سنة ٢٩١ م ، والذي تلقى تعليمه العالي في الاسكندرية حيث اعتنق المسيحية ، وأصبح تابعاً لأنطونيوس ، ثم عاد إلى مسقط رأسه ليعيش راهباً ، ولينشر الرهبانية بعد أن مهدت لها الجماعات



النسكية المعروفة « بابناء وبنات القيامة » ، ولذلك فإن تأثير رهبانية وادى النطرون هنا جاء من ناحية إظهار الطابع الرهباني المصرى واضحاً ، ونشر الرهبانية فى كثير من جهات فلسطين (١٩٩) ، ذلك الانتشار الذى أسهم فيه . كذلك بعض من نساء الغرب الثريات ، واللاتى لمسن عن كشب الحياة الرهبانية فى وادى النطرون ، ومنهن ميلانيا الرومانية التى بنت بأورشليم عدداً من القلالى ، وفتحت أبوابها للرهبان المصريين الفارين من الاضطهاد الرومانى ، وأنفقت عليهم الكثير من مالها (١٠٠) .

وقامت الرهبانية والديرية فى العراق فى النصف الاول من القرن الرابع على يد أوجين المصرى الاصل ، بعد أن تقلد على يدى أنطونيوس وباخوميوس ، ثم بنى ديراً على مقربة من الموصل ، كما كون عدداً من الجماعات الرهبانية فى شمال بلاد العرب ، وفى أرمينيا وفارس . ومن رهبان وادى النطرون الذين يعزى إليهم تأسيس جماعات رهبانية فى العراق ، راهب اسمه ابراهيم القشقرى وقد أسس جماعة رهبانية على جبل عزلا بجوار نصيبين سنة ٥٠٢ م ، ولبس رهبانه نفس الملابس التى لبسها رهبان وادى النطرون ، وساروا على نفس نظمهم (١٠١) .

وانتشرت الرهبانية فى شرق آسيا الصغرى ، بعد أن انتشرت فى أرمينيا على يد راهب يدعى يوستاثيوس Eustathius ، غير أنه ينسب إلى القديس باسل الكبير (باسليوس الكبير) تأسيس رهبانية آسيا الصغرى . وكانت رهبانية باسليوس من النوع الذى ساد فى وادى النطرون ، كما دأب القديس باسليوس على

الاتصال برهبان وادى النطرون وخاصة في وقت الازمات التي تعرضوا لها ، إذ يذكر أنه أرسل اليهم تلميذه يوجين ، يعزيهم ويطلب صلواتهم . وغلب على نظام القديس باسل طابع الجماعة ، أو النظام الديرى ، كما تبع الجماعة الرهبانية أو الدير كذلك ملاجئ ومدارس للأطفال (١٠٢) .

أما الرهبانية التي نشأت في سوريا في القرن الرابع الميلادى ، فيبدو أنها كانت ذات طابع خاص ، مع تأثيرها بالنظام الأنطونى ولعل أهم مظهر لها في حياة الرهبان المعروفين بالعموديين — نسبة إلى سمعان العمودى — مؤسسها ، وهو راهب تأثر بالرهبانية المصرية ، غير أنه اتخذ من الحياة فوق عمود أساساً لنفسه الزائد ، وقلده في هذا بعض الرهبان (١٠٣) . غير أن هذا لم يمنع وجود غيرهم ممن ساروا على النظم الأنطونية (١٠٤) . ووجه الشبه بين رهبانية العموديين ورهبانية وادى النطرون ، هو وقوف كل من هؤلاء وأولئك للدفاع عن الكنيسة أمام الهراطقات وتحويل الكثيرين إلى المسيحية ، بعد أن ذاعت شهرتهم ، فصار الناس يلجأون اليهم لاستشارتهم في أمورهم الدينية والدنيوية على السواء . وثمة شبه ثالث بين النوعين ، هو التنافس بين الرهبان في مضمار الحياة النفسية تنافساً دفع بعضهم الى ما يشبه الشذوذ ، امعاناً في إضعاف أجسادهم ، حتى صار بعضهم يحملون أحجاراً أو كتلاً من الحديد ، أو يقون في صناديق لفترات طويلة .

وخاتمة القول أن رهبانية وادى النطرون بلغت أوج عظمتها في أواخر القرن الرابع الميلادى وأوائل القرن الخامس ، ومن

دواعى هذا ، سعى الناس إلى تحقيق المثل العليا لروح العصر السابق ، وهو عصر الاستشهاد ، غير أن السبيل إلى تحقيق هذه المثل لم يمد وقتذاك في صورة الاستشهاد بل أضحت في صورة اقامة الشبوات ، في وسط بيئة روحية نظمت للوصول إلى نوع من السكال الإنسانى ، أنكر فيه الفرد ذاته دون أن يفقدها كما ظن البعض<sup>(١٠٥)</sup> . غير أن تعرض وادى النطرون لهجات البربر المتكررة طوال القرن الخامس الميلادى أدى إلى قلة عدد رهبانه ، حتى اذا ما جاء القرن السادس الميلادى ، وبدأ البطارقة ينتهون إلى ضرورة إعادة بناء القلالى وتعميرها بالرهبان عاد الانتعاش إلى جماعات وادى النطرون ، غير أنه لم يكن يعدل الانتعاش الذى رأيناه فى القرن الرابع الميلادى .

---

## مراجع وشواهد الفصل الخامس

- (١) Annan Isho : Wit & Wisdom P. 312.
- (٢) يوحنا أصحاح ٥ : ٣٩ .
- (٣) لومند : خلاصة تاريخ الكنيسة ج ١ ص ١٦٧ .
- (٤) Besse : Les Moines D'Orient P.P. 380-381.
- (٥) Ibid P 381.
- (٦) Ibid : P 382-384.
- (٧) Duchesne : Hist. Ancienne De L'Eglise V Il P. 497
- (٨) Besse : OP. Cit. P. 389.
- (٩) Ibid : PP. 383—390.
- (١٠) الأربعة بشار هي بشار متى ومرقس ولوقا ويوحنا —  
والكاثوليكون هو رسائل يوحنا ويعقوب وبطرس،  
والابركسيس هو سفر أعمال الرسل؛ ومنها تقرأ بعض  
الفصول أثناء القداس المعروف بقداس الموعوظين .
- (١١) ابن المقفع ، ساويرس : تاريخ البطارقة ص ١٦٣ - ١٦٤ .
- (١٢) Besse : OP. Cit : P. 393-394.
- (١٣) Butler : Lausiac Hist. V I P.P. 143-144.
- Socrates : Ecc. Hist. (Eng-Trans.) P.P.237-238.
- (١٤) رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس ٢: ٦ - ٥ .
- (١٥) رسالة يوحنا الثانية عدد ١٠ ، ١١ .
- (١٦) الرسالة إلى غلاطية ١ : ٩ .

- Besse : Les Moines D'Orient, P.P 397-398. (١٧)
- إيسيدورس : الخريدة النفيسة ج ١ ص ٢٩١ (١٨)
- Besse : OP. Cit P. 399 (١٩)
- White : Hist. Of Monasteries Of Nitria V II P.74 (٢٠)
- (٢١) هم أربعة اخوة امتازوا بطول قامتهم وترهبوا في نتريا  
وهم أمونيوس ، ويوزيب ، ويوتيموس ، وديسقورس ،  
الذى رسم اسقفاً على إقليم هرموبوليس بارفا . راجع  
سعيد بن بطريق : التاريخ المجموع ص ٥٣ .
- Socrates : Ecc. Hist. P. 312 ،
- (٢٢) بوتشر ج ١ ص ٢٤٧ .
- Workman : Evolution Of Monastic Ideal P. 20. (٢٣)
- Tillemont : Mem. Pour Servire A L'Hist. Ecc. T. VIII (٢٤)  
P. 130.
- Hardy : Christian Egypt P.P.80,92-93. (٢٥)
- Butcher : The Story Of The Church Of Egypt V I P.220 (٢٦)
- Socrates : Ecc. Hist P.P. 242-243. (٢٧)
- Ibid : P. 243. (٢٨)
- Butler : Lausiaca Hist Of Palladius V II P. 226. (٢٩)
- (٣٠) راجع ما يلى بهذا الفصل ص ٢٣٩ .
- Butcher : OP Cit V I P. 202. (٣١)
- (٣٢) ترك هذا الراهب وادى النظرون إلى اتينوى لينشر  
بدعته هناك التى عارضت اعتقاد المسيحيين فى قيام الناس  
بعد البعث بأجسام سماوية خاصة .

- (٢٣) Besse : Les Moines D'Orient. P. 410. عب ٧:١-٧ ،
- (٣٤) White : OP. Cit, V II. P. 115.
- (٣٥) سراييون ، ميمر مقاريوس (مخطوط) ورقة ٢٢ ب .
- (٣٦) Fowler : Chirstian Egypt. P. 32.
- (٣٧) الدويرى ، يسطس : موجز تاريخ المسيحية ص ١٩٥ .
- (٣٨) القديس فيلوكسيتوس : أخبار الرهبان المصريين مخطوط  
ورقة ١٣٢ ب .
- Socrates : Ecc. Hist. P. 278.
- (٣٩) إيسيدورس : الخريدة النفيسة ج ١ ص ٤٠٢ .
- (٤٠) Butcher : The Story Of The Church V I 216-217,224.
- (٤١) Palladius : Paradise Of The Holly Fathers V I.  
P.P. 41-43.
- (٤٢) Socrates : Ecc. Hist. Ch. V II P. 311.
- راجع كذلك سفر التكوين ١ : ٢٦ .
- (٤٣) إيسيدورس : الخريدة النفيسة ج ١ ص ٤٤٥ .
- (٤٤) Hardy : Christian Egypt. P. 91.
- (٤٥) إيسيدورس : الخريدة النفيسة ج ١ ص ٤٤٧ .
- (٤٦) White : OP. Cit. V II P. 135.
- (٤٧) اعتقد هؤلاء في أن الله ذو صورة بشرية على النحو  
الوارد بسفر التكوين الاصحاح الاول - راجع ما سبق  
في هذا الفصل ص ١٢٤ .
- (٤٨) Besse : Les Moines D'Orient P. 407.
- (٤٩) Cassien : Les Conferences PP. 528-529.



- Butcher : OP. Cit. V I P.P. 226-228. (٥٠)
- Fowler : Christian Egypt P. 33. (٥١)
- Socrates : Ecc. Hist Ch. VII. P. 311. (٥٢)
- (٥٣) بوتشر : تاريخ الكنيسة المصرية (مغرب) ج ١ ص ٢٢٣ .
- Palladius : Paradise V I Ch XXIV. (٥٤) راجع
- Butcher : OP. Cit. V I P.P. 225-226. (٥٥)
- Ibid : V I P. 229: (٥٦)
- White : OP. Cit. V II P. 140. (٥٧)
- Gibbon : Decline & Fall Of The Roman Empire, (٥٨)
- V III Ch XL V II.
- Butcher : The Story Of The Church: V I P.P. (٥٩)
- 229-230.
- (٦٠) بوتشر : تاريخ الكنيسة — مغرب ج ١ ص ٣٢٨-٢٢٩ .
- Butcher : OP. Cit . P.P. 234-235. (٦١)
- (٦٢) المرجع السابق ج ١ ص ٣٣٠ .
- (٦٣) إيسيدورس : الخريدة النفيسة ج ١ ص ٤٠٤ .
- (٦٤) انسحب تيموثاؤس البطريك الثاني والعشرون من مجمع القسطنطينية الثاني لعدم اعترافه بأسبقية كرسي الاسكندرية الارثوذكسي على غيره من الكراسي - راجع
- Fowler : Christian Egypt , P. 32.
- (٦٥) بوتشر : المرجع السابق ج ١ ص ٢٣٢ .
- (٦٦) إيسيدورس : المرجع السابق ج ١ ص ٤٠٤ .
- (٦٧) بوتشر : المرجع السابق ج ١ ص ٣٤٨ .

- (٦٨) نفس المرجع والجزء ص ٣٣٣ .
- (٦٩) Gibbon : Decline & Fall VII P.P. 386-387.  
راجع كذلك قضية يوحنا فم الذهب بالخريدة النفيسة ج ١  
ص ٤٤٦ — ٤٥٦ .
- (٧٠) بوتشر : تاريخ الكنيسة ج ١ ص ٣٣٤ - ويلاحظ أن  
ثيوفيلس لم يستطع دخول العاصمة خوفاً من أنظار يوحنا .
- (٧١) توفى في هذه الاثناء ديسقوروس في القسطنطينية - انظر :  
Socrates: OP. Cit. P. 327
- (٧٢) نفس المرجع والجزء ص ٣٣٥ .
- (٧٣) رسم أرساكيوس Arsacius خلفاً له انظر :  
Socrates : Ecc. Hist. P.P. 329-320.
- (٧٤) إيسيدورس : المرجع السابق والجزء ص ٤٥٠ - ٤٥١ .
- (٧٥) بوتشر ج ٢ ص ٢٤ - ٢٧ .
- (٧٦) Hardy : Christian Egypt, P. 104.
- (٧٧) Butcher : OP. Cit. VI P.P. 325 & F.
- (٧٨) عطيه : الكنيسة القبطية والروح القوي في مصر في العصر  
البيزنطي ص ٣ مقال بالمجلة التاريخية المصرية العدد الاول  
سنة ١٩٥٠ المجلد الثالث .
- (٧٩) راجع Hefele : Hist. Des Conciles T I P. 325.
- (٨٠) الطوخي ، جبرائيل روفائيل : حامى الايمان القويم  
ص ٦٦ - ٦٧ .
- نفي الامبراطور قسطنطين البطريك أثناسيوس للمرة الاولى  
عندما وقع الامبراطور تحت تأثير الاربوسيين ، الذين

قالوا عن اثناسيوس أنه جمع مالا طائلا ، وحاز شهرة عظيمة بين أهل الاسكندرية وأنه في نيته أن يظهر سطوته بمنع سفر السفن المعدة لنقل الغلال إلى القسطنطينية ؛ ولما أن تأخرت السفن مصادفة ؛ صدق الإمبراطور الاشاعة وأمر بنفيه .

Camb. Med. Hist. V I P. 5347. (٨١)

اسس راهب اسمه هونوراتوس Honoratus رهبنة على ساحل الريفيرا ( بفرنسا ) بعد القديس مارتن — راجع Workman : P. 121.

Fliche & Martin : Hist. De L'Egypte, V III, P. 317. (٨٢)

Cassien : Conferences T I P.P. 710. (٨٣)

تأرجح يوحنا كاسيان في رهبته بين الانفرادية والاجتماعية .

Bonnet : Hist. Des Ordres Religieux P. 8. (٨٤)

هرب أثناسيوس إلى روما بسبب إحدى موجات الاضطهاد الاريوسى وعين الإمبراطور مكانه جورج الكبادوكى الاريوسى .

(٨٥) كيرلس الأنطونى ، القمص : عصر المجامع ص ٤٦ .

Workman : Evolution Of Monastic Ideal P. 116. (٨٦)

Camb. Med. Hist. V I P.P. 531-532. (٨٧)

Cabrol : Dict. D'Arch. Chret. T II P 3100. (٨٨)

(٨٩) هذا الكتاب كتبه بلاديوس إلى صديقه لاسوس Lausus

ولذلك سمي كذلك Historia Lausiaca — أنظر

Paradise. V I PP. X II—XV.

- Cabrol : OP. Cit. T II P. 3098. (٩٠)
- Workman : OP. Cit. P.P.117-118. (٩١)
- Camb : Med. Hist. V1 PP. 536-537. (٩٢)
- Ency. Amer. Art, Monasticism. (٩٣)
- فيشر ، ه.ا.ل : تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ج١ ص ٢١٧. (٩٤)
- Camb. Med. Hist. : V1 P. 537. (٩٥)
- Ibid V1 P. 532. (٩٦)
- شكري ، منير : المسيحية وما تدين به للقبط - مقال في رسالة ماري مينا الخامسة ص ٧٩ . (٩٧)
- Camb. Med. Hist. P. 533. (٩٨)
- Smith : Studies In Early Mysticism, P. 20. (٩٩)
- Hardy : Christian Egypt, P. 95. (١٠٠)
- Smith : OP. Cit. P 31. (١٠١)
- Ibid PP. 24-25. (١٠٢)
- Ency. Brit. : Art, Monasticism. (١٠٣)
- Smith : OP Cit. P. 20. (١٠٤)
- Workman : OP. Cit. PP. 331-340. (١٠٥)



## الفصل السادس

### الرهبة والديرية في وادى النطرون

من القرن الخامس حتى الفتح العربى

#### اقرأ فى هذا الفصل :

- أثر الهرطقات فى وادى النطرون -
- الامبراطور زينون والاسقيط - هرطقة بوليان
- برة الاسقيط ( شبيث ) وكرسى الاسكندرية
- فى القرن السادس - هرقل والكنيسة القبطية -
- الفتح العربى والرهبانبة .

#### الهرطقات فى وادى النطرون :

تأثرت الرهبة فى وادى النطرون فى هذه الفترة بما طرأ على كنيسة الاسكندرية من عوامل منذ القرن الرابع الميلادى من أحداث . وقد رأينا فى الفصل السابق كيف أثرت الرهبة فى وادى النطرون فى كرسى الاسكندرية وكيف تأثرت بدورها بنشاط باباوات الاسكندرية ، وذلك فيما ظهر من بدع وهرطقات أثرت فى داخل الكنيسة ، أو بما نشأ منها بين رهبان وادى النطرون أنفسهم الذين تأثروا بفلسفات مناهضة للكنيسة الارثوذكسية . غير أن كل هذه المؤثرات لم تؤد الى عملية تطوير للحركة الرهبانية فى وادى النطرون من حيث التشكيلات المختلفة التى رأيناها اللهم الا من حيث الاتجاه الاجتماعى نحو النظام الديرى الباخومى ،

الذى صار معروفاً في كثير من أجزاء مصر وقتذاك .  
على أن الذى لا يمكن إغفاله في هذين القرنين هو أن الحركة  
الرهبانية في وادى النطرون بدأت تتجه اتجاهاً عنيفاً ، حيث أسهم  
رهبان وادى النطرون بشكل واضح في متابعة أحداث الكنيسة  
المصرية ، واشتراكهم كذلك في الدفاع عن مذهبها في المجمع  
المختلفة التى عقدت طوال هذين القرنين ، حتى أصبح وادى النطرون  
حصن الكنيسة المنيع الذى التجأ اليه بابوات الاسكندرية ، الذين  
ثبتوا على المذهب الاثناسيوسى ، أى على مذهب الكنيسة  
الارثوذكسية بالاسكندرية ضد الهرطقات والبدع المختلفة التى  
اتخذت في القرن الخامس صورة خصام عنيف بين كنيسة  
الاسكندرية وكنيسة القسطنطينية أى كنيسة الإمبراطورية البيزنطية ،  
وكنيسة روما أى كنيسة الإمبراطورية الرومانية الغربية .

ولذلك فإن دراسة هذه المؤثرات يدفعنا الى عرض سريع  
لحركة الهرطقة التى ظهرت في هذين القرنين ، وما صاحب هذه  
التعاليم الهرطوقية من تيارات سياسية ، وما اختفى وراء هذه  
وتلك من محاولات الكنائس المختلفة احتلال مركز الصدارة أو  
الزعامة بين الكنائس المسيحية المختلفة ، وبمعنى آخر إبراز الأسبقية  
على كرسى الاسكندرية ، هذه الأسبقية التى أحرزها باباواتها في  
القرن الرابع الميلادى ، بحكم التنظيم الكنسى الذى اتفق عليه في  
مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م . على أن هذه الدراسة تحتاج من الباحث  
في الحركة الهرطوقية في الكنيسة المسيحية الى فهم عميق ودراسته  
واعية لعلم اللاهوت ، الى جانب تتبعه للاتجاهات السياسية



الخفية التي هي وراء المشكلة الهرطوقية ، ويضاف إلى هذا ضرورة الحذر الكامل عند تناول آراء كتاب الغرب حول المجمع المسكونية ، حيث ينظر لها من وجهة النظر الحقيقية التي تعتمد على النصوص الكتابية .

واعل أول هذه المؤثرات التي تأثرت بها كنيسة الاسكندرية وبالتالي تأثرت بها رهبنة وادى النطرون ، تلك التعاليم الهرطوقية التي نادى بها نسطور بطريرك القسطنطينية سنة ٤٢٨ م ، إذ نادى بأن في السيد المسيح أقنومين وشخصين وطبيعتين ، واستطرد في هذا بالقول بأنه لا ينبغي أن نسمى السيدة العذراء والدة الإله كما عاب على المجوس سجودهم للطفل يسوع ، واستقطع الجزء الأخير من كل من الثلاث تقديسات التي ترتلها الكنيسة في صلواتها وهي ( الذي ولد من العذراء - الذي صلب عنا - الذي قام من الأموات ) . ومن أجل هذا التعليم الخطير ، وبسبب ما أحسه الإمبراطور تاودسيوس الصغير لإمبراطور الدولة البيزنطية من تهديد أمن الدولة بسبب هذه التعاليم ، دعا هذا الإمبراطور سنة ٤٣٠ م إلى عقد مجمع مسكوني في أفسس ، وكتب الإمبراطور بذلك إلى البابا كيرلس الكبير الرابع والعشرين في عداد بطاركة الاسكندرية - وابن أخت سلفه البابا ثاوفيلس - . على أنه إذا كان الإمبراطور تاودسيوس أدرك خطورة تعاليم نسطور من وجهة السلام الإمبراطوري ، فإن البابا كيرلس الكبير نظر إلى خطورة هذه التعاليم من الوجهة اللاهوتية الصحيحة ومن وجهة نظر الكنيسة كشعب وكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية

كما أثنى في المجامع السابقة . ولا شك أنه اعتبر مناداة نسطور بهذا الرأي هدماً للمسيحية كلها من حيث اعتبار المسيح « الكلمة المتجسد » من أجل خلاص البشرية نبياً كبيراً . ولذلك بدأ كيرلس بكتابة عدة رسائل إلى نسطور يحثه فيها على الرجوع عن غيه ومبيناً له خطأه بأسانيد كتابية . غير أن نسطور رفض حتى مقابلة حاملي رسائل كيرلس بل ظلت بعثة كيرلس مدة طويلة بالقسطنطينية تحاول مقابلة نسطور دون جدوى ، فاضطرت للعودة من حيث أتت (١) .

وربما يبرر البعض موقف نسطور بأنه نجم عن مواقف البطريرك السابقة ثيوفيلس من يوحنا فم الذهب بطريرك القسطنطينية السابق ، وما حدث له من إجراءات تعسفية . ولكن يمكن الرد على هذا التبرير بأن البابا كيرلس الكبير وهو ابن أخت البابا ثيوفيلس الذى أمر بعزل يوحنا فم الذهب ، ما كاد يجلس على كرسى الاسكندرية حتى طلب قضية يوحنا فم الذهب وفحصها جيداً ، بما عرف عنه من دقة في بحوثه اللاهوتية ، وأخيراً قرر براءة يوحنا فم الذهب بل أمر برفعه إلى مرتبة القديسين ، وأمر بكتابة اسمه في قائمة أسماء القديسين ، الذين تذكرهم كنيسة الاسكندرية في صلاة القديسين . غير أنه يبدو أن وجود نسطور في حضانة القصر الإمبراطورى جعله يفكر في الاستعانة بالقوة الإمبراطورية لاحتلال من التنظيم الكنسى ، الذى جعل لكرسى الاسكندرية مركز الصدارة للكنيسة الواحدة الجامعة ، فنادى برأيه هذا . ومن يدرى ربما وراء هذا خطة إمبراطورية لاضعاف شأن الكنيسة المصرية .

على أنه لما لم تنجح الرسائل المتكررة التي بعث بها كيرلس الكبير لارجاع نسطور عن رأيه ، عقد مجمعاً مكانياً بالاسكندرية عرض فيه هرطقته ، وأثبت خطأ تعاليم نسطور مدلالاً بآيات من الكتاب المقدس وتعاليم الآباء الأول في أن « عمانوئيل إله حقيقي واحد وأن العذراء مريم والدة الإله ولها حق التطويب ، كما أن العلاقات بين كنيسة الاسكندرية وكنيسة روما كانت طيبة حتى أن كلستينوس أسقف روما وقتذاك أرسل يؤيده في هذا التعليم الصحيح ، بل بعث بخطاب إلى نسطور يهدده بالقطع إن لم يرجع عن تعليمه المعارض لتعليم الكنيسة الجامعة الواحدة .

والخلاصة أن البابا كيرلس الكبير وافق على حضور مجمع أفسس ، الذي دعا إليه الامبراطور تاودسيوس الصغير ، وصحبه إلى هناك عدد كبير من رهبان مصر وخاصة من رهبان وادي النطرون الذين اشتهروا بتعمقهم في علوم الكنيسة وتحمسهم للدفاع عن المذهب الارثوذكسي ، وقرر المجمع الذي حضره مندوبون عن الكنائس المختلفة ، وبعد المناقشات الطويلة والبحوث المستعصية - عدم قبول تعاليم نسطور والحكم عليه « بالفرز ، من رتبته الكهنوتية ، ثم رفع المجمع قراره إلى الإمبراطور تاودسيوس لإقراره . وأصدر المجمع قراراً أصبح مقدمة لقانون الايمان وهي المقدمة التي ترددها الكنيسة في صلواتها وتبدأ بعبارة « نعظمك يا أم النور الحقيقي ونمجذك أيتها العذراء القديسة والدة الإله...  
..... يارب ارحم يارب ارحم يارب بارك آمين ، .

على أنه لم يخرج على رأى مجمع أفسس سوى كنيسة إنطاكية



منظر داخل لمبكل كبة العذراء  
بدير السويديان

حيث انحاز يوحنا أسقفها إلى جانب نسطور ، وظل كذلك حتى عقد الصلح مع البابا كيرلس الكبير سنة ٤٢٣ م ووافق على قرارات مجمع أفسس . على أن المهم في هذا كله هو أن بابا الاسكندرية أفلح في تنصيب أحد أتباعه وهو مكسيميانوس بطريركا على القسطنطينية بعد صدور أمر الإمبراطور بعزل نسطور ونفيه .

وبعد هذا كله عاد كيرلس الكبير ومعه بعثة الرهبان ، ليرعى الحركة العلية في الكنيسة ، هذه الحركة التي شملت العلوم الكنسية وبالأخص علوم اللاهوت ، والطقوس الكنسية ، وتفسير الكتاب المقدس إلى جانب الترجمة ، وهذه الحركة العلية بدأها كيرلس منذ أن تقلد على أيدي رهبان وادى النظرون . وصار لهذه الحركة العلية أثرها في انتعاش الثقافة القبطية في عصره ، وتردد صدى هذه الحركة العلية في كل مصر وفي الجامع الرهبانية والأديرة وخاصة الأديرة التي أسسها الأنبا شنودة ، الذي أصدر أوامره بتحريم استخدام اللغة الاغريقية وهي لغة الحكام ، الذين استعمروا مصر ، وصار هذا كله مظهراً من مظاهر الوعي القومى في البلاد ظهرت آثاره في المقاومات والثورات المستمرة التي اشتعلت في طول البلاد وعرضها مطالبة بالتححر من ربة المستعمر<sup>(٢)</sup> .

على أنه بقدر ما نشطت الحركة العلية — وخاصة العلوم اللاهوتية — في مصر للرد على بدعة نسطور أو لحماية الناس من الهرطقة بقدر ما بدأت الشكوك تساور الكثيرين في القسطنطينية



صورة آتية للخدمة المذكورة بدير السوربان  
وهي مأخوذة من صورة رسم لوقا الانجيلي الطبيب محوطة بالقدس



من جهة الإيمان ، بسبب صدى تعاليم نسطور ومن بقى من أتباعه . وربما كان رد الفعل أن نادى أوطاخى وهو رئيس دير بقرب القسطنطينية بأن للمسيح طبيعة واحدة حتى بعد التجسد وليست طبيعتين متحدتين ، غير أنه أضاف إلى قوله هذا أن طبيعة الناسوت تلاشت فى الطبيعة الإلهية فصار المسيح بطبيعة واحدة بمتزجه . وفى هذا الوقت كان على كرسي القسطنطينية البطريرك النسطورى فلافيان الذى انتهز هذه الفرصة وأسرع بإصدار قراره سنة ٤٤٨ م بحرمان أوطاخى ونفيه باعتبار أن هذه التعاليم مخالفة لتعاليم كنيسة القسطنطينية .

وصار قرار حرمان أوطاخى فى هذه الظروف وصمة عار على اثنين من أكبر آباء الكنيسة القبطية وهما اثناسيوس وكيرلس الكبير ، وذلك بسبب ما دافع به أوطاخى عن نفسه بأن رأيه ليس جديداً لأن اثناسيوس قال أن المسيح من طبيعة متجسدة واحدة ، للإله الكلمة ، كما قال أن البابا كيرلس الكبير كثيراً ما زدد هذه العبارة (٣) .

واستطاع كريسافىوس Chrysaphius وزير الإمبراطور تاودسيوس الثانى أن يؤثر على الإمبراطور حتى وافق على رجاء البابا ديسقوروس بابا الاسكندرية وقتذاك بضرورة وضع الأمور فى نصابها ، بعقد مجمع مسكونى يفصل فى الخلافات المذهبية الناشئة كما تقرر أن يكون مكان هذا المجمع بالفعل فى أفسس وأُسندت رئاسته إلى البابا ديسقوروس .

وفى هذا المجمع الذى التأم شمله فى أفسس سنة ٤٤٩ م حضر

أوطاخى ودافع عن مبدأ الطبيعة الواحدة وحذف اعتقاده بأن المسيح طبيعة واحدة متمزجة . فتقرر صحة ما نادى به أوطاخى واعتبار قرار حرمانه من فلافيان باطلا ، وزاد على ذلك أن قرر المجمع ضرورة إبعاد فلافيان لمخالفته تعاليم مجمع نيقية سنة ٢٢٥ م .

ورغم هذا الانتصار الذى أحرزه ديسقورس فإنه لم يقدر لكنيسة الاسكندرية الهدوء ؛ ذلك أنه بوفاة الإمبراطور تاودسيوس الثانى اعتلى ماركيان العرش، وكانت زوجته بولكاريا Pulcharia ترغب تماماً فى التحل من سلطة كنيسة الاسكندرية التى زعمت بأنها كانت طاغية على أخيها الإمبراطور تاودسيوس الثانى، وزاد هذا الزعم من مخاوفها بعد ظهور الاتجاه القومى فى داخل الأديرة — أن تتحول سلطة الكنيسة إلى سلطة مدنية قوية تتسبب فى ضياع مصر من يد الإمبراطورية البيزنطية ، وهى أخصب أراضيها وأوفرها ثروة .

واتخذت بولكاريا من الخلافات المذهبية وسيلة لفرض سيطرتها ، ولكسر قوة بابا الاسكندرية ، وما لبثت أن أعلنت مناصرتها لآراء البطريك المعزول فلافيان ، وأنها ترى ضرورة الاعتراف بالطبيعتين ؛ كما أنها أجبرت البطريك الأرثوذكسى ( بطريك جاثليق ) الذى نصبه البابا ديسقورس فى القسطنطينية على رفض مبادئ مجمع أفسس . أما زوجها الإمبراطور ماركيان فإنه انتهاز فرصة العداء الموجود بين كنيسة الاسكندرية وكنيسة روما التى حاولت تزعم الكنائس وكتب إلى الباباليو بابا روما ،

يدعوه لحضور مجمع في خلقيدونية لمناقشة هذه الخلافات .  
ولعل أول انتصار أحرزه ماركيان أن جعل الرئاسة في هذا  
المجمع الكنسى الذى عقد في خلقيدونية سنة ٤٥١ م فى يده .  
ورغم أن ديسقوروس دافع عن المبدأ الأرثوذكسى فى القول بأن  
المسيح ، الكلمة المتجسد ، طبيعة واحدة حتى بعد التجسد ؛ فإن  
مندوب بابا روما بمعاونة رجال البلاط القسطنطينى قرروا خلع  
ديسقوروس ، ونفيه إلى جزيرة غاغرا حيث قضى باقى أيامه .  
وصار لهذا القرار القاسى نتائج متعددة ، إذ رفض أقباط مصر  
قرارات مجمع خلقيدونية ، كما رفضوا الاعتراف بخليفة ديسقوروس ،  
وهو بروفيروس ، البطريك النسطورى المذهب الذى عينه  
الامبراطور ماركيان على كرسى الاسكندرية وأعلنوا تمسكهم التام  
ببطريركهم الأنبا ديسقوروس رغم وجوده فى النفى .

وهكذا نلاحظ كيف اندفع مندوبو ليو بابا روما فى الاتفاق  
مع الإمبراطور ماركيان على نفى ديسقوروس ، رغم أنهم لم يثبتوا  
على ديسقوروس سوى استخدامه القوة فى معاملته لفلافيان ،  
غير أن الهدف الأساسى هو رغبة ماركيان وزوجته فى الإقلال  
من شأن كنيسة الاسكندرية ، وكذلك رغبة ليو فى إحراز سبق  
على كنيسة الاسكندرية ، حتى أنه فى سبيل هذا الهدف ، اندفع  
إلى اتخاذ مبدأ يشابه مبدأ نسطور ، أى مبدأ الطبيعتين ، أساساً  
للإيمان فى كنيسته ؛ وأوجد بهذا انقساماً صارخاً فى الكنيسة .  
وصار لكنيسة روما إيماناً يختلف تماماً عن إيمان الكنيسة  
القبطية ، ذلك الإيمان الذى تمسكت به الكنيسة القبطية ودافعت

عنه دفاعاً جعل لها شخصيتها الواضحة وسط الكنائس الخارجة عليها . حتى أننا إذا تحدثنا عن الكنيسة القبطية ، فإننا لا نقصد بابا الإسكندرية ورجال الاكليروس فيها فحسب بل نقصد جميع الأقباط الذين يمثلون في عرف العقيدة الأرثوذكسية الكنيسة المقدسة الجامعة الرسولية ، ولهذا فلا عجب أن زادت كراهية الأقباط للإمبراطور البيزنطي ، كما وضحت الروح القومية في الداء الصارخ لرحاله الذين نصبرهم في مصر لجباية الضرائب .

وثمة نتيجة أخرى في غاية الأهمية ، وهي أن مجمع خلقيدونية صار نقطة تحول في تاريخ الكنيسة القبطية ، ذلك أن هذه الكنيسة بعد أن كانت فرعاً أو جزءاً في هذا التنظيم الكنسي الكبير ، وهو تنظيم كانت له صورته الدولية ، أصبحت بعد سنة ٤٥١ م منصلة عنه ، وأصبح لها شخصيتها القومية المميزة ، ألا وهي شخصية الكنيسة القبطية ، وحل هذا الاسم محل اسم الكنيسة الأرثوذكسية .

على أنه ليس معنى هذا أن هذا التحول حدث فجأة وإنما ظهرت مقدمات وقتذاك . وفي خلال فترة تحول الكنيسة إلى هذه الصورة القبطية أخذ الشعور الوطني يظهر في الفن . ومع ذلك الكماح فلم يتم التحرر الكامل من المؤثرات الأجنبية إلى أن تمكن العرب من تخليص البلاد من كل ما هو مطبوع بالطابع الإغريقي<sup>(١)</sup> . على أنه من أخطر النتائج أن ماركيان أرسل إلى جميع الأديرة رسائله التي اشتملت على صورة منشور البابا ليو عن الإيمان بالطبعين وهو المعروف في التاريخ باسم The Tome of Leo .

وذكر السنكسار العربى تحت تاريخ ٢ أمشير أن لونجينوس رئيس دير الزجاج على مقربة من الاسكندرية قبل هذا المنشور ، وقد أعلن بهذا القرار كذلك رهبان الصحراء وخاصة فى وادى النطرون باعتبارهم أكبر مستعمرة رهبانية ، ورغم أنه لا يوجد ما يشير إلى موقف الرهبان من هذا المنشور ، فإنه من المقطوع به أن رهبان وادى النطرون انقسموا حيال هذا المنشور إلى فريقين ؛ الفريق الأول ، وهو أكثرهم ، عارض هذا المنشور وتمسك بالبطريك ديسقورس ، على حين آثر الفريق الآخر ، وهم قلة من الرهبان ، التسليم بهذا المنشور .

غير أن الأمر لم يقف عند هذا الحد بل أن عدداً كبيراً من الرهبان صار فى حيرة من أمر هذه المشكلات المذهبية ، فأثروا هجرة وادى النطرون إلى أماكن أخرى لعلهم ينعمون فيها بحياة الهدوء النفسى ، وتسبب هذا الأمر فى ضعف عزيمة من آثر البقاء فى وادى النطرون ، حتى أنه فى سنة ٤٥٧ م حين أثار البطريك الملكانى تيموثاؤس الاضطرابات ، بسبب ضغطه المتواصل على رهبان وادى النطرون . نسمع عن هجرات أخرى منها هجرة الراهبين مارتيروس الكبادوكى والياس العربى ، اللذين هربا إلى دير يوثيمىوس Euthymius<sup>(٥)</sup> .

وتوجد قصة تدور حول قول مشهور للراهب فوكاس وهو من رهبان الإسقيط . ونستطيع من ثناياه أن ندرك الأحوال وقتذاك . ومن هذا قوله : عندما استقرت بي الأحوال فى الإسقيط كان يوجد راهب شاب اسمه الانبا جيمس فى سليا ( القلالى )



..... والآن سليا لها كنيستان إحداها للآرثوذكس حيث كنت  
إذهب والآخرى للمهرطقين ، ولما اشتهر به الأنبا جيمس من  
التواضع فإن الجميع أحبوه سواء الأرثوذكس أو غيرهم . وقد  
اعتاد الأرثوذكس مخاطبته بقولهم « إهرب يا أنبا جيمس وابتعد  
حتى لا يضمك المهرطقون إلى جانبهم » ، ومثل هذا القول سمعه  
من الفريق الآخر في قولهم « ينبغي أن تعلم يا أنبا جيمس  
أنك بتعاونك مع الخلقيدونيين ، فانك تقتل روحك لأنهم  
نسطوريون ، ويقلبون الحقيقة ، وتمضى القصة فتقول أنه لما  
كان الأنبا جيمس بسيطاً فانه شعر بحيرة من القولين، فالتجأ إلى  
الله واختبأ في مغارة هادئة بعيدة عن مجامع الرهبان ، ولبس  
ملابس الخدمة « التونية » استعداداً للموت ؛ وظل يصلى مدة  
أربعين يوماً ، وفي نهايتها رأى طفلاً صغيراً يقول له بسرور  
عظيم « لماذا أنت هنا يا أنبا جيمس ؟ » ، وفجأة استنار الأنبا  
جيمس ولبس قوة من الأعلى ونطق بقوله « يا سيدى أنت تعلم  
ما أقاسيه من الحيرة ، فهؤلاء يقولون لى « لا تترك الكنيسة ،  
والآخرون يقولون : أن المجموعة الأخرى ستقودك للضلال ،  
وأنا فى حيرة ... فأجابه السيد (الطفل) : أينما تكون فأنا  
معك ، وفجأة وجد الأنبا جيمس نفسه أمام أبواب الكنيسة  
الآرثوذكسية ،

وتدلنا هذه القصة على وجود الفريقين فى صحراء القلالى ، كما  
تدلنا على أن كنيسة أخرى بنيت فى صحراء القلالى إلى جانب  
الكنيسة الأولى التى بنيت فى القرن الرابع الميلادى ، وصارت



لاتباع المذهب النسطورى أو الملكاني ، كما تبين القصة أن صحراء القلالي التي امتلأت في القرن الرابع الميلادى بالقلالي التي انتشرت في مساحة كبيرة ، أصبحت قلاليها في القرن الخامس الميلادى مركزه في تجمعات رهبانية أو مجامع رهبانية .

على أن روح الجماعة التي لاحظناها هنا لم تند شيئا ، بسبب غزوة البرابرة لهذه المنطقة ، وما سببته من ذبح تسعة وأربعين راهبا ، وهم الرهبان الذين رفعتهم الكنيسة إلى مرتبة الشهداء .

### الامبراطور زينون والإسقيط : ( برة شهيت )

على أن الانقسام الذي نحن بصدده بين الملكانيين أى أتباع الامبراطور مركيان وهم أصحاب مذهب الطبيعتين ، وبين الارثوذكس أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة ، لم يكن أمراً محزناً من وجهة النظر الكنسية فحسب ، بل شكل أيضاً خطراً سياسياً ، عادت الدولة البيزنطية إلى السعى للتخلص منه عن طريق القوة أحيانا والسياسة أحيانا أخرى . ومن هذه المحاولات لإزالة الخلاف ما قام به الإمبراطور زينون سنة ٤٨٢ م حين أصدر منشوره الذي أطلق عليه عدة الوحدة " The Instrument Of Union " . ومع أن هذه الخطوة أملت فيها الظروف السياسية فإنه يقال أن الرهبان في وادى النطرون كان لهم دور هام في هذا المنشور ، إذ يقال أن الأنبا زينون كانت له ابنة راهبة في برة شهيت ، وهي هيلاريا ، وعن طريقها قدم الرهبان الارثوذكس للإمبراطور التماساً لإعادة وحدة الكنيسة ، ووجد الإمبراطور في هذا الاتجاه



انبوبة بها عظام الانياس بحس كاما  
وبس القديسين بدير السوريان

فرصة لتحقيق أهدافه السياسية وإضعاف شأن الرهبان أو كسب ودهم، فأصدر المنشور المذكور الذي وردت به عبارات هي محاولات لحل المشكلة وهي : أن الابن متحد بالآب ، تبعاً لأصله الإلهي (الجوهره) ومتحد بالبشر تبعاً لبشريته ، كما أنه تجسد بالروح القدس من العذراء مريم والدة الإله ، وهو ابن واحد لا غيره ، وهذا الواحد هو الابن الوحيد لله ، الذي صنع المعجزات كما أن التجسد ( بدون دنس ) من جانب العذراء ، لم يسبب وجود الابن لأن الثاوث أزلى غير متغير حتى عندما تجسد الواحد الله الكلمة ،<sup>(٦)</sup>.

غير أن هذا المنشور لم يؤد إلى حسم المشكلة ، وإن كان الارثوذكس اعتبروه نصراً لهم من الوجهة المذهبية والسياسية ، وعاد البابا بطرس مونجوس السابع والعشرين إلى كرسيه ، كما عاد الوثام مع كرسي القسطنطينية . وتمكن الأنبا بطرس من طرد عدد كبير من الرهبان الملكانيين من الأديرة بالاستعانة بتأييد الامبراطور زينون ، حتى أن زينون رفعته الكنيسة إلى مرتبة الأباطرة الاتقياء في تاريخ الكنيسة القبطية ، وبلغت شهرة الامبراطور زينون أن السنكسار العربي ذكر تحت تاريخ ٢١ طوبه وفاة هيلاريا ابنة زينون في شهيت - وهيلاريا هذه رهبنت في برية شهيت على يد الأنبا بامو ، وذكر كذلك أن أخت هيلاريا مرضت حتى أوشكت على الموت ، فنصح الإمبراطور بإرسالها إلى برية شهيت ، حيث وضعت إلى جوار تابوت هيلاريا فبرأت من مرضها ، وعادت إلى القسطنطينية ، ودهش الامبراطور لهذه النتيجة ، وقيل أنه أصر أن يرسل إلى رهبان

برية شهيت كل عام ثلاثة آلاف أردب قمح ، وستائة مكيال زيت . غير أن القصة السابقة يشوبها بعض الشك في أن زينون لم تكن له بنات . على أن هذه القصة إن دلت على شيء فإنما تدل أولاً على أن عدد الرهبان زاد وقتذاك وأن البابا الارثوذكسى عاد له نفوذه حتى نسمع كثيراً عن استمرار إرسال بعض الأباطرة ، من بعد زينون الهدايا والمنح للرهبان حتى الفتح العربى لمصر ، بل استمر بعد الفتح العربى ، حتى أن المقرئى ذكر أن عمر بن الخطاب أمر باعطاء رهبان الدير عطايا سنوية . وتضيف أكثر المراجع ، إلى ما ذكر أن الحركة الرهبانية انتعشت ، كما تحولت بعض المجامع إلى حياة ديرية ، وزادت المعونات التى أرسلتها القسطنطينية إلى مجامع الرهبان وخاصة من مواد البناء (٧) ، كما تذكر أن كنيسة الأنبا مكاريوس بنيت وقتذاك ، أى أواخر القرن الخامس ، فى وادى هيب ، وهذا معناه أيضاً أن الحياة الديرية بدأت فى الظهور فى هذا القرن .

### هرطقة يوليان :

على أن الانقسام الذى تعرضت له الكنيسة القبطية بين الارثوذكسية وهى ما عرفت أحياناً ( بالمونوفيزيه ) وبين الملكانيين ، يعتبر أهم حدث فى تاريخ المسيحية الأولى فى مصر حتى تأثر الإسقيط بهذا الانقسام .

وفى سنة ٥١٨ م التجأ ساويرس بطريرك انطاكية الذى بدأ يتقرب إلى كنيسة الاسكندرية ويؤمن بعقيدها ، وكذلك يوليان

أحد الرهبان الذى كان قبلاً أسقفًا فى Halicarnasus \* وقد هرب الاثنان من بطش الامبراطور جستنيان ، ومعهم جمع من الاساقفة وظلوا ينتقلون من مدينة إلى مدينة ومن دير إلى دير. وكاتب ساويرس الاساقفة فى الاسكندرية يعزيهم ويوصيهم أن يثبتوا فى الشدائد بشجاعة ، وذلك فى مدة بطريكية الانبا تيموثاؤس الثانى والثلاثين . غير أن يوليان انتهز فرصة غياب الانبا ساويرس وكتب طوماراً ( منشوراً ) شرح فيه أمانة أوطاخى وأبوليناريوس ومانى والكسيس وملاء بأراء حول جسد المسيح وأنه دفى ، ، وبعث به إلى رهبان البرية فقبلوه ووقعوا فى حيلته باعتباره من قبلهم البابا تيموثاؤس ، إلا سبعة رهبان ، ذكر تاريخ البطاركة أن الله أضاع قلوبهم فلم يقبلوه ، وأضاف تاريخ البطاركة أنهم سمعوا صوتاً يقول : هذا الطومار نجس ، فقام عليهم الذين وقعوا فى ضلالة يوليان وقتلوا منهم اثنين ففرقوا ، وصاروا يصلون القديس فى قلايهم بدير أبى مقار وغيره . (٨)

ونخلص بما ذكره صاحب تاريخ البطاركة أن يوليان هذا كان ممن اشتركوا فى مجمع خلقيدونية ، الذى نادى بمبدأ الطبيعتين . وتضيف هذه القصة كيف هاجم من اعتنق مذهب يوليان الجامع الرهبانية ، والحقوا الأذى بالرهبان . وقد دفع هذا العمل ساويرس إلى كتابة خطابات ، لدحض هرطقة يوليان ، كما ذكر السنكسار العربى تحت تاريخ • بابه أن ساويرس انتقل إلى



مقبرة السيدة المدرء بدير الحوريات  
لاحظ دقة النقوش حول المقصورة



برية شهيت . كما ذكر في تاريخ البطاركة أنه استعان بارسثوماخس والى مصر لدفع خطر يوليان ، وتمكين البقية الباقية من رهبان شهيت من إعادة تعمير كنائسهم وبناء حصونهم ودفع خطر أتباع يوليان . ويبدو أن أرسثوماخس ساعد ساويرس كثيراً في هذا الشأن ، حتى أنه بنى كنيسة خاصة في وادى النطرون قبل كنيسة مكاريوس الكبير . ويقدر تاريخ بناء هذه الكنيسة بنحو سنة ٥٣٥ م ، حيث ذكر أن الذى كرسها هو البطريك الانبا تيودوسيوس الثالث والثلاثين ، الذى جلس على الكرسي الاسكندري في هذا العام .

على أن المهم في بناء هذه الكنيسة الثانية إلى جوار كنيسة القديس مكاريوس ، إلى جانب ما ذكرته كل المراجع المتأخرة عن وجود كنيستين في كل دير في القرنين الخامس والسادس الميلاديين ، وأن كل كنيسة جديدة دشنت على اسم السيدة العذراء ، هذا كله يبين الاتجاه إلى الحياة الديرية ، كما يوضح مدى الاهتمام بالوعى الدينى بين الرهبان ، لدحض البدع ومنها بدعة نسطور في مناداته بأن العذراء ليست أم الإله ، والشئ الثالث ، أن بناء هذه الكنائس على اسم السيدة العذراء هو لدحض بدعة اليوليانين الذين أنكروا حقيقة التجسد وخطوا من كرامة العذراء مريم .

برية شهيت وكرسي الاسكندرية في القرن السادس :

على أن ثمة نتيجة هامة لاضطهاد الإمبراطور جستنيان لأقباط مصر

الارثوذكس هو هروب الاقباط الى بركة شيهيت ووادي التطرون. وحين زاد اضطهاد الامبراطور وتعيينه بطاركة من الملكانيين ، بدأ الباباوات الارثوذكس في الهروب الى دير القديس مكاريوس. وبلغ الاضطهاد أشده حين ذبح عدد كبير من الاقباط الذين رفضوا الانصياع لمذهب الامبراطور ، وقدر المقریزی هؤلاء بألفي نسمة . ومهما يكن من شيء صار البطاركة يتقلون من دير الى دير ، طلباً للنجاة ، وتشجيعاً للمؤمنين والثابتين على الإيمان الارثوذكسي ، حتى استقر المقام ببطريك الاسكندرية في دير أبي مقار ، الذي اجتمع فيه عدد كبير من هؤلاء الهاربين . وظل البطاركة في دير أبي مقار حتى سنة ٦٠٥ م ، حيث غادر الأنبا انستاسيوس ، ودخل الى مقر كرسيه بالاسكندرية بعد أن منع جستنيان دخول البطاركة الارثوذكس اليها . وقد احتل دير أبي مقار أهمية كبيرة فيما بعد حتى أن المقریزی ذكر أن البطريك ، لم يكن يعترف ببطريركيته ، ما لم ينصب في كنيسة أبي مقار <sup>(٩)</sup> ، وصار هذا تقليداً ظل البطاركة يتبعونه فترة طويلة ، فيذهبون الى هناك حتى بعد رسامتهم .

وهكذا أصبح دير أبي مقار المركز الرئيسي للكراسة المرقسية ، وأول من انتقل الى هناك هو الأنبا دميان . على أن انتقال البطريك دميان الى هناك لم يكن بسبب اضطهاد جستنيان لحسب ، وإنما يضاف الى هذا ما وجد من بدع جديدة انتشرت هناك مثل بدعة ميليتوس أسقف أسيوط ، وحين سمع الأنبا دميان بانتشار أصحاب هذه البدعة ، بين الرهبان ، بعث برسالة طلب

فيها طرد أتباع ميليتوس ، الذين اعتادوا شرب الخمر ليلة عدة مرات بل تجرأوا أن يتقدموا لتناول الأسرار المقدسة في اليوم التالي ، واندفعوا في شرب الخمر ، بيدعة مؤداها أن السيد المسيح أعطى تلاميذه ليلة الصلب كأسين ، الأول أعطاه دون أن يقول هذا هو دمي ، ثم أعطى الكأس الثاني وقال كلمته المأثورة « هذا هو دمي » . غير أنه رغم أن الأنبا دميان دحض هذه البدعة ، وقال أن تعاليم الرسل نفسها ، حرمت تناول أى طعام أو شراب قبل التقدم للأسرار الالهية ، فإن أتباع ميليتوس ، ظل عدد منهم على هرطقته فأصدر أمره بطردهم من المجامع الرهبانية والاديرة ، وساح من ارتدع .

على أن برية شهيت تعرضت بعد هذا كله لغارة أخرى من غارات البربر ، تركتها خراباً بعد أن ذبح البربر عدداً من شيوخها ، ونهبوا أمتعتهم ، وأسروا بعضهم ، وباعوهم في أسواق النخاسة . وقد أمكن تحديد تاريخ تقريبي لهذه الغارة بالاستعانة بعدة وثائق ، ذكر بعضها في تاريخ البطاركة ، وكذلك اعتماداً على ما كتبه يوحنا موصخوس John Moschus الذي زار مصر بعد سنة ٥٧٨ م <sup>(١٠)</sup> ، ذلك أنه لم يذكر شيئاً عن زيارته لبرية شهيت رغم أنه زار ترنوط والقلالي ( سلييا ) ، وهذا دليل على خراب منطقة شهيت . وربما كانت مخاطرة أن يزور بضعة الرهبان الذين عادوا إليها بعد خرابها . على حين ذكر أنه قابل في ترنوط تيودور الاسكندري ، والاب إيرناوس ، وغيزم من أخبروه عن غارة البربر ، وما فعلوه فيهم من التجريح.

والقتل والبيع في أسواق النخاسة، وهكذا يمكن تحديد تاريخ الإغارة بين سنتي ٥٧٠ م ، ٥٧١ م . ويتفق مع هذا ميمر الأنبا دانيال القبطي ، إذ ذكر أن عودة الأنبا دانيال إلى الإسقيط كان عند موت جستنيان أي سنة ٥٦٥ م ومن المعروف أنه لم تمض عدة سنوات على عودة الأنبا دانيال إلى الإسقيط حتى هاجم البربر الأديرة ، كما يقال أن الأنبا دانيال نفسه توفي بعد خراب الإسقيط ( بركة شهيت ) بوقت قصير ، وتحددت وفاته بحوالى سنة ٥٧٢ م . (١١)

موقف هرقل من الكنيسة القبطية وأثر ذلك في وادى النطرون :

وإذا تركت غارة البرابرة بركة شهيت خراباً لفترة امتدت نحو نصف قرن ، فإن هذه الفترة يحيطها الغموض . على أنه من المحتمل أن عدداً قليلاً من رهبانها عاد إليها بعد هذه الفترة غير أن هذا العدد لم يتمكن من إعادة الحياة الرهبانية فيها كما كانت قبل الغارة .

وفي سنة ٦٢٧ م جلا الفرس عن مصر التي عادت إلى حظيرة الدولة البيزنطية ، وأنداك اقتنع هرقل أن إعادة الأقاليم التي مزقتها الفرس من إمبراطوريته إلى تماسكها يمكن أن يتم بتسوية الخلافات المذهبية ، ورأى أن يركز تسويته على وحدة المشيئة والعمل في السيد المسيح ، وترك جانباً مسألة الطبيعة أو الطبيعتين في المسيح . وحتى يضمن لتسويته بين الملكانيين والمونوفيزيين - النجاح سعى لتعيين سيرس Cyrus البطريرك

الملكانى على الاسكندرية سنة ٦٢٨ م<sup>(١٢)</sup> . وفى هذا الوقت كان  
البطريك المونوفيزيى ( الارثوذكسى ) على الاسكندرية هو البابا  
بنيامين الاول ( ٦٢٢ م - ٦٦١ م ) ، ولحقاً لتاريخ البطاركة ،  
أوحى اليه أن يهرب حتى لا يقع تحت ضغط سيرس . ولذلك  
بعد أن حذر شعبه ورعاتهم من التهاون فى الإيمان الارثوذكسى ،  
ترك الاسكندرية سنة ٦٣١ م مشياً على الأقدام ، حتى وصل إلى  
« وادى هيب » ، حيث كان عدد الرهبان قليلاً فشجعهم ، ثم  
مضى إلى سبيله متجهاً نحو أحد الأديرة فى الصعيد ، حيث اختفى  
مدة عشر سنوات ، وكان موقف بنيامين فى هذا موقفاً مسالماً  
خشيه حدوث الاضطرابات ، التى قد لا يحمد عقابها ، نتيجة  
هذه التسوية التى لن يقبلها شعب الاسكندرية بالمرّة .

والمستبع لتاريخ الكنيسة القبطية فى هذه الفترة بالذات ، يلى  
أن الكنيسة القبطية الارثوذكسية فى مصر كانت الداعى الاول للمحافظة  
على وحدة الكنيسة ، لا سيما منذ مجمع نيقية ، ولا عجب أن نلن كذلك  
كيف شعر بطاركة الاسكندرية بعطف العالم المسيحى عليهم وتقديره  
لعلمهم ونبوغهم ، حتى أن كنيسة روما نظرت وقتذاك إلى كنيسة  
الاسكندرية بعين الاجلال والاعتبار . غير أن انتقال الكنيسة منذ مجمع  
خلقيدونية إلى الاطار القومى ، مع الشعب المتحمس للتخلص من نير  
الاحتلال البيزنطى دفع البطاركة إلى العمل بالاشتراك مع الشعب  
للتخلص من نير الامبراطورية البيزنطية بصرف النظر عن النواحي  
الدينية ، حتى أن البطريك ديسقورس طالما صرح بقوله « إن البلاد  
لي أكثر مما هى للأباطرة ، وإنى أطالب بالسيادة على مصر ، ومن أجل



هذا أعلن الشعب القبطى بزعامة الرهبان الأقباط ، أن البطريك سيرس Cyrus ، الذى عينه الإمبراطور هرقل قبيل انتح الاسلاى ، هو عدو المسيح وأنه صنيعه القسطنطينية والامبراطور البيزنطى ، وأنه يحاول فرض سيطرة الإمبراطورية على البلاد عن طريق فرض الآراء والمذاهب المستوردة ، ولا عجب أن علق على الموقف الأسقف يوحنا النقيوس الارثوذكسى المذهب بقوله « نتمجد سيدنا يسوع المسيح ، ولنسبح اسمه القدوس ، فى كل وقت ، لأنه حمانا نحن المسيحيين حتى هذه الساعة من ضلال الوثنيين المرتدين ومن انهزام الملحدون الخونة » (١٢)

أما سيرس فانه عقد بمجرد وصوله سنة ٦٣١ م إلى الاسكندرية مجعاً ، حيث وضع مشروعاً من تسعة مواد للتسوية المقترحة على أساس أن للمسيح مشيئة واحدة Monothelite ثم كتب بهذا وثيقة ، بعث بها إلى أديرة وادى النطرون ليوافقه عليها الرهبان . وأتذاك كان الأنبا بنيامين فى مخبئه بالصعيد ، واستطاع سيرس أن يحتل كرسية ، وبفضل تأييد السلطات الزمنية له ، بعث بهذه الوثيقة مع وفد إمبراطورى أيدته بعدد كبير من الجند . ومؤدى هذه الوثيقة طلب الرهبان الاعتراف بقرارات مجمع خلقيدونية ، كذلك قرار البابا ليو Tome Of Leo . وحين وصلت هذه الحملة إلى دير القديس مكاريوس الكبير تصدى لها الأنبا صموئيل القلمونى ، الذى كان كاهناً ورئيساً لهذا الدير وقتذاك ، بل أنه أعلن حرم كل من نادى بها ، ثم مرق هذه الوثيقة ، مما كان سبباً فى وقوعه هو ورهبانه تحت عقاب رجال الإمبراطور هرقل . واضطر أن يهرب هو ومن معه جنوباً بين حى وميت ،



حتى وصل إلى صحراء الفيوم ، حيث أقام بها ديراً لا زال يحمل اسمه الآن ، كما فر بعض الرهبان إلى دير نهبيا التابعة لمدينة امبابية الحالية . — محافظة الجيزة — على أن هذا كله لم يمنع رضوخ بعض الرهبان الذين آثروا السلامة الجسدية وقبولهم للوثيقة ، وهؤلاء عاشوا باقى حياتهم فى أديرة وادى النطرون<sup>(١٤)</sup> .

وخلاصة هذا كله ، يمكن القول أنه رغم كل هذه الاضطهادات ، فإن الحركة الرهبانية والديرية انتعشت وقتذاك فى مصر بوجه عام ، وفى أديرة وادى النطرون على وجه الخصوص ، حيث صار دير القديس مكاريوس الكبير مقر الرئاسة الدينية . وفى هذا الوقت أيضاً كانت الأديرة المحيطة بالاسكندرية تزدهم بالرهبان . وقد ذكرت المراجع كذلك استمرار الحياة الرهبانية إلى جانب الحياة الديرية . وقد أوضح يوحنا موسخوس John Moschus أن المجمع الرهبانية الأربعة فى وادى النطرون هى التى تطورت فى القرنين الخامس والسادس ، إلى الأربعة أديرة المعروفة ، وأن هذا لم يمنع من وجود الحياة الرهبانية الانفرادية . غير أن الذى أدخل على مباني الأديرة مما لم يكن معروفاً فى القرن الرابع الميلادى هو الأبراج ، والحصون الضخمة ، التى استخدمت كملجأ يهرب إليه الرهبان عند هجوم الأعداء ، وذلك مثل ما حدث فى غارات البرابرة التى حدثت فيما بعد .

ومما حدث من تطوير أيضاً ، هو حرص الرهبان أو الديرين فى جميع الجماعات والأديرة على تعيين راهب كبير ، يحمل رتبة إينغومانوس أى « قص » ، وصارت وظيفته قيادة الرهبان فى الصلاة

العامّة وهذا دلالة على اتّجاه الرهبنة إلى العمل في إطار الكنيسة بشكل واضح . كما تولى هذا الراهب الكبير استقبال الضيوف ، وإرشاد الرهبان الجدد إلى طريقة الحياة الرهبانية ، كما كان عليه أن يتزود بنصائح البطريك لإفادة الرهبان بها ولتدعيم الصلة بين المجامع الرهبانية والكنيسة ، فحرص على زيارته مرة على الأقل كل عام ، وغالباً تمت هذه الزيارة في عيد الفصح<sup>(١٥)</sup> . على أن وجود هذا الراهب الكبير لم يمنع وجود شيخ لكل جماعة رهبانية صغيرة صار من أهم واجباته قيادة الجماعة في الصلاة الجامعة .

على أننا لم نلس شيئاً آخر من التغيير في نظم الصوم أو الصلاة أو الملابس أو العمل اليدوى باعتبار أن الكنيسة القبطية كنيسة تقليدية تهتم وتحافظ على التقليد ، ولكن الذى يستحق الذكر هو وجود ناقوس في كل دير يدق ليدعو الرهبان إلى الصلاة . وكذلك تطورت صناعة السلال وازداد إنتاجها بسهولة صانعتها وإمكان تصريفها .

#### الفتح العربى ووادى النطرون :

لم يكن شعور المصريين نحو الفتح العربى شعوراً عدائياً ، وإنما استقبل المصريون هذا الفتح بشيء من الارتياح ، وذلك بسبب المظالم التى رزح تحت عبئها المصريون فترة طويلة من جور الحكام البيزنطيين ، فضلاً عما حصل عليه المصريون من العهد العمرى بالأمان والحياة السالمة . ثم أن الفتح العربى عاون كثيراً



صالة الطعام في أحد الاديرة وبلاحظ في مقدمتها السكان الذي يلف عنده راجب  
يقوم ببعض القراءات الدينية أثناء تناول الطعام

على تخليص الكنيسة من منازعات الملكانيين أو الخلقيدونيين ، لأنهم ، على قلتهم ، اعتمدوا على سلطانهم ، الذى استمدوه من الدولة البيزنطية ، وهو الامر الذى أدى إلى هروب البطريرك الارثوذكسى بنيامين الاول إلى الصعيد ، ثم إلى دير القديس مكاريوس ، حيث سبقه إلى هناك أيضاً عدد كبير من أقباط مصر ، حتى صار هذا الدير مقر كرسى الاسكندرية (١٦) .

على أنه بقدم عمرو بن العاص إلى مصر فاتحاً لها أرسل إلى الأنبا بنيامين أماناً فى سنة ٢٠ هـ أمنه فيه على حياته وأمن المسيحيين جميعاً ، وطلب منه العودة إلى كرسىه وبسط يده فى كنائسه التى انتزعها الملكانيون منه (١٧) . وتحدث المقرئى عن خروج نحو سبعة آلاف راهب من وادى هيب وفى يد كل منهم عكازه ، واتجهوا نحو طرانة لاستقبال عمرو بن العاص ، وهو فى طريق عودته من الاسكندرية إلى حيث بنى القسطنطين ، يطلبون منه أن يكونوا فى رعايته هم وأديرتهم ، ومع أن هذا العدد مبالغ فيه فإنه يدل على وجود نشاط رهبانى كبير فى هذه المنطقة ، ومهما يكن لم يتأخر عمرو بن العاص عن إجابتهم لمطلبهم وأعطاهم عهداً حفظوه عندهم ، كما ذكر المقرئى أن عمرو بن العاص تمشياً مع منح وعطايا زينون السابق ذكرها ، أمر بتنفيذ رأى الخليفة عمر بن الخطاب بخص لاهذه الأديرة دخل سنوى قدر بنحو خمسة آلاف أردب من حصيلة خراج الوجه البحرى . وكيفما كان الامر فإن سياسة العرب نحو القبط فى بداية الفتح كانت ودية للغاية ، وينهض دليلاً على هذا أن عمرو أصدر

إعلانه أو أمانته المشهور يدعو فيه البطريك بنيامين ليعود من  
محبته لدير شئون كنيسة الاسكندرية ، فعاد بنيامين سنة ٦٤٤ م  
وبدأ عمله فلم شعث الكنيسة التي فرقها الاضطهادات السابقة (١٨)  
ولم ينس الأنبا بنيامين أن يمد يد البناء لأديرة وادي هيب  
وسلياً . وذكر المقرئى ، الذى نقل عن مصادر معاصرة موثوق  
بها ، أن البطريك المذكور أعاد بناء أديرة أنبا بيشوى ودير  
العذراء فى وادي هيب . كما ذكر تاريخ البطاركة أنه فى أيام  
البطريك الأنبا أغاثون ، خليفة الأنبا بنيامين ، بنيت كنيسة  
حملت اسم القديس مكاريوس . ولا شك أن هذا كله أدى إلى  
إنعاش الحركة الرهبانية حيث أيدت المراجع هذه الزيادة فى عدد  
الرهبان ، وكذلك زيادة عدد القلاى وقتذاك .

وتضيف المراجع كذلك أن الأنبا بنيامين بنى ضريحاً ، نقل  
إليه عظام تسعة وأربعين شهيداً ، قتلهم البربر من بين رهبان  
شبهت ، واحتفل الأنبا بنيامين بهذه المناسبة احتفالاً دينياً ضخماً ،  
تخللته الترانيم والتسابيح بحضور الكثيرين من الرهبان والشعب (١٩)  
على أن عودة الأنبا بنيامين من دير أبى مقار فى ودى النطرون  
لم يقلل من شأن هذا الدير فيما بعد ، بل ظل انتقال الباباوات  
إلى هذا الدير مرعياً فترة طويلة ، إذ نظر إليه باباوات الاسكندرية  
على أنه الحصن المنيع الذى طالما هرعوا إليه من اضطهاد  
الدولة البيزنطية فترك فى نفوسهم أثراً طيباً جعل البطاركة يحرسون على  
طبخ الميرون فى هذا الدير ، كما كان البطريك المنتخب يمر فيه  
بحفلة تجليس ثانية . وتعود كثير من البطاركة الإقامة طوال فترة

الصوم الكبير وحضور صلاة عيد الفصح في دير القديس مكاريوس .  
على أن الاتجاه إلى تشجيع الرهبة في بداية الفتح العربي صار  
يهتف إلى رفع شأن الكنيسة ، حيث انبرت الرهبة في كل وقت  
لمحاربة كافة البدع والهرطقات ، ولعل في هذا أيضاً ما ينفي القول القائل  
بأن الرهبة كانت هروباً من الحياة الواقعية والمسئوليات ، بل  
لعل العكس هو الصحيح بعد هذا كله الذي سقناه ، فلم تقف  
الرهبة مكتوفة الايدي أمام كل الهجمات ، التي تعرضت لها الكنيسة  
في إيمانها ، ولهذا لا نجب أن نطمئن الكنيسة إلى الرهبان  
فتختار منهم خدامها ورؤساء الكراسي الاسقفية والبطريركية نفسها .  
ويكفينا القول أن المسيحية المصرية قبيل الفتح العربي لمصر  
إنما كانت أداة للتحرر السياسي والتخلص من نير الحكم البيزنطي  
وذلك بزعامة الرهبان الذين قدر لهم أن يحتلوا مراكز الصدارة  
في الكنيسة القبطية .



لحظة لقاء الزمان مع أجب التوحيد في مغارة بالجبل



## مراجع وشواهد الفصل السادس

- (١) كيرلس الأنطوني : عصر المجامع ص ٢٠٥ - ٢٠٨ .
- (٢) White : The Hist. Of Monasteries of Wadie En Natroun V II PP. 218-220.
- (٣) كيرلس الأنطوني . عصر المجامع ص ٢٠٢ - ٢٠٨ .
- (٤) وول : موجز تاريخ القبط ص ١٦١ .
- (٥) White : OP. Cit. PP. 222-223.
- (٦) ساويرس بن المقفع : تاريخ البطاركة ص ٣٥ .
- (٧) نفس المرجع : ص ٢٦ .
- (٨) نفس المرجع : ص ٢٨ .
- (٩) راجع المقریزی : الخطط (المواعظ والاعتبار) ج ٢ ص ٤٩٠ - ٤٩٢ .
- (١٠) Cauwenberg : Etudes Sur Les Moines D'Egypte, P.P, 49-50.
- (١١) White : OP. Cit. P 250.
- (١٢) Cauwenberg : OP. Cit. P. 103.
- (١٣) Zotenbergh, : Memoire Sur Le Chronique Byzantine De Jean, Eveque De Nikion, P 587.
- (١٤) Evetts & Butler : Churches & Monasteries Of Egypt Fol 63-66.
- (١٥) Clugnet : Vie Et Ricits De L'Abbe' Danil Le Scétiot P 12.
- (١٦) انظر بتلر : فتح العرب لمصر : ص ٣٥ - ٤٠ .
- (١٧) المقریزی : الخطط (المواعظ والاعتبار) ج ٢ ص ٤٩١-٤٩٢ .
- (١٨) ساويرس بن المقفع : تاريخ البطاركة ص ٤٩ .
- (١٩) نفس المرجع ص ٥٠ - ٥١ .

# ملاحق البحث

## ملحق . قم ١

ما ذكره المقرئ عن أديرة وادي النطرون  
( القرن ١٥ م )

وأما وادي هيب وهو وادي النطرون ويعرف بيرة شيهات  
وبيرة الإسقيط وبميزان القلوب فإنه كان بها في القديم مائة دير ،  
ثم صارت سبعة ممتدة غرباً على جانب البرية القاطعة بين بلاد  
البحيرة والفيوم ، وهي في رمال منقطعة وسبخ مالحة وبراز  
منقطعة معطشة وقفار مهلكة ، وشراب أهلها من حفائر وتحمل  
النصارى اليهم الذور والقرايين ، وقد تلاشت في هذا الوقت  
بعد ما ذكر مؤرخو النصارى أنه خرج إلى عمرو بن العاص من  
هذه الإديرة سبعون ألف راهب بيد كل واحد عكاز ، فسلوا  
عليه وأنه كتب لهم كتاباً هو عندهم .

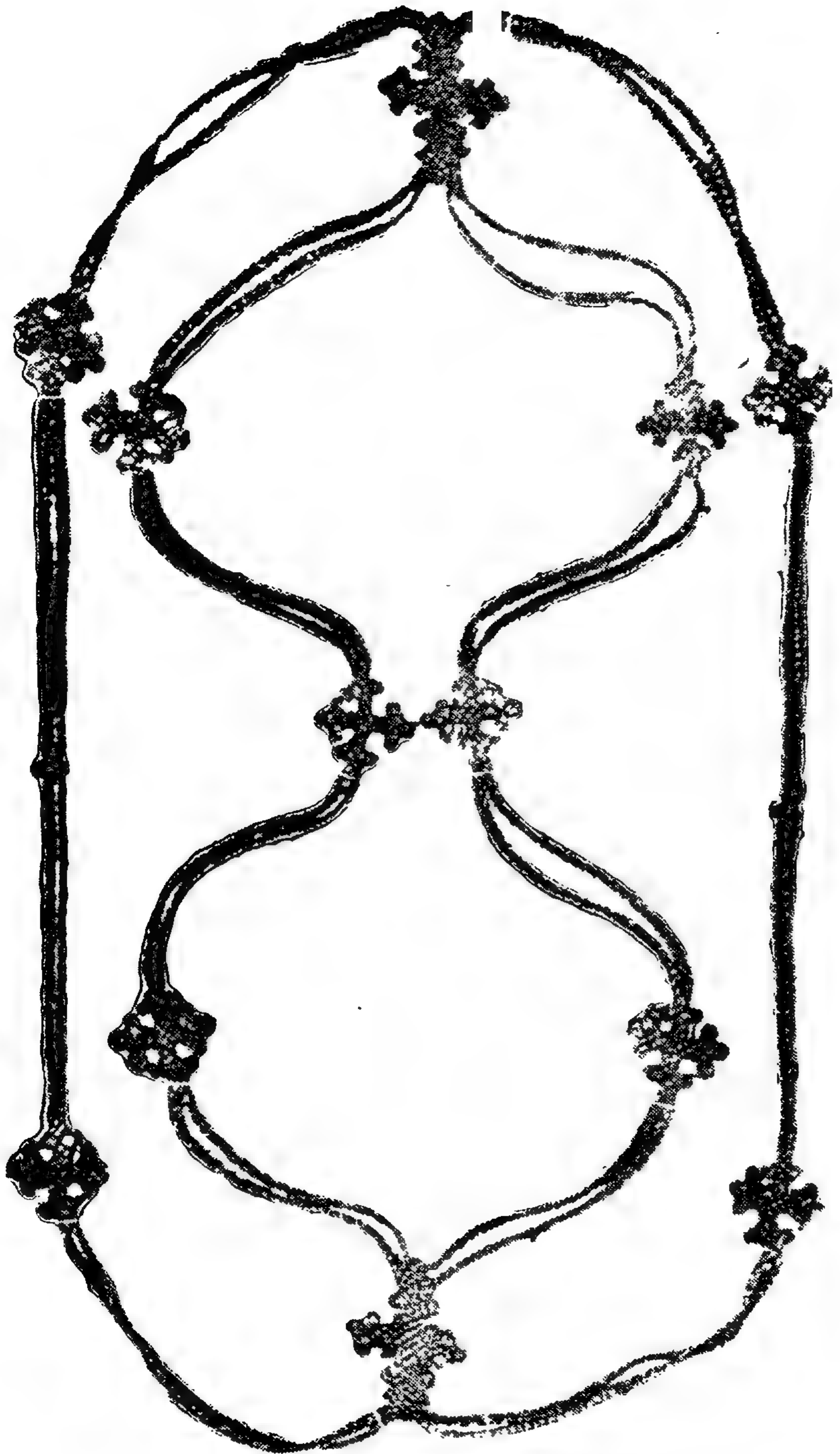
( فمنها دير أبي مقار الكبير ) وهو دير جليل عندهم وبخارجه  
أديرة كثيرة خربت ؛ وكان دير النساك في القديم . ولا يصح عندهم  
بطركية البطرك حتى يجلسوه في هذا الدير بعد جلوسه بكرسى  
اسكندرية ، ويذكر أنه كان فيه من الرهبان ألف وخمسمائة  
لا تزال مقيمة به وليس به الآن إلا قليل منهم . والمقارات  
ثلاثة أكبرهم صاحب هذا الدير ، ثم أبو مقار الاسكندراتي ثم  
أبو مقار الاسقف ، وهؤلاء الثلاثة قد وضعت أجسادهم في ثلاث  
أنابيب من خشب ، وتزورها النصارى بهذا الدير وبه أيضاً

الكتاب الذي كتبه عمرو بن العاص لرهبان وادى هيب بطرانة نواحي الوجه البحري على ما أخبرني من أخبر برؤيته منه .  
( أبو مقار الأكبر ) هو مقاريوس أخذ الرهبانية عن أنطونيوس وهو أول من لبس عندهم القلنسوة والاسكيم ، وهو سير من جلد فيه صليب يتوشح به الرهبان فقط ، ولقى أنطونيوس بالجبل الشرقي من حيث دير العزبة وأقام عنده مدة ثم ألبسه لباس الرهبانية وأمره بالمسير إلى وادى النطرون ليقم هناك ففعل ذلك ، واجتمع عنده الرهبان الكثيرة العدد وله عندهم فضائل عديدة منها ، أنه كان لا يصوم الأربعين إلا طاوياً في جميعها لا يتناول غذاء ولا شراباً البتة مع قيام ليلاً .

وكان يعمل الخوص ويتقوت منه وما أكل خبزاً طرياً فقط ، بل يأخذ القراقيش فيبليها في نقاعة الخوص ويتناول منها هو ورهبان الدير ما يمسك الرمق من غير زيادة . هذا قوتهم مدة حياتهم ، حتى مضوا لسبيلهم . وأما أبو مقار الاسكندراني ، فإنه ساح من الاسكندرية إلى مقاريوس المذكور ، وترهب على يديه ، ثم كان أبو مقار الثالث وصار أسقفاً .

( دير أبي يحنس القصير ) يقال أنه عمر في أيام قسطنطين ابن هيلانه ، ولأبي يحنس هذا فضائل مذكورة ، وهو من أجل الرهبان ، وكان لهذا الدير حالات شهيرة ، وبه طوائف من الرهبان ، ولم يبق به الآن إلا ثلاثة رهبان .

( دير الياس ) عليه السلام وهو دير للحبشة ، وقد خرب دير يحنس كما خرب دير الياس ، أكلت الأرضة أخشابهما فسقطا ،



جزء من الاسكندر وهو من الجلد المصنوع

وسار الحبشة إلى دير سيدة بويحنس القصير ، وهو دير لطيف بجوار دير بويحنس القصير ، وبالقرب من هذه الأديرة .

( دير أنبا نوب ) وقد خرب هذا الدير أيضاً ( أنبا نوب ) هذا من أهل سمنود قتل في الإسلام ووضع جسده في بيت بسمنود . ( دير الأرمن ) قريب من هذه الأديرة وقد خرب . وبجوارها أيضاً ( دير بوبشاي ) وهو دير عظيم عندهم من أجل أن بوبشاي هذا كان من الرهبان الذين في طبقة مقاريوس ويحنس القصير ، وهو دير كبير جداً .

( دير بازاء دير بوبشاي ) كان بيد اليعاقبة ثم ملكته رهبان السريان من نحو ثلثمائة سنة ، وهو بيدهم الآن ، ومواضع هذه الأديرة يقال لها بركة الأديرة .

( دير سيده براموس ) على اسم السيدة مريم ، فيه بعض الرهبان وبازائه ( دير موسى ) ويقال أبو موسى الأسود ، ويقال برموس وهذا الدير لسيده برموس ، فبرموس اسم الدير ، وله قصة حاصلها أن مكسيموس ودوماديوس كانا ولدى ملك الروم ، وكان لهما معلم يقال له أرسانيوس فسار المعلم من بلاد الروم إلى أرض مصر ، وعبر برية شيهات ( شيهيت ) هذه وترهب وأقام بها حتى مات ، وكان فاضلاً . وأتاه في حياته ابنا الملك المذكوران وترهبا على يديه ، فلما ماتا بعث أبوهما فبنى على اسمهما كنيسة برموس ، وأبوموس الأسود كان لصاً فأتكا قتل مائة نفس ثم أنه تنصر وترهب وصنف عدة كتب ، وكان ممن يطوى الأربعين في صومه وهو بربرى <sup>(١)</sup> .

---

(١) راجع المقرئى : المواظ والاعتبار ج ٢ ص ٤٩١ - ٤٩٣



## ملحق رقم ٢

من ترتيب قسمة الرهبان ، والصلاة الخاصة برسائهم

---

ينبغي لمن أراد أن يصير راهباً ، أن يقيم ثلاث سنين ،  
يتعلم شروط الرهبنة ، ويتعظ بالكمال من كتاب بستان آبائنا  
(آباءنا) لابسى الصليب ، ويرشد إلى الفلسفة الحقيقية . فاذا نما  
تحلق رأسه ، ويدعى فيمد على الأرض ، ورأسه نحو الشرق ،  
ووجهه مطامن إلى الأرض ، وثيابه مفروشة عليه ، وابتدىء وقل :  
إرحمنا يا الله ... ، ثم تقول صلاة الشكر ، وترفع البخور ،  
ويقال يارب إرحم ، وترتل هذه :

« نسجد للآب والابن والروح القدس الثالوث المقدس ،  
المتساوى الجوهر . السلام لك يا مريم ، الحامة الحسنة ، التى ولدت  
لنا الله الكلمة . بشفاعات رؤساء الملائكة القديسين : ميخائيل  
وغبريال وروفايل ، أنعم لنا يا رب . بصلوات العساكر  
الملائكية ، وسائر الطغيات السمائية ، أنعم لنا يا رب . بصلوات  
القديس يوحنا المعمدان ، وساداتنا وآبائنا الرسل ، ومرقس الناطق  
بالإلهيات ، أنعم لنا يا رب . بصلوات القديس استفانوس أول  
الشهداء ، والقديس جاورجيوس الشهيد العظيم ، بصلوات القديس  
مرقوريوس ومارى مينا ، ومارى بقطر الشهداء ، أنعم لنا يا رب .  
بصلوات آينا الأنبا أنطونيوس ، وآينا الأنبا مقاريوس وأولاده  
اللابسى الصليب ، أنعم لنا يا رب . بصلوات القديس باخوميوس ،

صاحب الشركة ، وتليذه تاودروس ، والانبيا بولا السايح ، الرب  
ينعم . بصلوات صفوف الشهداء وسائر صفوف الالابسى  
الصليب ، أنعم لنا يارب بخفران خطايانا . فلنسبحك يا ربنا  
يسوع المسيح ، مع أيك الصالح والروح القدس ؛ لأنك أتيت  
وخلصتنا .

ثم يقول الأسقف أو الايغومانوس ( القمص ) صلاة البخور  
وهى هذه : « اللهم العظيم الأبدى الغير المبتدى ، الذى ليس له  
نهاية ، العظيم . . . . القوى فى أفعاله » وهى موجودة فى قداس  
القديس باسيليوس .

ثم يقول الأسقف صلاة أخرى وبعدها يقال يارب ارحم ،  
يارب بارك آمين هلوليا . المجد للآب وأبانا هلوليا ، هلوليا ،  
المجد لك يا إلهنا ، مراراً . ويرتل المزمور الخمسون « إرحمنى  
يا الله ، ، والمزمور المائة والثامن عشر ، « طوباهم الذين بلا عيب  
فى السبيل ، . وفى آخر هذا المزمور تقال أوشية المرضى ،  
وبعدها تسبحة الملائكة أى « فلنسبح مع الملائكة قائلين المجد لله  
فى الاعالى . . . . إلى أن يقال أخيراً » نسأل أذكربنا أيتها الشفيعه  
الأمينه أمام ربنا يسوع المسيح ليغفر لنا خطايانا ، ثم تقال  
هذه الصلاة :

« محب البشر الصالح ، سيدى يسوع ، أطلب اليك ، لاتطرحنى  
عن شمالك مع الجداء الخطاة . ولا تقل لى أيضاً لانتى لست  
أعرفك ، إذهب عنى يا مستعد للنار الأبدية ، لانتى أعلم بالحقيقه  
لانتى خاطيء . . لمنحنى يارب توبه كى أتوب قبل أن يغلق

الموت فإى فى أبواب الجحيم . . السلام لأيتنا أنطونيوس رئيس  
الرهبان ، السلام لأيتنا أنبا بولا حبيب المسيح . أطلب من  
الرب عنا يا سيدى الاب الأنبا أنطونى وأولاده لباس الصليب  
ليغفر لنا خطايانا ، . ثم تقرأ بعض المزامير . ثم يقرأ جزء  
من رسالة بولس الرسول إلى أفسس باللحن الحزائنى ، ثم تقال  
الثلاثة تقديسات ، وصلاة الإنجيل ، ومقدمته المزمور المبتدىء  
« طوباهم الذين تركت لهم آثامهم » .

وبعد الإنجيل يقال طرح ( صلاة خاصة ) وبعدها صلاة  
أخرى على رأس الراهب ، ثم يأخذ الاسقف أو الایفومانوس مقصاً  
ويقص شعر رأسه به مثال الصليب ويرتل الحاضرون « إفرح  
وابتهج ، يا جنس البشر ، لانه هكذا أحب الله العالم ، حتى بذل  
ابنه الحبيب عن الذين يؤمنون به ، ليحيوا إلى الابد ،

ثم يغطى رأس الراهب بالبلين ( غطاء للرأس ) ثم تقال  
هذه الصلاة على القلنسوة « السيد الرب الإله الضابط الكل ،  
أبا ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح ، نسأل ونطلب من صلاحك  
يا محب البشر ، ارشم عبدك يمينك ، إحصه مع عسكري السمائيين ،  
اضبطه ، باركه ، ثبته ، واحفظه من كل فعل شيطانى . . الخ . .  
ثم تصلى صلوات شكر أخرى على القلنسوة ، ثم ترشم  
الثياب بالصليب قائلاً « باسم الآب والابن والروح القدس ،  
الإله الواحد ،

ثم يقف الراهب ليلبس التراج ( قميص الرهبان ) ويقال له

« لابس عليك ثوب البر ودرع الخلاص ، واصنع ثمرة تليق بالتوبة . . . . » ثم يلبسه القلنسوة ويمسح على صلاة أخرى ، ثم يشد حقويه بالمنطقة الجلد ، ويقول له « تمنطق على حقويك بجميع سلاح الله ، وقوته القوية ، بالمسيح يسوع ربنا » . ثم تختتم بصلاة البركة من الاسقف أو الاينومانوس (١) .

---

( ١ ) راجع كتاب ترتيب قسمة الاكليريوس ص ١٥١ — ١٧٦

# المراجع و المصادر

أولا : د المراجع الاوربية ،

- 1,2 Amélineau E. : a ) Histoire Des Monasteres De La Basse Egypte. Annales Du Musée Guimet T XXV. Monuments Pour Servir A L'Histoire De L'Egypte Chrétienne. ( Paris 1894 ) ( A.M.G. ) .  
b ) La Geographie De l'Egypte A L' Epoque Copte ( Paris 1893 ) .
- 3 . Annan Isho of Beth Abhe : The Wit & Wisdom Of The Christian Fathers Of Egypt. The Syrian Version Of The Apophthegmata Patrum. Eng. Trans-by W. Budge ( Oxford 1934 ) .
- 4 . Besse J. M. Les Moines D'Orient Anterieurs Au Concile De Chalcedoine. ( Paris 1900 ) .
- 5 . Bonnet. H. M. : Histoire Des Ordres Religieux. ( Paris 1949 ) .
- 6 . Butcher : The Story Of the Church Of Egypt. 2 Vols ( London 1897 ) .
- 7 . Butler C. : The Lausiac History Of Palladius, Texts & Studies 2 Vols. V. I Cambridge 1898. V II Camb. 1904.
- 8 . Cabrol F. & Lecqlerque : Dictionnaire D'Archeologie Chretienne et De Liturgie T II ( Paris 1925 ) .
- 9 . Cambridge Medieval History, V I.
- 10,11 Cassien, Jean : a ) Les Conferences.  
b ) Institutiones De Cenobites. ( Trad. Par Dom. E. Pichery Tolose 1920 ) .

- 12 . Cauwenberg P.V. : Etudes Sur Les Moines D'Egypte Depuis Le Concile De Chalcedoine (451) Jusqu'A L'Invasion Arabe. ( Paris 1914 ).
- 13 . Champollion : L'Egypte Sous Les Pharaons T II ( Paris 1814 ).
- 14 . Cheneau P. Paul. D'Orleans : Les Saints D'Egypte 2 Vols. (Jerusalem 1923).
- 15 . Clugnet : Vie Et Recits De L'Abbe Daniel Le Scétiote.
- 16 . Conybeare F. : The Contemplative Life ( Oxford 1895 ).
- 17 . Curzon R. : Visits To The Monasteries Of The Levant ( London 1897. )
- 18 . D'Anville J.B.B. : Memoires Sur L'Egypt Ancienne Et Moderne. ( Paris 1766 ).
- 19 . De Labriolle : Vie De Paul De Thebes Et De Hilarion ( Paris 1924 ).
- 20 . De Lacy, O'Leary : The Saints Of Egypt. New York 1937.
- 21 . Dictionnaire De Théologie Catholique. V IX 2<sup>eme</sup> Partie.
- 22 . Duchesne : L' Histoire Ancienne De L'Eglise T II ( Paris 1911 ).
- 23 . Encyclopedia Americana , ( New York 1944 ).
- 24 . Encyclopedia Brittanica.
- 25 . Encyclopedia Of Religion & Ethics , (London 1930) ( E. R. E. ).
- 26 . Erman : Handbook Of Egyptian Religion, ( Trans. A.S. Griffith London 1907 ).



- 27 . Eusebius : Ecclesiastical History 2 Vols. ( Trans. by  
I. E. L. Oulton London 1953 ).
- 28 . Evetts & Butler : Churches & Monastries Of Egypt.
- 29 . Fliche & Martin : Histoire De L'Eglise Depuis Les  
Origines Jusqu'A Nos Jours. ( Paris 1936 ).
- 30 . Fowler M : Christian Egypt. ( London 1901 ).
- 31 . Gibbon : Decline and Fall Of The Roman Empire,  
4 Vols. ( London 1893 ).
- 32 . Glover T. R. : The Conflict Of The Religions In The  
Early Roman Empire.
- 33 . Graf. G : Catalogue De Manuscrits Arabes Chrétiens  
Conservé Au Caire ( Città De Vaticano 1934 ).
- 34 . Graffin : Patrologia Orientalis T V.
- 35 . Hanotaux Histoire De La Nation Egyptienne T I,II  
( Paris 1931 ).
- 36 . Hardy E. R. : Christian Egypt, Church and People  
( New York 1952 ).
- 37 . Harnack : History Of Dogma.
- 38 . Hefele: Histoire Des Conciles T I (Paris 1907-1908).
- 39 . Julien : Voyage Au Désert De Sceté et Nitrie, T XIV.
- 40 . Kraux X : Histoire De L'Eglise, ( Paris 1904 ).
- 41 . Ladeuze : Etude Sur Le Cenobitisme Pakhomien  
Pendant Le IV Siècle Et La Première Moitié Du  
Veme. Siècle ( Louvain 1898 ) .
- 42 . Mackean W. H. : Christian Monasticism In Egypt  
To The Close Of The 4th Century. (New York 1920).
- 43 . Milne J. G. : History Of Egypt Under Roman Rule  
( London 1930 ).

- 44 . Palladius : The Paradise Of The Holy Fathers, 2 Vols.  
( Trans. Budge ). ( London 1907 ).
- 45 . Petrie : Egypt and Israel, ( London 1923 ).
- 46 . Quatremère: Memoires Geographiques Et Historiques  
Sur L'Egypte. Recueillis Et Extraits De Manuscrits  
Coptes, Arabes etc. De La Bibliotheque Imperiale  
2 Vols ( Paris 1811 ).
- 47 . Revillout E. : Revue Egyptologie (1880).
- 48 . Rouillard : L'Administration Civile De L'Egypte  
Byzantine ( Paris 1928 ).
- 49 . Savary : Lettres sur L'Egypte T I.
- 50 . Sicard : Lettres Et Curieuses T V.
- 51 . Smith: Studies In Early Mysticism In The Near And  
Middle East. ( London 1892 ).
- 52 . Socrates : Ecclesiastical History From The Accession  
Of Constantine A. D. 305 to The 28th Year Of  
Theodosius II ( Eng. Trans. London 1874 ).
- 53 . Steindorff G : Religion Of The Ancient Egyptians.  
( New York 1903 ).
- 54 . Tillemont : Memoires Pour Servir A L'Histoire  
Ecclesiastique 16 Vols. ( Paris 1693-1712 ).
- 55 . Waddell Helen : The Desert Fathers, Tranalations Of  
( Vitae Patrum From The Latin ) ( London 1936 ).
- 56,57. White E. a ) : The Monasteries Of The Wadi N  
Natroun V. I New Coptic texts From The Monastery  
of St. Macarius  
b ) Hist. Of The Monasteries of Nitria and Of Scetis  
V. II ( New York 1932 ).

- 58 . Workman H.B. : The Evolution Of The Monastic Ideal. From The Earliest Times Down To the Coming Of The Friars. ( London 1927 ).
- 59 . Worrell H. : A Short Account Of The Copts ( Michigan 1945 ).
- 60 . Zoega: Catalogus Codicum Copticorm Manuscriptorm Qui In Museo Borgiano Velitris Adservantur ( Rome 1810 ).
- 61 . Zotenberg H, : Memoire Sur La Chronique Byzantine De Jean, Eveque De Nikiou, Journal Asiatique, 7eme Serie, 10 (1877), 12 (1878), 13 (1879).



## ثانياً - المراجع العربية

- ( ١ ) أثناسيوس : « ٣٧٣ م » ، سيرة أنطونيوس ، ترجمة حافظ داود ، القاهرة ١٩٥٠ .
- ( ٢ ) أحمد أمين ، زكى نجيب محمود : قصة الفلسفة اليونانية ، القاهرة ١٩٣٥ .
- ( ٣ ) أرمان ، أ . رانكه . ه . : مصر والحياة المصرية في العصور القديمة ، ترجمة « أبو بكر محرم كمال » .
- ( ٤ ) افرام الديرانى « القس » : العيشة الهنية فى الحياة النفسية « بيروت ١٨٩٩ » .
- ( ٥ ) ايسيدوروس « الأسقف » : الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة « جزءان » ، - « القاهرة ١٩٢٣ » .
- ( ٦ ) بلاديوس : بستان الرهبان ، طبعة دار النسخ والتحرير القبطية الجزءان الأول والثانى « القاهرة ١٩٥١ » ، وكذلك النسخة الخطية بالمتحف القبطى رقم ٦١٣ تاريخ والمنقولة عن مخطوطه بدير البراموس .
- ( ٧ ) ابن الجيعان : « ٨٥٥ هـ = ١٤٥١ م » ، شرف الدين يحيى على الدين شاكر بن المعز :  
التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية « القاهرة ١٣١٦ هـ : ١٨٩٨ م » ،
- ( ٨ ) حبشى ، بانوب : شنوده ، مقال فى صور من تاريخ

القبط ، رسالة جمعية مارى مينا ، الرسالة الرابعة ، الاسكندرية  
سنة ١٩٥٠ ،

(٩) حبشى ، القمص أرمانوس : تاريخ الاديرة البحرية  
« مصر ١٩٣٠ » .

(١٠) ابن دقوق : ٥٧٠٩ ١٤٠٦ م ، ابراهيم بن محمد المصرى  
الانتصار بواسطة عقد الامصار ، الجزء الخامس ، — ، القاهرة  
١٢٥٩ هـ : ١٨٩٣ م نشره Vollers .

(١١) الدويرى ، يسطس : موجز تاريخ المسيحية ، القاهرة  
سنة ١٩٤٩ )

(١٢) روفيله ، يعقوب نخله : تاريخ الامة القبطية ، مصر  
سنة ١٨٩٨ ،

(١٣) الرسل الحواريون : كتاب الدسقولية ، أو ، تعاليم  
الرسل نشر حافظ داود ، القاهرة ١٩٤٠ ،

(١٤) سرايون ، أسقف تمى الامديد (عاش فى القرن الرابع  
الميلادى ، وتوفى فى أوائل الخامس ) : سيرة مكاريوس الكبير  
ومكسيموس ودوماديوس . مخطوط تاريخه ١٠٧٢ ش رقم ٥١  
تاريخ بمكتبة بطريركية الاقباط الارثوذكس ، كاتبها بشارة جرجس  
الملوانى .

(١٥) سعيد بن بطريق : البطريك افثيشوس « ٥٨٤ ش :  
١٠٦٦ م ، : التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ، بيروت  
سنة ١٩٠٥ ،

- (١٦) سميكة ، مرقس : دليل المتحف القبطى وأهم الكنائس والأديرة الأثرية ( القاهرة ١٩٣٣ ) .
- (١٧) الشيال ، جمال الدين : تاريخ الاسكندرية ، مقال فى المجلة التاريخية المصرية العدد الثانى « ١٩٤٩ » .
- (١٨) أبو صالح الارمنى : كنائس وأديرة مصر نشره Evetts « أكسفورد ١٨٩٣ » .
- (١٩) الطوخى ، جبرائيل روفائيل وعبد القادر القاهرانى : حامى الإيمان القويم ( القاهرة ١٩٤٩ ) .
- (٢٠) طوسون ، عمر : وادى النظرون رهبانه وأديرته « اسكندرية ١٩٣٥ » .
- (٢١) الطويل ، توفيق : قصة الاضطهاد الدينى فى المسيحية والإسلام « القاهرة ١٩٤٧ » .
- (٢٢) عبد النور ، راغب : أوريجانوس ، مقال فى صور من تاريخ القبط — رسالة جمعية مارى مينا الرابعة « اسكندرية ١٩٥٠ » .
- (٢٣) ابن العسال : « القرن الثالث عشر ، أبى الفضائل الأجد : المجموع الصفوى أو كتاب القوانين « طبعة القاهرة ١٩٣٧ » : نشره القمص عبد المسيح صليب البرموس . وكذلك النسخة الخطية بالمتحف القبطى وتاريخها ٥٥٧ ش رقم ١٣٨ قانون .
- (٢٤ — ٢٥) عطيه ، عزيز سوريال : « ١ ، نشأة الرهبانية والديرية المسيحية فى مصر — مقال فى رسالة جمعية مارى مينا الرسالة الثالثة « مايو ١٩٤٨ » .



« ب ، الكنيسة القبطية والروح القوي في مصر في العصر  
البيزنطي — مقال في المجلة التاريخية المصرية المجلد الثالث —  
العدد الأول د ١٩٥٠ ،

(٢٦) عمانوئيل البعيداني « القس ، تاريخ الرهبانية الأنطونية  
« بيروت ١٨٩٨ ،

(٢٧) العمري « ١٤٢ : ١٣٤١ م ) شهاب الدين أحمد  
ابن فضل الله : مسالك الابصار في ممالك الامصار — الجزء  
الاول نشره أحمد زكي « القاهرة ١٩٢٤ ،

(٢٨) العهدان الجديد والقديم .

(٢٩) فيشر ه. ا. ل : تاريخ أوروبا في العصور الوسطى —  
القسم الاول ، الترجمة العربية للدكتور محمد مصطفى زياده والدكتور  
الباز العريني .

(٣٠) فيلوكسينوس المنبجي « القديس ، — « ٥٢٢ م ، أخبار  
الرهبان المصريين — مخطوط بالمتحف القبطي رقم ٢٩٤ تاريخ  
وتاريخه ١٠١٤ ش .

(٣١) كرم ، يوسف : تاريخ الفلسفة اليونانية « القاهرة  
سنة ١٩٤٦ ،

(٣٢-٣٣) كيرلس الانطوني « القمص ،

« أ ، كوكب البرية القديس أنطونيوس « القاهرة ١٩٥٠ ،

« ب ، عصر المجامع « القاهرة ١٩٥٢ ،

(٣٤) اللبناني ، عبد الله البستاني : البستان ، الجزء الثاني  
« بيروت ١٩٣٠ ،

- (٣٥) لومند : خلاصة تاريخ الكنيسة الجزء الاول ، ترجمة  
الخورى يوسف البستاني ، بيروت ١٨٨١ ،
- (٣٦) مبارك ، على : الخطط التوفيقية الجديدة — الجزء  
السابع عشر ، القاهرة ١٣٠٥ — ١٣٠٦ ،
- (٣٧) المقرئى : ٨٤٥ : ١٤٤١ م ، تقى الدين أحمد بن على :  
المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار — جزءان ، بولاق  
سنة ١٢٠٧ هـ ،
- (٣٨) المسعودى ، القمص عبد المسيح : تحفة السائلين فى ذكر  
أديرة الرهبان المصريين ، القاهرة ١٩٣٢ م ،
- (٣٩) ابن المقفع ، ساويرس « القرن العاشر الميلادى » : سير  
بطاركة الكرسى الاسكندرى ، نشره Evetts مارس ١٩٠٤ ،  
وكذلك النسخة الخطية بالمتحف القبطى رقم ١ تاريخ .
- (٤٠) ابن ممانى : ٦٠٦ هـ : ١٢٠٩ م ، شرف الدين أبوالمكارم  
أبى سعيد : كتاب قوانين الدواوين — نشره عزيز سوريال عطيه  
« القاهرة ١٩٤٣ ،
- (٤١) مؤلف غير معروف : البستان الكامل — مخطوط بدير  
السوريان رقم ٢٣ تاريخ . وتاريخه « ٣٠٠ : ش ،
- (٤٢) مؤلف غير معروف : سيرة أنبا بولا وأنبا بقطر  
مخطوط بدير السوريان رقم ٦ تاريخ — وتاريخه « ١٤٧٨ ش ،
- (٤٣) مؤلف غير معروف « يغلب أن كاتبها أحد تلاميذ  
باخوميوس ، :  
سيرة باخوميوس ، طبعة القمص عبدالمسيح المسعودى « القاهرة ١٨٩١ ،

- (٤٤) كتاب السبع صلوات أو «الاجبية» ،
- (٤٥) كتاب يشتمل على الصلوات المقدسة لاجل رسامات  
الاكليروس محفوظ بالمتحف القبطي طبع روما «تاريخه ١٤٧٨ ش» ؛
- (٤٦) مؤلف غير معروف : ميمر «سيرة» ، أنبا مكاريوس  
الكبير وأنبا مكاريوس الاسكندري كاتبها يوحنا بن يسطس  
الصعيدى — مخطوط بكنيسة أبى سرجه «تاريخه ١٤٠٦ ش» ،
- (٤٧) نخبة من آباء الكنيسة «بطرس الجليل أسقف مليج  
ومينخائيل أسقف أتريب وغيرهما» : الصادق الامين فى تاريخ  
القديسين — جزمان الجزء الاول — «القاهرة ١٦٢٩ ش» ،  
والثانى «القاهرة ١٩٥١» ، ويسمى كذلك كتاب السنكسار .
- (٤٨) نخله ، كامل صالح : تاريخ الامة القبطية «القاهرة  
سنة ١٩٤٩» ،
- (٤٩) وول ، وليم : موجز تاريخ القبط — مستخرج من  
صفحة من تاريخ القبط .
- (٥٠) يوحنا الصغير : ميمر «سيرة» ، أنبا يشوى — مخطوط  
بكنيسة قصرية الريحان رقم ١٣ تاريخ . وتاريخها ١٤٥٢ ش  
«١٧٣٦ م» .



# فهرس

## صفحة

### الفصل الاول

١ - ٤٥	بداية الرهبانية والديرية في مصر
١	تعريف الرهبانية والديرية
١	أصول الرهبانية والديرية في مصر
٤	عوامل ساعدت على انتشار الرهبنة
٨	المؤثرات النسكية في الرهبنة المصرية
١٣	قيام الرهبانية في مصر
٢٨	شئوده الاخيمى وتطور الديرية
٣١	رهبنة النساء

### الفصل الثانى

٤٦ - ٨٤	قيام الرهبانية في وادى النطرون
٤٦	جغرافية وادى النطرون وأثرها في الحركة الرهبانية به
٥٦	قيام الرهبانية في جبل فتريا وسليا
٦١	الرهبانية في برية شيهيت
٧٥	راهبات في وادى النطرون

### الفصل الثالث

٨٥ - ٣	التنظيمات الادارية والاقتصادية للرهبان
٨٥	إدارة الرهبان في فتريا
٨٦	الرهبان والوظائف الاكليروسية
٩٤	دراسة مقارنة مع إدارة الاديرة الباخومية
٩٥	نظام قبول الراهب ورسامته
١٠٠	العمل اليدوى عند الرهبان
١٠٥	المنابع الاقتصادية ووجوه الصرف
١١٢	تقاليد الضيافة والزيارة عند الرهبان

صفحة	الفصل الرابع
١٧٩—١٢٤	الحياة العامة وأنماط السلوك عند رهبان وادى النطرون
١٢٤	أثر النظام الرهباني الانطوني في رهبانية وادى النطرون
١٣٨	الحياة العامة — القلاية ، شكلها ومحتوياتها
١٤٠	أركان الحياة الرهبانية
١٤٣	ملابس الرهبان
١٤٧	من هم الذين اختاروا حياة الرهبانية ؟
١٤٨	الحياة اليومية عند الرهبان (الصمت — الصلاة — النوم — الصوم والطعام والشراب )

صفحة	الفصل الخامس
٢٣٥—١٨٠	أثر رهبانية وادى النطرون في المسيحية الاولى
١٨٠	أثر رهبانية وادى النطرون في التربية الدينية
١٨٥	رهبانية وادى النطرون وكبرى الاسكندرية
٢١٧	رهبانية وادى النطرون والعالم الخارجى

صفحة	الفصل السادس
٢٦٨—٢٣٦	الرهبنة والديرية في وادى النطرون من القرن الخامس حتى الفتح العربى
٢٣٦	الهرطقات في وادى النطرون
٢٥٠	الامبراطور زينون والإسقيط
٢٥٦	برية شهيت وكبرى الاسكندرية في القرن السادس
٢٥٩	هرقل والكنيسة القبطية
٢٦٣	الفتح العربى والرهبانية
٢٧٠	ملاحق البحث
٢٧٧	المراجع والمصادر







